21
الأدب الصيني
في القرن
الحادي والعشرين

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

سقوط ورقة الشجرة

وقصص موجزة أخرى

ONE FALLEN LEAF

And More Miniature Stories

مجموعة من المؤلفين

سقوط
ورقة الشجرة

قصص موجزة أخرى

ONE FALLEN LEAF

And more miniature stories

سقوط
ورقة الشجرة

قصص موجزة أخرى

ONE FALLEN LEAF
And more miniature stories

مجموعة من المؤلفين

ترجمة
معن عبد الرحمن

مراجعة وتحرير
مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

One fallen leaf And More Miniature Stories

تمّ النشر أصلاً عبر Originally published by Foreign Languages Press Co. Ltd

حقوق النشر محفوظة Copyright © China Books, 2012

جميع الحقوق محفوظة All rights reserved

تمّ النشر في الولايات المتحدة الأميركية عبر

Published in the United States of America by China Books

360 Swift Avenue, Suite 48, South San Francisco, CA 94080

www.chinabooks.com

Editor: Shao Dong Zeng Huijie

No part of this book may be reproduced without written permission of the publisher.

Arabic Copyright © 2016 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: نيسان/أبريل 2017 م – 1438 هـ

ردمك 9786140232433

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

تصميم الغلاف: الأستاذ غالي ناجي الجهني

لوحة الغلاف: للفنانة التشكيلية سعاد محمد أبو دية – السعودية

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت – هاتف 785107 (9611+)

الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (9611+)

الأدب الصيني في القرن الحادي والعشرين
نقاط البداية

بقلم: وانغ مينغ

تهدف سلسلة الأدب الصيني في القرن الحادي والعشرين إلى تقديم أدب صيني معاصر باللغة الإنكليزية والفرنسية وغيرهما من اللغات للقراء في كل أنحاء العالم.

قد لا يكون المسار الأخير للأدب الصيني ولا توجهات البلاد شبيهةً بالسير في طريق واسع بكل سلاسة، إلا أن هذا المجال يبقى أساسياً لفهم الصين والحياة اليومية فيها والعالم الخاص بالشعب الصيني.

هذا وقد شهدت الصين تطوراً كبيراً ساعدها على تمتين علاقاتها بباقي بلدان العالم. فحتى إن لم تكن تربطك أي معرفة بأي صينيّ، فبإمكانك أن تجد عبارة: «صنع في الصين» في معظم المجالات في حياتك، أو كما يُعبَّر عن ذلك في المثل الصيني: «ارفع رأسك وشاهد تلك العبارة[1] في كل مكان». ثم إن أخبار الصين تظهر في الجرائد والتلفاز والإنترنت بشكل منتظم، ناقلةً لك ما يحدث في تلك الدولة القصية والقريبة[2] التي تدعى الصين، وطريقة تفكير ذلك الشعب وتخطيطه. وهكذا، تمكنت شعوب العالم من تطوير أفكارها العامة حول الصين.

بيد أن أغلب تلك الأفكار كانت ثاقبة في معظم الأحيان. ولا بد من القول إن الكتاب الصينيين من أمثالي حرصوا دائماً على مراقبة ما يجري في العالم؛ إذ أصبحنا نناقش ما يجري في الولايات المتحدة واليابان وروسيا وجنوب أفريقيا وإيطاليا وغيرها من البلدان، كما نناقش الأفكار المشوقة والمبتكرة التي تحملها شعوب تلك الدول عن الصين. غير أننا نشعر بالكثير من الأسى

حينما نكتشف في بعض الأحيان أنّ أفكار الآخرين عن الصين مشبعة بالأوهام وسوء الفهم؛ وكثيراً ما تظهر تلك الأفكار المسبقة اعتباطية ومعمّمة. وهكذا، أصبحنا أنا وأبناء جلدتي ندرك تمام الإدراك أن العالم لا يعرف سوى القليل عن الصين، الأمر الذي جعلنا نحسّ بأن العالم قريب منّا للغاية، ولكنه في الوقت نفسه لا يزال قصياً[3].

ولهذا، يستطيع الأدب تقريبنا من بعضنا لننقل الأفكار والخيال في ما يتعلق بالعالم والحياة، ولنشارك الآخرين لحظات الفرح والحزن خارج قيود اللغة واختلاف الثقافات والبيئات وبعد المسافات. إذ باستطاعة الأدب أن يشعرك بأن الأشخاص الذين يعيشون في مكان بعيد عنك قد أصبحوا بمثابة جيرانك الذين يسكنون بجانبك؛ وذلك حينما تدرك خفايا حياتهم وأحلامهم وتشاركهم إياها. ولأوضّح لكم ما أرمي إليه، سأقتبس مقطعاً من قصيدة كتبتها السيدة نيروباما راو التي تشغل منصب السفيرة الهندية حالياً في الصين:

«... لنفهم بعضنا،

كما يلمع الإدراك

فنحن مجرد أجزاء صغيرة،

قذفها التاريخ من تلك الأنحاء».

وهذا ما يشرح فكرة رحيل هذه السلسلة وسفرها[4]، والمقصود بذلك أن القراء من مختلف بقاع العالم – الذين اعتادوا أن يعرفوا أخبار الصين من خلال الصحف والتلفزيون والإنترنت في القنوات الأجنبية – صار بإمكانهم الآن أن يفتحوا هذه الكتب ليتعرفوا على الصين من خلال أفكار وكتابات كُتِبت من أعماق القلوب بأيدي الصينيين أنفسهم. فقد بذل الكتّاب الكثر الذين شاركوا في تأليف هذه القصص القصيرة الجديدة، والذين يعيشون ضمن هذه الأمة التي تتطور وتتغير بسرعة رغم محافظتها على عراقتها، كلّ الجهود اللازمة لوصف كل ما يجري حولهم داخل المجتمع الصيني، وليعبّروا بطريقة حيوية وصادقة عن التجارب المعقدة التي شهدها الشعب الصيني خلال الفترة الأخيرة. ومن خلال القوة التي تحملها كلماتهم، يمكنك أن تلتقط ومضات، وأن ترسم لمحات حول الحياة الواقعية المعقدة والحية في الصين، كما يمكنك أيضاً أن ترسم احتمالات أخرى لسائر البشر، بمن فيهم أنت عزيزي القارئ.

هذا وقد كُرِّست المطبوعات الصادرة باللغات الأجنبية لتعزيز التفاهم المشترك بين الصين وباقي دول العالم؛ إذ لا يزال أنصار الصين في كل دولة يتذكرون كتب الباندا التي نُشِرت في أواخر القرن العشرين، حيث ضمّت تلك الكتب سلسلة واسعة من الأعمال الأدبية الصينية المعاصرة. وقد ساهمت سلسلة كتب الباندا في تحويل الكثير من الكتاب الصينيين إلى مشاهير على مستوى العالم. ولهذا، يمكننا اعتبار سلسلة الأدب الصيني في القرن الحادي والعشرين بمثابة تتمة لسلسلة كتب الباندا؛ بالرغم من أن أساليب الانتقاء والتدقيق فيها تختلف اختلافاً كبيراً عما كان متبعاً في السلسلة السابقة. حيث إن كتب القصص القصيرة الجديدة كلّها قد خضعت للتدقيق من قبل باحثين صينيين يتمتعون بفهم عميق لمجال الأدب الصيني المعاصر. ولهذا، تعتبر أحكامهم وآراؤهم موضع احترام وتقدير بالنسبة إلى سائر الكتاب والقراء في الصين. وقد تمكّن هؤلاء الباحثون من التدقيق في هذا العمل بشكل مستقل؛ الأمر الذي ساهم في جعل هذه السلسلة الجديدة تعكس المساعي الروحية المتنوعة، والابتكار والإبداع الفني في الأدب الصيني المعاصر.

وهكذا، إن الأثر الجوهري لهذه السلسلة يتمثل في تقديم صورة من داخل الحضارة الصينية لدارسي هذه الحضارة من مختلف أنحاء العالم، وللباحثين في مجال الأدب الصيني من داخل الأوساط الأدبية الصينية المعروفة على نطاق واسع بين معشر الأدباء والقراء الصينيين. ومن المحتمل أن تكون هذه الآراء والأفكار المتعلقة بالأدب الصيني المعاصر مختلفة عن الأفكار العامة التي يحملها الآخرون في البلاد الأخرى. وهذا الاختلاف بحد ذاته هو الذي يولِّد إمكانية كبيرة لتحصيل معارف واكتشافات جديدة.

ومن الجدير بالذكر أن الأدباء الصينيين المعاصرين قد تأثّروا بالأدب في مختلف بقاع العالم إلى حد بعيد. إذ اقتنعنا – نحن الأدباء – تمام الاقتناع بمفهوم «الأدب العالمي» الذي خرج به غوته، كما التزمنا بالحلم الكبير المتمثل ببرج بابل الذي يعزز فكرة التفاهم المتبادل بين شعوب العالم. ولهذا، أؤمن بأن سلسلة الأدب الصيني في القرن الحادي والعشرين لا بد أن تدعم اللبنات العظيمة في هذا «البرج» الشامخ نحو الأعالي.

المقدمة

بينغ فينغ هو الاسم الأدبي لتشاو تشي الذي ولد عام 1965. وهو حالياً عضو في رابطة الكتاب الصينيين، ورئيس تحرير مجلة وي تشينغ شياو شو (قصص قصيرة)، كما أنه رئيس موقع www.zuojiawang.com؛ وهو موقع للكتاب الصينيين. وقد ظهرت مؤلفاته النثرية والشعرية، ونقده الأدبي، وتقاريره، وغيرها من الكتابات في بيبلز ليترتشر وبيبلز ديلي وبوتري مونثلي وغيرها من الدوريات، كما أن أعماله المنشورة هي: ظلال حمراء للطيور، ومشاهدة الجبال في الخارج (شعر)، وموسم ماطر أزرق (نثر مسجّع)، ومدينة الحنان (قصص قصيرة)، وسماء زرقاء صافية (تقارير طويلة)، وحوار مع الحياة (مقالات غير رسمية). كما قام بينغ فينغ بتحرير عشرة كتب تشمل أهم القصص الصينية القصيرة المعاصرة، وقاموس الراقصين الصينيين، ومجموعات سنوية مثل أهم القصص القصيرة عامي 2003 و2004، والقصص الصينية القصيرة لعام 2005 و2006 و2007، وهو يعمل حالياً في دار نشر الأدب الشعبي.

قصص موجزة
تدور حول الشعب الصيني

إنّ أدب أي بلد يتجذّر بعمق في تاريخه وثقافته وعصره. وبالتالي، يُظهِر الصفات المحلية والقومية لذلك البلد. وخلال السنوات الثلاثين السابقة، ومع ظهور ظاهرة «القصة القصيرة» في الصين خلال الثمانينيات من القرن العشرين، نضجت كتابة القصص القصيرة وتطوّرت مزاياها الفريدة.

حيث إن القصص القصيرة المميزة بغناها بالإيحاءات العميقة تشير إلى ما هو أعمق من كلماتها؛ وهذه الميزة إلى جانب الإيجاز الشديد هما جوهر القصص القصيرة.

وعلى مدى ثلاثين عاماً من التطور العفوي، تميّزت القصص الصينية القصيرة بوجود مجموعة ثابتة من الكتاب في أنحاء الصين كافة، والذين ينتمون إلى جميع المستويات في المجتمع. وتتفاوت نوعية حياة أولئك الكتّاب ونفسياتهم وآراؤهم وتجاربهم بشكل كبير؛ حيث إن قصصهم المختارة لهذه المجموعة المترجمة تعكس وتلخص حياة الشعب الصيني ومشاعره في المجالات الثلاثة التالية:

1. توثيق عملية الإصلاح الاجتماعي في الصين

مع تبنّي سياسة الإصلاح والانفتاح قبل ثلاثين عاماً، حصلت تطورات اقتصادية واجتماعية هائلة أثّرت في المشاعر البسيطة، ولوّثت الصداقة النقية؛ بسبب المال ونظام الحياة القاسي وتشوّه فلسفات الحياة والقيم. إذ يجب أن تكون الصداقة بين زملاء المدرسة بسيطة وتتميز بوجود النوايا الحسنة، في حين ينبغي أن تكون الحفلات الاجتماعية مناسبات بسيطة تسمح بالتواصل وتبادل

الأفكار بين زملاء المدرسة من العمر نفسه الذين يتشاركون تعليماً مشتركاً، غير أنّ قصة «زميلي في الدراسة زو» بقلم آه تشينغ تُظهِر كيف أن صداقة الزملاء في الدراسة هذه الأيام قد تتأثر بمجموعة من العوامل؛ بما فيها المكانة الاجتماعية والرغبة والخيال والكبرياء والترف والرومانسية والواقعية والذكريات، حيث يحاول الكاتب تشريح الطبيعة البشرية المعقدة، وسرعان ما يرتبك بسبب تصادم الذكريات مع الوقائع كما يظهر في عبارته: «لاحظت أن زو قد شرب حتى الثمالة، ولكنني لم أرَ أنّه من حقي إيقافه عن ذلك. إذ كيف يمكن لطالب سيئ مثلي أن يعظ الرئيس السابق لهيئة الطلاب!؟؟!». وهذا المجتمع المتغير بسرعة يترك الكاتب وقراءه في حيرة من أمرهم.

كما أنّ تقلّب الزمن يشوِّه قيم ومعتقدات بعض الناس الذين بدأوا بالانحناء أمام المال والسلطة، والاستخفاف بالصداقة والتاريخ المشترك، وخيانة الطبيعة البشرية النقية.

أما قصة «الرعاة» لجيانغ زيلونغ فيبدو أنها تُقدِّم شرحاً بسيطاً ومباشراً للتأثير المختلف للتغيرات في ما يتعلق بزوانغ «شديد الذكاء» والمدير وانغ «المسؤول». إذ إن البروفيسور زوانغ منعزل، في حين أن المدير وانغ محاطٌ بزوار كثر. فهذا التباين الحاد في المكانة والشهرة يُشعِر البروفيسور زوانغ بالنقمة والخزي. وإن التنافس الشديد والخفي بين «المفكرين الكبار» و«المسؤولين الكبار» ظاهرة شائعة في الصين، لكنّ جذورها وعواقبها غامضة.

وفي كل الأحوال، إن الأدب يُفصِح للقارئ عن أشياء غير متوقعة. فعلى سبيل المثال، ما الذي سيحصل حين تتدهور صحة المدير وانغ؟ يمكن للتغير المفاجئ في القدر أن يكشف عن تقلب النفوس البشرية ويؤدي إلى تغير العلاقات بين البشر أيضاً.

وهكذا، في نهاية القصة، يتمكن البروفيسور زوانغ من تغيير رأيه، ويهنّئ نفسه لكونه «مفكراً كبيراً» بدلاً من «مسؤول كبير». فمعرفته وقلمه لن يخوناه حتى آخر نفس لديه. إذ ينظر الكاتب إلى العالم نظرة ناقدة، ويُفصِّل حياة الشعوب المعاصرة، ويشرح الطبيعة البشرية من أوجه قصورها. ويُظهِر تحليله وتفكيره بعضاً من التأثيرات الجانبية للإصلاحات الاجتماعية في الصين؛ فكلّ من «المفكر الكبير» و«المسؤول الكبير» يحظى باحترام ومعاملة مختلفين عمّا يحظى به الآخر، وذلك بحسب نوع الخدمات التي يقدمانها للناس حولهما. ويتم الكشف عن هذا التفاوت وتسليط الضوء عليه كأكثر جزء وضيع من الطبيعة البشرية.

وفي قصة «المجند الجديد» لليانغ شياو شينغ، يُظهِر لنا جندي لم يبلغ التاسعة عشرة من عمره من قرية ريفية نائية وبأبسط الطرائق أن الجنود الصينيين لا يزالون يحتفظون بأنقى الجوانب

البشرية وأهمها؛ إذ يعتبر الآخرون الجندي الشاب ريفياً أخرق، لكنّ سلوكه غير الأناني والمثير للإعجاب يصدم الجميع؛ «إذ يجدونه وقد حشر نفسه خلف أحد الإطارين الخلفيين للحافلة ورفعها بكتفه وإحدى ساقيه ليمنعها من الانزلاق»، ويستغل الكاتب الدراما في القصة ليوصل إلى القارئ حكمة ترمز للإنسانية المثلى، والبشر الحقيقيين. ويؤثّر تصادم هذه الرمزية المزدوجة في الأخلاق والإدراك والذاكرة البشرية.

وتزرع القصة في قلوبنا الألم، وتوقِظ ضمائرنا ومشاعرنا الإنسانية لأنّ الجندي الشاب لم يدعم الحافلة بكتفه وساقه فحسب، وإنما دعم كرامة الأمة وإنسانيتها أيضاً.

وتُظهِر قصة «صندوق البريد» لوانغ مينغ التغيرات في طراز الحياة، والاستبدال الدرامي للمفاهيم القديمة بمفاهيم جديدة؛ فالشباب اليوم يعتبرون أن استبدال الصندوق البريدي التقليدي بالبريد الإلكتروني من المسلمات، ولكن بالنسبة لأولئك من أمثال لاو وانغ المعتادين على طراز الحياة القديم، يبدو كل شيء جديداً وغريباً. إذ إن الجيل القديم يشعر بالارتباك من الشبكات الجديدة سريعة التطور. فخلال السنوات العشرين الماضية من تطور الصين، ازدهرت ناطحات السحاب والتكنولوجيا، لكن الكبار في السن المحاطين بتلك التطورات والمساحات الافتراضية يتفاجأون ويشعرون بالضياع في هذا العالم الجديد والمذهل، إذ إن ضمائرهم وخيالهم وطراز حياتهم كلّها تتعرض لاختبارات قاسية وسط هلعهم من تبدّل النظام القديم بأكمله.

وتتفاوت معايير النماذج الجيدة من عصر إلى آخر، فطلاب الجامعة أمثال فينغ زي كانوا في ما مضى قدوة للأولاد في المناطق الريفية في الصين، ولكن تلك الصورة تهشّمت حين اختار بعد تخرّجه أن يعود إلى قريته كأستاذ مدرسة، وتعرّض خياره إلى التشكيك في قريته الخاضعة لمفاهيم وقيم تقليدية.

وحالياً، من الشائع بين خريجي الجامعات العمل في الريف أكثر مما كان عليه الأمر قبل بضع سنوات. ففي ذلك الحين، كان الانقسام بين المساكن الريفية وغير الريفية كما هو مُسجَّل في نظام تسجيل المساكن يُشكِّل فجوة هائلة بين المناطق الريفية والمدنية في الصين؛ إذ يرغب سكان الأماكن الريفية في أن يصبحوا من سكان المناطق المدنية، وأن يحظوا بإعجاب غيرهم من الريفيين. وفي قصة «القدوة» لتشين يونغ، يتم طرح تلك القضايا التي لا يمكن حلها سوى من خلال عملية التطوير والتغيير.

ومع تصادم الآراء العالمية وتداخلها واندماجها وتغيّرها، أصبحت الأرواح البشرية منقسمة؛ فكل شيء يتغير بما يتماشى مع الإصلاحات الاقتصادية والسياسية. وقد عبّر مؤلفو القصص القصيرة عن ذلك في أعمالهم الصغيرة التي يصوِّرون فيها حياة الشعب الصيني، ويسجِّلون الصدمات والتغيرات الكبيرة التي يتعرض لها.

فالطبيعة البشرية تتغير بما يتجاوز الخير والشر نحو تنوع أكبر، في حين أن الثقافة تنتشر من الفردية إلى الجمع.

2. تصوير تفاصيل الحياة الصينية

في بلد يضم 1.3 مليار نسمة و56 قومية وتاريخاً طويلاً، تعتبر الصين موطناً لمجموعة كبيرة ومتنوعة من اللغات المكتوبة والمحكية، والثقافات، والجغرافيا؛ ما يجعل حياة الناس أكثر تنوعاً وتعقيداً. ومع اختفاء التقاليد القديمة وظهور مفاهيم جديدة مكانها، يُظهر صراع القوى الازدواجية في حياة الشعب الصيني. فمن بين الشخصيات القليلة في قصة «رجل فضولي في جنازة أخته» لتشين جيان غونغ، يتم تصوير «العم الكبير» البالغ من العمر ستة وسبعين عاماً بأنه عنيد ومتحجر وملتزم بالأعراف الإقطاعية والعادات البالية. وبعد وفاة أخته غراني لي وفاة طبيعية في سن الثالثة والسبعين، قرر إثارة مشاكل كبيرة بشأن وفاتها التي اعتبرها غير طبيعية. وبغض النظر عن مدى توسلات أبنائها وأصهارها إليه، ورغم اعتذارهم منه ظلّ مصراً على تشريح جثتها. وهذه الحبكة تظهر الارتباك الذي يعاني منه الصينيون بسبب الأفكار الإقطاعية والتقاليد القديمة التي قد يبدو بعضها غير محتمل ومثيراً للسخرية بالنسبة إلى الشباب المعاصرين.

أما قصة «السجادة» لهانغ يينغ فتصوِّر رجلاً آخر متقدماً في السن؛ وهو بروفيسور خبير في الحضارة والثقافة والفلسفة الصينية. حيث يُظهِر لنا أسلوبه المتواضع واللطيف قِدَم الحضارة الصينية وتألّقها؛ فالبروفيسور الكبير يتمنى السلام لجيرانه مثيري الضجة، وقراراته غير الاعتيادية تتميز بالتواضع والتسامح واللباقة التي يتّصف بها الشعب الصيني، الأمة المشهورة بمراسمها وأملاكها. وهكذا، تُقدِّم لنا هذه القصة مثالاً جيداً عن التناغم الاجتماعي.

في حين أن قصة «وسادة من جلد الكلب» لوانغ كويشان، و«زوجة الأب تبعده عن المنزل» لهونغ كي تُصوِّران نوعاً محدداً من الشخصيات الصينية التي تتصرف بغموض. وإنّ هذا السلوك يعكس النفسية التي يتصف بها بعض الصينيين، ويُشكِّل تعبيراً نادراً ومثيراً للإعجاب عن الروح والشخصية. فالصينيون يثمنون طاعة الوالدين أكثر من حياتهم. و«وسادة من جلد الكلب» تُعبّر

عن برّ الابن بوالديه، وهكذا أصبحت مصدراً للغذاء الروحي للأم. فعلى الرغم من أن الوسادة المضادة للرطوبة لا تحتاج إلى التهوية إلا أنّ الأم تقوم كل بضعة أيام بإخراجها إلى الهواء الطلق إذا كان الطقس صحواً؛ وهي تقوم بذلك بسعادة غامرة لتتفاخر أمام جيرانها بطرائق مضحكة وسخيفة.

هناك قول صيني قديم وشائع وهو: «قلب زوجة الأب كذيل العقرب»، لكن زوجة الأب في «زوجة الأب تبعده عن المنزل» تبدو رقيقة ومهتمة؛ فهي تمنح ابن زوجها حباً خالصاً. وهذا التناقض مع الأنماط المفترضة لزوجة الأب يصدم القارئ، حيث يصوِّر الكاتب أمّاً صينية عظيمة تناقض هذه الفرضية المعتادة، ويمدح النساء الصينيات، ويُقدِّم أقوى التحديات للأعراف الاجتماعية، كما يُعطي شرحاً عميقاً للفلسفة الصينية التي تقول إنّ البشر خيّرون بطبعهم.

وبالطبع، إنّ حياة الشعب الصيني متنوعة، وتحتوي على العديد من الوجوه. والقصص القصيرة في هذه المجموعة تبحث في التفاصيل المتباينة للحياة الحقيقية والألم الداخلي.

3. التعبير عن مشاعر الشعب الصيني

غالباً ما تتضمن مشاعر الشعب الصيني المزايا الآسيوية المتمثلة في التواضع والرقة؛ حيث يؤكّد الصينيون على أهمية تجربة الوقوع في الحب، والاستمتاع بالمشاعر الرائعة التي تصاحب تلك التجربة؛ متوقّفين عند إغراءات الجمال الأنثوي المرئي، ومعبّرين عن إعجابهم بالعطر الفواح للحب غير المحكي، بالإضافة إلى إعجابهم بهذه التجربة الجميلة بما يتخللها من حب وحزن. وبالتالي، إن الصينيين يضعون القصص الرومانسية كالعاشقين ليانغ شانبو وتشو يينغ تاي إلى جانب صور مليئة بالشهوة كتشي مين تشينغ. ولا تزال الفكرة التقليدية المتمثّلة بأن المرأة العفيفة لا تتزوج سوى مرة واحدة متجذرة في معتقدات الشعب الصيني غير المعتاد على التعبير المباشر عن الحب أو الإغواءات العاطفية كما يحصل في أوروبا.

وإنّ قصة «كيف تنجذب الفراشات إلى الأزهار» لتينغ غانغ تتحدى المفاهيم الصينية التقليدية المحافظة في ما يتعلق بالحب. فشيانغ مي زوجة صينية فاضلة، وهي تمتلك الرغبات والحاجات الجنسية الطبيعية، بالإضافة إلى كونها محافظة وملتزمة كامرأة صينية تقليدية. ولكنها تنحدر في طريق غير متوقع، فهل ستكسب أم ستخسر معركتها مع الوحدة؟ وهل ستقاوم الحاجات الإنسانية الأساسية وهي مغمورة بفتنة الجنس وإغراءاته؟ في الظاهر، يبدو أن الراوي يغوي شيانغ مي بحجة بوحه لها بأسرار زوجها مع عشيقته، من دون أن يكون أمامه خيار سوى أن يُريها كل

الخدع التي يستخدمها الرجال لجذب النساء؛ كتقديم الشوكولا والكعك لهنّ وحتى تقديم المظلة عند هطول المطر فضلاً عن الكلام المعسول، ممّا يقرب شيانغ مي والكاتب من بعضهما خطوة خطوة حتى يتعمقا في علاقتهما.

ولسوء الحظ، إن شيانغ مي زوجة صديقه المفضّل، وهناك حكمة قديمة تقول: «لا تضع عينك مطلقاً على زوجة صديقك». فكيف يمكن أن تسير الأمور حين يعلم الناس بها؟ فحتى في الولايات المتحدة سيُسبِّب هذا الأمر فضيحة. وفجأة، تنتهي القصة مفسحة المجال لخيال القارئ.

وقد يرمز التمرد إلى الثورة. ففي مجتمع العصر الحديث، لا تزال مكانة المرأة غير مضمونة؛ إذ يستطيع الرجال الاستمتاع والاحتفاظ بأسرار بسيطة، في حين أن النساء لا يمكنهن تخطي الحدود الاجتماعية للفضيلة الأنثوية، ولا يزلن يعانين من الإذلال الفكري بسبب عدم المساواة في الحب والجنس. لكنّ التمرد يكشف عن التغيرات في المشاعر والمعتقدات.

وتُظهِر قصة «احتراق حبيبين» لبي شو مين الحب الجارف لحبيبين صينيين تعرضا لحروق شديدة. حيث يبذل الحبيبان قصارى جهدهما كيلا يئنا على الرغم من الألم المبرح الذي يشعران به، وذلك بهدف حماية الشخص الآخر والحؤول دون معاناته أكثر؛ فالحب العظيم يتجسد أحياناً بلحظات حياتية اعتيادية. وهنا تكمن نية الكاتب في تجسيد حالة مثالية من الحب؛ فالجمال المشوّه قاسٍ لكلا العاشقين ولمن يراقبهما، ولكن الحب في النهاية يسعى لإراحة القلوب المتألمة. «أيمكنك حملي ونقلي إلى سريره لنكون معاً؟ بدا صوت المرأة مبتهجاً كما لو أنّ أحداً ما كان يعزف على ناي فضي من السماء». وينعكس عمق فهم الكاتب للحب في الوصف الجميل، فعلى الرغم من وفاة الحبيبين إلا أن حبهما لا يزال وسيبقى حياً إلى الأبد.

وتقارن قصة «ندف ثلج خفيفة» للي زي شينغ حياة شياو شو بندفة ثلج متطايرة؛ حيث تم تعريف شياو شو إلى زوجها عن طريق وسيط، ثم تزوجا بكل بساطة. وفي أحد الأيام، تلتقي فانغ غانغ. وكشخص معتاد على المياه الآسنة، عندما يتم إعطاؤه كأساً من عصير الفواكه الطازجة سرعان ما يُفتَن بذلك، وهذا ما حصل معها، فقد فتنت بفانغ غانغ وأحبّته كثيراً، لدرجة أنها اتخذت قراراً بشأن زواجها. لكنّ شياو شو كانت تجهل مدى حب زوجها لها وتعلقه بها، لذا حين علم بقرارها أقدم على الانتحار. ومع تعذيب الضمير أصبحت ندف الثلج رمزاً؛ إذ لا ينبغي على الناس أن يعيشوا حياتهم من أجل أنفسهم فحسب، وإنما عليهم الشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين الذين يحبونهم.

وتشكّل المشاعر عنصراً لا يمكن الاستغناء عنه في الحياة البشرية، لكن طريقة التعبير عن المشاعر تختلف بشكل كبير من بلد إلى آخر، ومن ثقافة إلى أخرى؛ حيث ركز مؤلفو القصص القصيرة على الظواهر الجديدة والتغيرات الناجمة عن تلك الاختلافات.

وتغطي هذه المجموعة من القصص القصيرة مجموعة كبيرة من المواضيع، كما تستعرض مجموعة من مهارات الكتابة. فهذه القصص الثماني والثمانين تؤدي وظيفة أرشيف مركز الإصلاحات الاجتماعية الأخيرة في الصين، وذلك بفضل التصوير البسيط والحي لمشاعر الشعب الصيني وحياته. وقد كان الكتاب الكثر ذوو الرؤية والتفكير العميقين شهوداً على كل شيء في المجتمع الصيني، لذا لديهم أسبابهم الخاصة التي دفعتهم إلى إنجاز هذه المهمة الأدبية الصعبة مستفيدين من قدراتهم.

المجند الجديد

ليانغ شياو شينغ

هبط الليل فيما كانت العاصفة الثلجية محتدمة، والرياح تصفر بشدة، وحافلة المسافات الطويلة عالقة على الطريق لست ساعات أو سبع.

كان هناك أكثر من عشرين مسافراً على متن الحافلة. ومن بينهم أم شابة تحمل طفلها البالغ من العمر عامين على ذراعها، ومجند شاب التحق حديثاً بجيش التحرير الشعبي، وجعلته ملامح وجهه يبدو مجرد مراهق.

وفي الحافلة، هبطت درجة الحرارة من 30 درجة مئوية تحت الصفر قبل الغروب إلى 40 درجة مئوية تحت الصفر، وغطّت طبقة سميكة من الجليد نافذ الحافلة؛ ما جعل الظلام في الداخل يبدو حالكاً. وشيئاً فشيئاً، بدأ جميع الركاب بمن فيهم الجندي الشاب يشعرون بالبرد الشديد، وأحسّوا كما لو أنهم على وشك التجمّد.

في البداية، كان الجندي يشعر بالدفء أكثر من جميع المسافرين. إذ كان يرتدي سترة مبطنة وسروالاً سميكاً وقفازين من الفرو، وينتعل حذاء شتوياً، ويعتمر قبعة الجيش الصوفية، فضلاً عن تدثّره بمعطفه الدافئ المصنوع من جلد الخراف الذي حصل عليه من الجيش.

لكنه في تلك اللحظة كان أكثر من في الحافلة بؤساً؛ فقد أعار سائق الحافلة معطفه الجلدي لأنه الشخص الوحيد الذي يعرف كيفية الحصول على المساعدة. فحين رفض سائق الحافلة المغادرة لطلب المساعدة مُدّعياً أنه قد يتجمد حتى الموت على الطريق ما إن يخرج، خلع الجندي معطفه وأعاره إياه من دون أدنى تردد...

ثم رأى رجلاً عجوزاً يرتعش فيما المخاط يسيل من أنفه على لحيته؛ إذ كانت ملابسه رقيقة وغير مناسبة لحمايته من البرد، فيما قبعته مصنوعة من اللباد. عندها، خلع الجندي قبعته الصوفية وقدّمها للرجل العجوز. وحين رأى العجوز رأس الجندي الشاب الحليق حاول رفضها، لكن الجندي الشاب ابتسم ببساطة وقال:

«خذها يا عمي العجوز؛ فأنا شابّ ولدي حرارة كافية في جسدي... لا عليك».

وكان الاعتقاد السائد حينها والذي يعتبره الناس من المسلمات أنّ الجندي يجب عليه أن يساعد الآخرين، وهذا ما كان يعتقده هو أيضاً.

ثم قدّم قفازيه لفتاة، فشكرته وهي تتناولهما منه.

وأجابها: «أهلاً وسهلاً... لا حاجة إلى شكري؛ فأنا جندي».

وحين رأت الأم الشابة التي تحمل طفلها وتضمه إلى صدرها شفتَي طفلها تزرقان من البرد القارس انفجرت باكية.

عندها، بدأ شخص ما بالتعبير عن نفاد صبره والتنهد بصوت مرتفع، فيما بدأ شخص آخر بالتذمر والسؤال عن سبب عدم عودة السائق مع المساعدة...

ثم انفجر الآخرون بالشتائم، وبدأوا يلعنون حظهم السيئ، منزعجين من بكاء الأم الشابة.

فما كان من الجندي الشاب إلاّ أن خلع سترته المبطنة...

في ذلك الحين، كان لا يزال هناك بعض الضوء.

قال رجل للجندي الشاب: «ما رأيك يا فتى بأن تبيعني سترتك المبطنة؟ سأدفع لك مئة يوان ثمناً لها! فعلى الرغم من أنني لم أتجمد بعد، إلاّ أنّ قدمَيّ قد تخدرتا في حذائي الجلدي. يمكنني تدفئة قدميّ بسترتك المبطنة. ما رأيك؟ هل أنت موافق؟».

فيما قالت له امرأة: «سأدفع لك خمسين يوان زيادة على عرضه ثمناً لسترتك! معطفه أكثر سماكة من معطفي، وأنا أعاني من الروماتيزم وبحاجة إلى تغطية ركبتي...».

غير أنّ الجندي الشاب هزّ رأسه رافضاً عرضيْهما، ثم نهض ومشى نحو الأم الشابة وساعدها في لف طفلها بالسترة المبطنة.

عندها، لفّ عدد من الرجال والنساء معاطفهم حول أجسادهم؛ كما لو أنّ سلوك الجندي الشاب جعلهم يشعرون بالبرد أكثر.

بعد ذلك، أصبحت السماء داكنة في الخارج.

فجأة، ظهر وميض ضوء داخل الحافلة المظلمة، حيث قام الرجل الذي عرض مئة يوان مقابل سترة الجندي المبطنة بإشعال ولاعته، وما إن وصل إلى حيث يجلس الجندي حتى أطفأ الولاعة لتغرق الحافلة بالظلام الدامس مجدداً.

همس الرجل للجندي الشاب: «أنا جاد في ذلك... أنت مجند محصن من البرد، لذا دعنا نعقد صفقة... ما رأيك في أن تبيعني حذاءك الشتوي؟ سأعطيك مئتي يوان ثمناً له. فكر في الأمر... مئتي يوان!».

فرد الجندي الشاب:

– لا... كيف سأظل في الجيش إن تجمدت قدماي؟

– هذا جنون... سمعت أنكم أيها الجنود كلكم تتعلمون الكونغ فو... انظر، أنت تبدو غير معرض للتجمد... هذا مستحيل. حسناً، هل أنت مغفل؟! لقد تخليت عن معطفك وسترتك المبطنة وقبعتك وقفازيك من دون مقابل... فكيف ترفض طلبي لحذائك مقابل ثمن له؟ لا أحد سيعرف أنك أعطيتني إياه مقابل المال! جميعهم نائمون الآن، ولا أحد يسمع همسنا...

صمت الجندي قليلاً وهو يفكّر في الأمر، ثم قال بتردد:

– حسناً... إن كنت مستعداً لمقايضة زجاجة الكحول التي معك بحذائي فقد أفكر في...

عندها، أضاء الرجل ولاعته مجدداً، وعاد إلى مقعده، وأخرج زجاجة الكحول التي كانت مليئة حتى نصفها، ثم عاد ليسلمها للجندي.

فانحنى الجندي الشاب ليخلع حذاءه بصمت...

وبينما كان الاثنان على وشك التبادل، سحب الرجل الزجاجة وأخذ جرعة كبيرة منها كما لو أنه سيعاني من خسارة ضخمة في الصفقة إن لم يفعل ذلك.

وسرعان ما شق الجندي الشاب طريقه بين مقاعد الحافلة في الظلام، وأيقظ جميع الركاب واحداً تلو الآخر، وطلب منهم أخذ رشفة من زجاجة الكحول بمن فيهم الأم الشابة والفتاة الصغيرة.

وحين عادت زجاجة الكحول إلى يده في النهاية، رفعها إلى فمه لتنزل منها بضع قطرات في حنجرته، فشعر بحرارة القطرات الدافئة، وسرى الدفء في جسده لوهلة.

كانت الحافلة عالقة على طريق جبلي إلى جانب هوّة سحيقة، والرياح تزمجر كمكنسة ضخمة وهي تجرف الثلج من المنحدر إلى الخليج.

في تلك الأثناء، بدأت الحافلة بالانزلاق إلى الوراء بصمت من دون أن يشعر أحد من ركّابها بالخطر المحدق بهم. لكن الجندي الشاب أحس بحركتها فنزل من الحافلة بهدوء...

وقبيل الفجر، عاد سائق الحافلة مع فريق الإنقاذ، فابتهج الجميع باستثناء شخص واحد... الشخص الذي بدا للجميع جندياً شاباً وبريئاً، والذي جعل الجميع يشعرون أنه مجرد جندي مراهق.

فقد وجدوه وراء الحافلة وقد حشر نفسه خلف أحد الإطارين الخلفيين مثبتاً الحافلة في مكانها بكتفه وإحدى ساقيه.

كان الجندي الشاب متجمداً وراء الإطار وقد تحوّل إلى تمثال من الجليد.

فقد اختار ألاّ يزعج الآخرين، وربّما خشي أن يُصاب الركاب بالذعر ويتسببوا بالفوضى في الحافلة. ففي حال فقدت الحافلة توازنها بسبب المسافرين الخائفين فقد تنزلق إلى الجرف بسرعة أكبر، أو ربّما صرخ مُنذِراً وطالباً المساعدة بين الحين والآخر ولكنّ صوته ضاع وسط ضجيج العاصفة الهوجاء...

علم الناس في ما بعد أن الجندي الشاب قد تم ضمه إلى جيش التحرير الشعبي قبل نصف سنة فحسب، وأنه لم يكن قد بلغ التاسعة عشرة من عمره بعد، وأنه من قرية ريفية نائية، وهو الابن الأكبر لعائلة من الفلاحين، ولديه العديد من الإخوة الأصغر منه سناً، وخطيبته فتاة جميلة كانت تنتظر الزواج منه بعد أن يُنهِي مدة خدمته في الجيش...

زميلي في الدراسة زو

آه تشينغ

نادراً ما كنت أذهب إلى الحفلات واجتماعات لمّ الشمل التي ينظمها زملائي السابقون في الدراسة.

فخلال أيام المدرسة، لم أكن من بين «الطلاب الجيدين». وبشكل عام، كان الطلاب السيئون من الأقليات في مدرستنا؛ أي حوالي ثلاثة أو أربعة منا بالأكثر. لكنّ هذه النسبة قد تبقى مفاجِئة بما أن مدرستنا كانت صغيرة حينها، أي لم تكن تضم سوى حوالي مئتي طالب.

ففي تلك المرحلة الدراسية، كنا – وأعني الطلاب السيئين – غير مبالين؛ مجموعة من الأرواح الحرة التي يحسدها كل من حولنا.

هناك اختلاف جذري بين الطلاب الجيدين وأولئك السيئين. ويكمن ذلك الاختلاف في أننا لم نكن ننظر بازدراء إلى الطلاب الجيدين، غير أنّ أولئك كانوا مصرّين على ازدرائنا وعدم التسامح معنا على الإطلاق. وهذا ما يمكنك تسميته بالنوع المختلف من السياسة.

غير أنّ هذا لا يعني بالتّأكيد أن الطلاب الجيدين كانوا جيدين بشكل مطلق، وأولئك السيئين كانوا سيئين بشكل مطلق أيضاً. فقد سمعت أنه حين يجتمع الطلاب الجيدون معاً فهم يُمضون الوقت محاولينَ تقليدنا نحن الطلاب السيئين في أقوالنا وأفعالنا. لكنني ما زلت غير قادر على فهم الأمر، فلِمَ لا يكونون طلاباً سيئين بكل الأحوال؟!

والأمر المضحك هو أنه حين يحضر الطلاب الذين كانوا سيئين سابقاً حفلات اجتماع الشمل التي ينظمها زملاؤهم الجيدون في الدراسة، فإن أولئك السيئين يتصرفون بخجل وأدب،

ويشعرون بالدونية وعدم الراحة؛ إذ يبدو أننا مثقلون بعبء شعورنا العميق بالذنب بسبب سلوكنا السيئ أيام الدراسة، لذا نبذل قصارى جهدنا لنبدو سادة محترمين في تلك الاجتماعات.

لذا، ليس السبب في عدم رغبتي بحضور حفلات لمّ الشمل تلك عدم اكتراثي بصداقات الشباب، وإنما لأنني أفضِّل أن أكون مرتاحاً.

غير أنَّني حين أُدعى إلى مثل تلك المناسبات أجد صعوبة كبيرة في تجاهلها، لذا أتحامل على نفسي وأذهب مضطراً.

حفل لمّ الشمل الأخير الذي حضرته كان في أحد مطاعم المنطقة الحديثة في مدينتنا. ولم يزِد عن كونه اجتماعاً بين عشرين أو ثلاثين من زملائنا في الدراسة لنتناول العشاء معاً. قد يكون من المحزن رؤية الرجال والنساء وقد فقدوا تألقهم، وتحوّلت كل تلك الوجوه الطفولية الجميلة التي تعرفها إلى وجوه مجعدة تملأها الأخاديد بسبب سيف الزمن الذي لا يرحم. وهذا ما جعلني أشعر أنهم ليسوا أهلاً للثقة.

كان كل أولئك الذين حضروا حفل اجتماع لمّ الشمل ذاك من الطلاب الجيدين؛ ما عداي أنا. فبعد أن نظّموا العديد من حفلات اجتماع لمّ الشمل في ما بينهم، يبدو أنهم ظنوا أنه من التجديد أن يدعوني – وقد أصبحت كاتباً – إلى حفلهم.

وقد حضر الحفل أيضاً السيد زو رئيس هيئة الطلاب السابقة.

بعد تخرّجنا من المدرسة، أصبح زو سائقاً. ولا يزال كذلك رغم مرور كلّ تلك السنين (ولا يزال أمراً مفاجئاً للكثيرين منا أن الوظائف الصعبة كانت من نصيبنا نحن؛ أي الطلاب السيئين).

قاد زو سيارته رباعية الدفع ومتوسطة الحجم إلى المطعم، ولم أسأله عن عمله لأنني لم أكن مهتماً بالتفاصيل؛ فكل منا كان يتبع قدره، ولكل منا قدراته.

وجدت نفسي أجلس مع زو إلى الطاولة ذاتها. كما جلست إلى طاولتنا أيضاً زميلتنا التي تمت ترقيتها الآن إلى منصب رفيع كمعاونة للمدير العام في مكتب حكومي؛ رغم عدم إظهارها أي مؤهلات مميزة خلال أيام الدراسة.

وإلى الطاولة نفسها، كان هناك العديد من زملاء الدراسة الآخرين الذين يعمل معظمهم كرؤساء أقسام، والذين ظلت هواتفهم المحمولة ترن طوال العشاء، وظلوا يُعطون الأوامر بحزم حول

جميع المهامّ، ثم يغلقون هواتفهم ويلتفتون إلينا لمتابعة أحاديثهم وضحكهم مجدداً.

استمروا بالضحك بصوت مرتفع، ورفعوا كؤوسهم ليشربوا نخب بعضهم بعضاً بأصوات عالية.

– تعالوا يا زملاء لنشرب هذا النخب!

كانت العديد من زميلات الدراسة جالسات إلى طاولتنا وقد تقدّم بهن العمر. لكنهنّ كنّ سيبدون أكثر جمالاً وطبيعيات أكثر لو لم يغطين وجوههن بمساحيق التجميل. فالبودرة السميكة وأحمر الشفاه والحواجب المرسومة بشكل سيئ والعقود الملتفّة حول الأعناق الصفراء جعلتهن يبدون حزينات.

كان زملاء الدراسة الجالسون إلى المائدة يدردشون بصوت مرتفع، ويتبادلون المعلومات. وبين الفينة والأخرى، غادر بعضهم الطاولة للرقص، ولكن نظراً إلى كونهم راقصين غير محترفين سرعان ما كانوا يلهثون بعد كل دورة.

كنت أتصرف بهدوء طوال الوقت، وأجيب عن الأسئلة بلباقة؛ محاولاً عدم الإجابة حين كانت التساؤلات لا تحتاج إلى إجابة، لأنني لم أستطع نسيان تصنيفي السابق «كطالب سيئ»، لذا لم أحبط حماستهم.

علقت إحدى زميلاتي: «لقد تغيّر آه تشينغ، فقد أصبح أكثر تهذيباً».

تكلّفت الابتسام عند سماعي كلماتها.

كان زو يجلس بجانبي إلى الطاولة طوال الوقت من دون أن يكلمه أحد. لذا، كان مكتفياً بالشرب. ولم أكن أعرف الكثير عن وضعه سوى أنه تعرض لحادث مروري، ودخل السجن لفترة، حيث تعرّض للضرب من قبل بعض السجناء، وما إن أُطلِق سراحه حتّى طلقته زوجته. ومنذ ذلك الحين وهو يعيش وحيداً؛ رغم وجود علاقة بينه وبين عاملة مهاجرة من بلد بعيد.

لاحظت أن زو قد شرب حتى الثمالة، ولكنني لم أرَ أنّه من حقي إيقافه عن ذلك. إذ كيف يمكن لطالب سيئ مثلي أن يعظ الرئيس السابق لهيئة الطلاب!؟ كما أنه لم تكن لدي أدنى فكرة عن مدى تحمله للكحول، بالإضافة إلى أن الظروف التي مرّ بها كالسجن والطلاق والعيش مع امرأة أخرى وتجربة العمل كسائق لدى مسؤول كبير قد تركت فيه أثراً من دون شكّ.

لاحظ الآخرون الجالسون إلى طاولتنا حالة زو أيضاً، ولكنّ أحداً منهم لم يحاول القيام بشيء، وإنما تصرفوا كما لو أنهم لم يروا شيئاً على الإطلاق. وسرعان ما أدركت أنّ السبب الوحيد الذي يدفعهم إلى الاستمرار في دعوته إلى حفلات اجتماع لمّ الشمل هذه هو منصبه السابق كرئيس للهيئة الطلابية.

لم أحاول إقناعه بالامتناع عن تناول المزيد من الشراب أو إيقافه؛ رغم أنني في الماضي لم أكن قادراً على السيطرة على نفسي، وإنما كنت دائم السعي للتعبير عن رأيي، وكنت أتلفظ بتعليقات حول جميع القضايا. لكنّ ما أثار استغرابي هو أنّ المحيطين بي جميعاً قد اختاروا البقاء صامتين. وفي إحدى المرات، بينما كنت أستقلّ القطار برفقة أحد الزملاء قال لي:

«لقد كنا جميعاً مدركين للمشاكل التي كنت تتكلم عنها، ولكننا قررنا عدم الحديث في الموضوع... أتعرف لماذا؟».

وحين اعترفت بصدق أنني لا أعرف السبب، قال لي:

«لأنّ الغباء يعني أنك أكثر حكمة!».

وبالتالي، اخترت أن أكون غبياً كالآخرين لأصبح حكيماً مثلهم.

بعد أن تناول زو الشراب لثلاث ساعات، انزلق تحت الطاولة وهو يتمتم:

– آه تشينغ... دعني أرتاح قليلاً...

شعرت بالارتباك ولم أعرف ما يجدر بي فعله، لكنّ بعض الزملاء الآخرين قالوا لي مُطمئنين: «لا داعي للقلق بشأنه، فهو يفعل هذا في كل حفل».

شعرت بالغثيان لدى سماعي ذلك، فقد كان من أكثر التعليقات قسوة وغروراً.

وبدأت أفكّر في سري: أنت غير قلق بشأنه. لكن هل تظن أنه بحاجة إلى قلقك؟ من تظن نفسك؟

استمر الجميع بتناول الشراب والرقص والرد على هواتفهم المحمولة والضحك بصوت مرتفع، وكانوا كلهم ثملين قليلاً، ولكنهم قادرون على السيطرة على أنفسهم.

انتهى الحفل قرابة منتصف الليل، أو عند الساعة الحادية عشرة على وجه التحديد.

وأخيراً، لم أعد قادراً على السيطرة على نفسي، فابتسمت وأشرت إلى بعض زملائنا ليساعدوني في سحب زو من تحت الطاولة وحمله إلى سيارته كما لو أننا نخطفه، فقال لي أحدهم:

«فلنتركه في سيارته لينام قليلاً، وحين يستيقظ سيقودها بنفسه... هذه ليست مشكلة».

تصافحنا وودعنا بعضنا بصوت مرتفع.

كانت أمسية مملة.

أوقفت سيارة أجرة وغادرت أيضاً.

وبعد أن طلبت من سائق سيارة الأجرة أن يسير في الشوارع الفارغة لحوالي عشر دقائق، طلبت منه أن يعيدني إلى المطعم مجدداً.

كانت سيارة زو لا تزال واقفة هناك، فدفعت للسائق أجرته، ثم صرفته وركبت سيارة الدفع الرباعي.

كان زو لا يزال نائماً على المقعد الخلفي، فجلست على المقعد الأمامي وأشعلت سيجارة.

عندها، صرخ زو وهو لا يزال ثملاً:

– أهذا أنت يا آه تشينغ؟

– نعم... إنه أنا.

– كنت أعلم أنك ستعود.

– عد إلى النوم... سننطلق بعد أن تستيقظ بالكامل. وإذا أحببت، بإمكاننا الاستمرار في تناول الشراب معاً كأخوين.

بعد قليل، بدأ زو يبكي، فقلت له:

«عد إلى النوم ولا تبكِ».

– آه تشينغ... لدي الكثير من الأمور لأخبرك إياها.

– ليس الآن... عد إلى النوم. هيّا، نم الآن، وسنتحدّث عندما تستيقظ!

احتراق حبيبين

بي شو مين

في ذلك الحين، كنت أعمل في المختبرات في مستشفى ريفي. وفي أحد الأيام، توجّهت إلى مخزن المستشفى لأرى إن كان بإمكاني الحصول على قطعة جديدة من المشمّع.

وبعد أن بحثت في كل زاوية من زوايا المخزن، قالت لي العمة الكبيرة المسؤولة: «لقد نفد نوع المشمع الذي تبحث عنه منذ زمن، ولم يعد يوجد أي منه هنا الآن».

وبينما كنت على وشك المغادرة وأنا أشعر بخيبة الأمل، لمحت قطعة من المشمع الأخضر وسط كومة من القمامة القديمة. وقد كانت مطوية على شكل مربع، واستطعت رؤية زاويتها.

– تلك القطعة من المشمع تبدو ممتازة. اسمحي لي بأخذها.

غير أن العمة الكبيرة رفضت من دون أي تردد:

– لا... ليس هذه!

– هل حجزها أحد ما قبلي؟

فجأة، بدت لي وقد عادت في الزمن إلى الوراء، وغرقت في ذكريات قديمة، ثم أجابتني كما لو أنها في حلم:

– لا... لكنني لم أتوقع أن تراها. أذكر أنني مسحتها مرة ولكن من الصعب تنظيفها...

فقاطعتها قائلاً: «لا مشكلة لدي إن كان قد تمّ استخدامها من قبل، فأنا لا أحتاج سوى إلى قطعة منها لتغطية طاولة العمل الخاصة بي في المختبر. إنها جيدة طالما أنها غير مثقوبة».

أجابتني: «انتظر قليلاً يا بنيّ. إن لم تغير رأيك بعد سماعك قصة تلك القطعة من المشمع فبإمكانك الحصول عليها...» وصمتت قليلاً ثمّ تابعت:

«كنت حينها في مثل سنّك تقريباً. وكنت أعمل ممرضة في جناحنا، وأتلقّى المديح بفضل كفاءتي وسلوكي المحبب تجاه المرضى. وفي أحد الأيام، تمّ إسعاف مريضين يعانيان من حروق شديدة... رجل وامرأة... وعلمنا في ما بعد أنهما حبيبان. وبدقة أكثر، كانا قد تزوّجا حديثاً بعد قصة حب استمرت سنوات. فبعد عدة سنوات من محاولات الزواج الّتي تعرّضا خلالها للكثير من المحن، تمكنا أخيراً من الوصول إلى اليوم السعيد؛ بعد انتظار طويل وشاق. لكن، من كان يتخيل أن ذلك المخلوق الشرير سيضرم النيران في خميلة منزلهما في ليلة زفافهما؟! لقد أحرقت ألسنة اللهب كليهما. وقد تم تكليفي بالعناية بهما، حيث وضعنا سريرين لهما في الجناح نفسه، فاستلقى الرجل على أحد السريرين والمرأة على السرير الآخر. كانا متفحمين من رأسيهما وحتى أخمصي قدميهما، وظل السائل الناجم عن احتراقهما يسيل من جسديهما وكأن دمهما قد تحول إلى ماء. حينها، لم يكن بإمكان الأطباء فعل أي شيء سوى تغطية جسديهما بطبقة سميكة من مرهم الزيون العشبي؛ حيث كانت هذه أفضل طريقة في ذلك الزمن لمعالجة الحروق. ومع ذلك، استمر السائل بالخروج من جسديهما؛ حيث إننا كلما غيّرنا ملاءة السرير لأحدهما كانت الملاءة النظيفة تبتل بالكامل بمجرّد مرور بضع دقائق على وضعها. وبما أن تحريك جسديهما المتفحمين لتغيير ملاءة السرير كان مؤلماً للغاية بالنسبة لهما، فقد قرر الأطباء وضع قطعة من المشمع تحت كل منهما. وكانت مهمتي مسحَ السوائل البنفسجية التي راحت تسيل من جسديهما باستمرار بواسطة القطن، ومحاولة إبقاء سطح المشمع جافاً تحتهما.

كانت الممرضات الأخريات يشعرن بالأسف لأجلي ويقلن لي: «أيتها المسكينة، يجدر بك العناية بهذين المريضين اللذين تبدو حالتهما صعبة. قد يكون العمل الشاق أمراً محتملاً، ولكنّهما حين يئنان ليلاً يبدو صوتاهما كشخص يبكي في مدخنة... لا بد أن الأمر فظيع!».

فأجبت: «أنا معتادة على جسديهما المضرّجين باللونين الأسود والبنفسجي. كما أنهما لم يئنا قط».

فقلن متفاجئات: «أيعقل ألاّ يئنّ مريضان في حالة صعبة مثلهما؟! ربما كانت حبالهما الصوتية محروقة!».

– لا... لم تتأذَّ حبالهما الصوتية على الإطلاق... إنهما يبدوان كما لو أنّ ملاكاً قد قبّلهما.

لم يصدقنني، وسألنني: «كيف عرفتِ؟ كيف عرفتِ أنهما لم يئنا قط؟!».

فأجبت: «لأنّهما يغنيان! إنهما يغنيان دائماً لبعضهما في وسط الليل أغاني لا نفهمها».

وفي إحدى الليالي، سال الكثير من السائل من جسد الرجل فوضعت مشمعاً جديداً تحت جسده... نعم... إنه ذلك المشمع الذي رأيته هناك. وبغض النظر عن محاولتي التعامل معه برقة أثناء تغيير المشمع إلاّ أنّه أنَّ أنيناً شديداً، ثم صمت بعد أن أنهيت عملي. فتنهدت المرأة على السرير المجاور، وسألتني إن كان الرجل قد فقد وعيه، وحين أكّدت لها أن ذلك ما حصل، بدأت تئن هي أيضاً ثم همست:

«رقبتانا الآن متصلّبتان كأنبوبين إسمنتيين، وليس بوسعنا أن ندير رأسينا. لذا، لا يمكنني رؤية إن كان نائماً أم لا رغم أنّ سريرينا متجاوران. ولهذا، نحن نبذل قصارى جهدنا كيلا نئنّ فيعاني الآخر. وبما أنّه لم يستطع السيطرة على نفسه، وعبّر عن ألمه بالأنين، فهذا يعني أننا سنموت عما قريب. إنني ممتنة للغاية لما فعلته لنا، ولكن أيمكنك حملي ونقلي إلى سريره لنكون معاً؟».

بدا صوت المرأة مبتهجاً كما لو أنّ أحداً ما كان يعزف على ناي فضي من السماء.

أجبتها: «لا أستطيع... أخشى أنّ أسرة المرضى ضيقة للغاية وليس من الممكن أن تتّسع لكليكما».

فابتسمت وقالت: «نحن محروقان بشدة، ولا نحتاج إلى سرير كبير».

عندَها، رفعت جسدها البنفسجي بلطف، وأدركت أنها نحيلة كقطعة رماد...».

أنهت العمة الكبيرة المسؤولة عن المخزن قصتها بحزن، ثمّ سألتني: «أما زلت راغباً في أخذ قطعة المشمع؟».

فتحت قطعة المشمع بهدوء، ووجدت أنها قد أصبحت دبقة مع مرور الوقت، ولكنني تمكنت من فتحها بالكامل.

وفي منتصف قطعة المشمع الخضراء النظيفة، كان هناك مخطط بنفسجي خفيف على شكل جسدين بشريين مستلقيين بجوار بعضهما.

رجل فضولي في جنازة أخته

تشين جيان غونغ

توفيت غراني لي وفاة طبيعية وهي في الثالثة والسبعين من عمرها. وكما هي العادة، كان ينبغي إعلام أقاربها بموتها. وبعد يومين، حضر الأخ الكبير لغراني لي والبالغ من العمر ستة وسبعين عاماً، فأسرع أبناء غراني لي لتقديم منشفة مبللة إلى عمهم الكبير لينظف وجهه ويديه، ثم قدموا له السجائر والنبيذ الفاخر. وبعد ذلك، سأله ابن غراني لي عن متطلباته لأجل مراسم جنازة أخته. وبما أن الرجل كان ملتزماً الصمت منذ أن دخل، فقد حدّق إلى المرأة المتوفاة، ثم فتح فمه ببطء وهو شبه مغمض عينيه، وراح يضغط بإبهامه على أوراق التبغ في غليونه ثم قال: «بعد زواج أختي من عائلتكم، كيف يمكنها أن تموت هكذا وهي التي كانت نشيطة جداً وتتصف بالحيوية؟».

كان يتكلم بطريقة كما لو أن أخته عروس شابة دخلت عتبة منزلها بالأمس وها هي اليوم تلفظ آخر أنفاسها... «نشيطة جداً وتتصف بالحيوية!؟» كانت غراني لي طريحة الفراش منذ ثلاث سنوات، لكنّ أخاها الكبير لم يزرها في منزلها منذ خمس سنوات!

غير أنّه أصرّ قائلاً: «حتّى لو لم آتِ لزيارتها منذ عشر سنوات، إلاّ أنّني لن أنسى بالتّأكيد فتاتنا الصغيرة من عائلة لي! لنكن صريحين، إذ لا جدوى من الإنكار! انظروا إلى أختي الصغيرة... أتبدو الصحة على وجهها!؟ ممم! هل أطعمتموها قبل وفاتها طبقاً من الوصفات العشبية؟ ما الأدوية التي كانت تتناولها؟ ما هو الدواء؟ دعوني أخبركم منذ الآن: لن أقبل بوفاة أختي الصغيرة بطريقة غامضة! أريد إجراء تشريح لجثّتها».

ما المشكلة؟! كان الجميع مندفعين لخدمة العم الكبير منذ دخوله من الباب من دون أن يجرؤ أحد على إزعاجه. حتى إنّ ابن غراني لي قد استشار الجد الأكبر الذي كان يعمل سابقاً في

دار الجنائز للحصول على النصائح في حال نسوا شيئاً من الطقوس القديمة. لكن، انظروا الآن إلى المشاكل التي يثيرها! حتى إنّ أخت غراني لي – وهي أصغر من العم الكبير، وتدعى أيضاً غراني لي، ومتزوجة من عائلة تدعى هي، وتعيش بالقرب من أختها المتوفّاة – تفاجأت من سلوك أخيها الكبير، وحاولت تهدئته حين لم يكن أحد حاضراً، وقالت له: «منذ زواج أختي الكبيرة لم تتشاجر يوماً مع أحد في منزل زوجها. وكان أبناؤها مطيعين وبارين بها، ولم تحصل أي مشاكل، فلماذا لا تتركها تمضي من هذه الحياة ببساطة؟».

غير أنّه أجابها: «هذا هراء! لقد حملت أختنا الصغيرة، وأنجبت الأولاد لعائلة زوجها طوال حياتها، وحين ماتت تريدين أن ترسليها إلى المقبرة مباشرة! أبهذه البساطة؟ هذا مستحيل! لن أسمح للآخرين بالحديث من وراء ظهري، والقول إنه لا يوجد رجل في عائلة لي!».

للأسف، يبدو أن غراني لي المتوفاة لم تستطع الهرب من هذه الضربة الأخيرة. وأصيب ابنها وابنتها وزوج ابنتها وزوجة ابنها بالذهول ممّا سمعوه، وبدأوا يتوسّلون إلى العم الكبير ويعتذرون منه (رغم أنّ أحداً منهم لم يعرف ما الخطأ الذي يفترض أنه ارتكبه) لكنّ كل ذلك كان بلا جدوى! وأصبح التشريح أمراً لا مفر منه.

لذا، اضطرّ أفراد عائلة غراني لي إلى الرضوخ للأمر الواقع، وتمّ استدعاء طبيب شرعي ليشرّح الجثّة، وظهرت النتيجة على الفور: لم يتم العثور على أي أثر للسم في معدة المرأة العجوز.

وبعد انتهاء الجنازة مباشرة، استعدّ العم الكبير للعودة إلى منزله، ورافقته أخته الثانية إلى محطة القطار. وهناك، حاولت أخته أن تعبّر عن امتنانها الخالص لما فعله وقالت له: «لقد أتيت يا أخي الكبير لحضور جنازة أختنا مجتازاً كل تلك المسافة، وفعلت كل ما قد يخطر ببال عائلة لي أن تفعله».

– أليس هذا واجبي؟

– بالطبع.

ثم نظرت الأخت إلى أخيها الكبير، ومشت بضع خطوات قبل أن تقول بتردد: «وبما أنك رأيت كل شيء هنا، أريد إخبارك أن أبنائي بارّون بي، كما أنك بجانبي، ولديك الجرأة على قول أي شيء... لكنك كبير جدّاً، وساقاك ما عادتا قويتين كما كانتا في السابق. لذا، إن حصل لي أي شيء فلا أظن أنه يجب على أولادي إزعاجك مجدداً...».

عندها، نظر الرجل الكبير في السن إلى أخته بغضب وقال مستنكراً: «ما الذي تقولينه!؟ لا تقلقي عليّ. إذ لم يعد لديّ في عائلة لي سواك بعد وفاة أختك الكبيرة. لذا، طالما أن هناك نفساً واحداً في صدر أخيك الكبير فسيبذل قصارى جهده للحضور إلى هنا ومساندتك! كوني واثقة من ذلك».

أرجوك ابقي

ليو تشين وو

عند فشل جيان الصغير في إظهار أي تقدّم في امتحاناته النصفية، قررت أمه صرف وانغ لي الطالبة الجامعية التي تمّ توظيفها لتدريس جيان الصغير في المنزل. لذا، كان من المقرر أن تمضي وانغ لي آخر جلسة تدريس للصبي في مراجعة أوراق الامتحانات في العديد من المواد.

وفي ذلك اليوم بعد انتهاء الدوام المدرسي، قصد جيان الصغير وأمّه متجر الحي. وحين غادرا المتجر وكانا في طريق العودة إلى منزلهما، مرّا بوانغ لي عند ناصية الطريق، فتوقفا لإلقاء التحية عليها. وفي تلك الأثناء، وقع حادث صغير أمام أعينهم جميعاً. فقد انعطفت شاحنة محملة بصناديق الفاكهة بسرعة، فوقع أحد الصناديق وتحطّم عند ارتطامه بالأرض، وتبعثرت حبات الكيوي في أنحاء الشارع. غير أن سائق الشاحنة لم ينتبه إلى ما حصل وتابع طريقه، بينما بدأ بعض المارة بالتجمع لالتقاط حبّات الكيوي. وقام رجل كان يركب الدراجة بجمع عدد كبير من حبات الكيوي بين يديه، وبدأ يتأرجح يميناً ويساراً ليضع الفاكهة في سلة دراجته المركونة بالقرب من الرصيف. وبينما كان يقوم بذلك أمام أعينهم، راح جيان الصغير يحدق إليه، إلى أن سحبته أمه بعيداً، ودخلوا المنزل مع وانغ لي.

بدأت وانغ لي بتعليم جيان الصغير في غرفته، بينما كانت والدته تحضّر طعام العشاء في المطبخ بعد أن أوضحت سابقاً لوانغ لي عبر الهاتف أن هذه الجلسة ستكون الأخيرة لها مع جيان الصغير. وكانت قد أخبرت زوجها – الذي كان في رحلة عمل في مدينة أخرى – عبر الهاتف أيضاً بأنها تفكّر في صرف وانغ لي فقال لها:

«بالطبع، فهناك الكثير من الطلاب الجامعيين الجيدين الذين يبحثون عن عمل كمدرسين وبأجور منخفضة. سيكون لدينا الكثير من الخيارات، وبإمكاننا الحصول على مدرس جديد؛ فقد فشلت وانغ لي في جعل جيان الصغير يحصل على درجات أعلى في امتحاناته النصفية. لذا، يمكنك إخبارها بلباقة أنها لن تدرّس جيان بعد الآن».

وهكذا، تم تحديد مصير وانغ لي. لكن، كيف يمكن إنهاء الأمر بلباقة... وبينما كانت والدة جيان الصغير تطهو العشاء كانت تفكّر في ما يجب عليها قوله لها.

بعد قليل، جلست والدة جيان الصغير إلى الطاولة في الردهة وهي تحضّر الخضروات وتتصت إلى الأصوات الصادرة من غرفة ابنها، فعرفت أن وانغ لي كانت تحلل ورقة امتحان ابنها باللغة الصينية.

ثم سمعت جيان الصغير يقول: «لماذا نتكلم عن هذا الأمر؟! إنه غير موجود في ورقة الاختبار؟».

فبدأت الأم تتساءل: أيمكن أن تكون وانغ لي تعبث بما أنها تعرف أنها لن تأتي مجدداً؟! ثمّ انحنت إلى الأمام، وبدأت تعمل ببطء.

في تلك اللحظة، كانت وانغ لي تقول لجيان الصغير: «في الشارع عند ناصية الطريق، قام ذلك الرجل بجمع حبات الكيوي المبعثرة أمام أعيننا... أليس كذلك؟ هل لاحظت لغة جسده؟ لقد استمر بهز كتفيه وإدارة رأسه... وكما تعرف، إنّ شخصية المرء وأخلاقه لا يُظهِرها ما يقوله فحسب، وإنما تُظهِرها تعابيره ولغة جسده أيضاً؛ إنها أمر خفي. لذا، عليك أن تحاول ملاحظة لغات أجساد الناس وأن تحللها منذ الصغر. برأيك، علامَ دلّت لغة جسده وتعابيره في تلك اللحظة؟».

– أعرف ما دلّت عليه... فقد بدا كما لو أنه يقول: «يا لهذه الغنيمة الكبيرة التي حصلت عليها اليوم!». بدا لي أنه يشعر بالإثارة، فحتّى اليانصيب الذي قد يربحه المرء يجب عليه أن يدفع ثمن بطاقة الاشتراك فيه. أما هو فقد حصل على حبات الكيوي تلك مجاناً!

– إذاً، كيف تُقيّم حالته الذهنية؟

– لقد كان مخطئاً! من لا يعرف ذلك؟! لماذا تطرحين عليّ هذه الأسئلة!؟ أتريدين مني أن أكتب عن ذلك؟ لقد انتهى الامتحان النصفيّ! أما زال يتوجّب عليّ كتابة مواضيع التعبير الآن؟!

– ... أريد منك فقط أن تعبّر عمّا تشعر به حيال ما رأيناه اليوم. أتعلم؟ لقد شعرت بالاستياء لدى رؤيتي ذلك النوع من لغة الجسد. في إحدى المرات، قام مدرس اللغة بتعريف بعض الكلمات لوصف مثل هذا السلوك مثل «دنيء» و«وضيع» و«خبيث»... لكنّ ذلك الرجل قد لا يكون وضيعاً إلى هذه الدرجة؛ فهناك أشخاص آخرون أسوأ منه. فكما تعلم، هناك مجرمون في مجتمعنا... أليس كذلك؟ أظن أن طلاب المدرسة العاديين مثلك لا يجدون مشكلة في الشعور بالغضب من الجرائم الواضحة عموماً، ولكننا قد لا ننتبه بما فيه الكفاية حين نرى سلوكاً غير مقبول مثل ذاك الذي رأيناه اليوم. لقد بدا ذلك الرجل الذي جمع حبات الكيوي تلك متشوقاً جدًّا، كما لو أن لغة جسده تقول: «هاه... يا لها من غنيمة كبيرة حصلت عليها اليوم!».

وفي حال وجدنا الأمر مثيراً للاهتمام أو غير خطير ففي ذلك إشارة سيئة. فأنا أظن أنه ينبغي لنا ازدراء سلوكه اليوم. وبرأيي، كان ذلك الرجل حقيراً للغاية!

– لكنه لم يقم سوى بجمع حبات الكيوي التي سقطت على الأرض ولم يسرق شيئاً. ما الذي يمكن لرجال الشرطة أن يفعلوه له لو رأوه؟

– ... لكنني شعرت بالاستياء من الأمر. إذ ينبغي ألاّ نقوم بمثل هذه الأمور، وألاّ نعبّر عن مثل تلك المشاعر الحقيرة بلغات أجسادنا.

– إذاً، ماذا كنت ستفعلين له لو كان بإمكانك محاسبته؟ أستعتقلينه؟ هل ستدينين تصرّفه؟ حتى أنت لم تفعلي شيئاً لإيقافه! فقد ركب دراجته وانطلق مسرعاً... والآن، لا بد أنه يتذوق حبات الكيوي المجانية تلك في منزله!

– نعم، أنا لم أوقفه. كما أنّ ما فعله لا يستحق عقوبة قانونية. لكنني لم أشعر بالارتياح حيال الأمر، وأردت تبادل الأفكار معك حول الموضوع... فأنا أشعر بالخزي من حقارته، وبالأسف لسلوكه... أدرك أنني نكرة، وأعرف أنني لم أستطع أن أكون مُدرِّسة جيدة. ولكنني قررت أنّني بعد تخرجي من الجامعة ودخولي المجتمع سأبذل قصارى جهدي للحؤول دون حصول هذا السلوك الوضيع، ولمحاولة إرشاد أولئك الدنيئين؛ وهذا ما حاول لو شوان فعله في القرن الماضي. وأظن أنّنا بينما نحاول تنقية أرواح الآخرين يمكننا تنقية قلوبنا أيضاً... آه، آسفة... هل كلماتي صعبة عليك؟

– أنا لا أفهم كل ما تقولينه، لكنه يبدو لي جيداً.

– يسعدني أنك تقدّر مشاعري. في الحقيقة، إن أردت أن ترفع مستواك في التعبير فمن المهم أن تبحث في أعماق قلبك وفكرك، وأن تقوم بتحليل عاطفي للأشياء والأمور؛ كالحادث الذي رأيناه اليوم ولغة جسد الرجل. إنّ مهارات الكتابة مهمة بالطبع، ولكنها مجرد قضية تقنية...

في تلك اللحظة، أدار جيان الصغير رأسه نحو الباب، فتتبعت وانغ لي نظراته، ورأت والدته واقفة عند الباب وقد وضعت مريلة حول خصرها، وأمسكت بإطار الباب بإحدى يديها وعيناها متلألئتان بالدموع.

تبيّن لاحقاً أنّ ذلك اليوم لم يكن آخر يوم درّست فيه وانغ لي جيان الصغير. وبعد مغادرتها، اتصلت والدة جيان الصغير بزوجها وقالت له: «لقد طلبت منها البقاء، وسأشرح لك الأمر برمته بعد عودتك إلى البيت».

صندوق البريد

وانغ مينغ

بعد تقاعده، ظل لاو وانغ يتواصل مع أصدقائه؛ حيث كان يتفقّد صندوق البريد الموجود عند مدخل البناء الذي تقع فيه شقته يومياً، ويجد في ذلك مصدر سعادته. فبمجرّد معرفته أن الكثير من الناس لا يزالون يتذكرونه، ويعبرون عن تمنياتهم الطيبة له، ويتشاركون معه أفراحهم وأتراحهم كان يشعر بالبهجة، ولم تكن هناك حاجة لكي يفكر في عدد أصدقائه المتبقين بما أن هناك أشخاصاً لم ينسوه بعد.

ومع مرور السنوات، بدأ عدد أولئك الذين يتذكرونه يقلّ تدريجياً بسبب الموت أو السفر (لزيارة أبنائهم المقيمين في الخارج)، بينما توقّف القلة المتبقون عن الكتابة إليه، وصار صندوق بريده يبدو فارغاً لدى تفقّده إيّاه كل بضعة أيام، ما جعله يشعر بالهجران. وفي أحد الأيام، وجد حزمة كبيرة من الأوراق اللماعة في صندوق بريده فسحبها بحماسة ليكتشف بعد لحظات أنها مجرد إعلانات لعقارات، وعلاجات عشبية.

وبينما كان لاو وانغ ينتظر وينتظر، تلقى أخيراً رسالة من صديق له يعيش في الخارج يخبره فيها أنه أنشأ حساب بريد إلكتروني، ويطلب منه التواصل معه عبر الإنترنت.

وعلى الفور، وبمساعدة من أبنائه، قام لاو وانغ بشراء حاسوب وإنشاء بريد إلكتروني وهو يشعر بسعادة غامرة، كما تعلّم كيفية كتابة رسائل البريد الإلكتروني وإرسالها وتلقيها.

وهكذا، صار لاو وانغ يُمضي عدداً من الساعات يومياً أمام الحاسوب، مُستمتِعاً بما يُقدِّمه له عصر المعلومات الحديث، وبالدردشة مع أصدقائه داخل البلد وخارجه حول جميع المواضيع، وبإرسال رسائل البريد الإلكتروني حتى لأولئك الذين يعيشون في المدينة نفسها؛ شاغلاً نفسه بإرسال

الرسائل والثرثرة وإلقاء التحية. وشيئاً فشيئاً، تطوّر الأمر بالنسبة إليه وأصدقائه، وصاروا يتبادلون الدعابات والقصص المضحكة والمناسبات الاجتماعية والصور والترهات.

وشيئاً فشيئاً، بدأت تلك الحماسة المتقدة تخمد؛ حيث لم يتلقَّ لاو وانغ أي اتصال أو رسالة إلكترونية لما يقارب خمسة عشر يوماً، أي ثلاثمئة وستين ساعة، فسيطر عليه الشعور بالأسف؛ فالوقت يمر والناس يكبرون وتبقى الوحدة... ويا لها من وحدة! عندها، أدرك لاو وانغ حقيقة واحدة... ليس العظماء وحدهم من يشعرون بالوحدة، فالناس العاديون أيضاً قد يشعرون بالوحدة القاتلة.

وعند توقف مراسلات لاو وانغ عبر البريد الإلكتروني، بدأ بريده الإلكتروني يمتلئ بالرسائل العشوائية والفيروسات؛ الأمر الذي شغل وقته في التحقق منها والتخلص من الرسائل المحملة بالفيروسات. وبينما كان يبذل قصارى جهده في مصارعة رسائل العدو وتحديث دفاعاته المضادة للفيروسات، بدا للاو وانغ أنه يسمع أصوات رصاص تصفر في أذنيه، وقنابل تنفجر حوله، وأصبح الأمر أحياناً مثيراً للاهتمام؛ حيث شعر كما لو أنه يقطن في بغداد التي تمطرها القذائف.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت المهمة الأساسية للاو وانغ عند فتحه صندوق بريده الإلكتروني هي مقاتلة الفيروسات والتخلّص منها بدلاً من قراءة الرسائل وكتابتها. وقد شعر بالإثارة لأنه كان ينجح في اكتشاف أكثر من أربعين رسالة تتضمن فيروسات وفي التخلّص منها يومياً؛ باستثناء واحدة عنيدة... حسناً... سيقوم بإجراء حجر لها حتى معركته المقبلة، فهناك الكثير من الأمور التي يستطيع المرء دائماً القيام بها.

الرعاة

جيانغ زي لونغ

لم يعد البروفيسور زوانغ الشريف والمحترم قادراً على تحمل الأمر أكثر، وبدأ الحنق يسيطر عليه. فهو أستاذ محترم في جامعة مشهورة، ولكن لم يتم التعامل معه هكذا حين مرض أثناء رحلة قام بها إلى خارج البلاد لإلقاء محاضرات. وعلى الرغم من أن الباحثين رفيعي المستوى يتلقون العناية الطبية نفسها كالمسؤولين رفيعي المستوى، إلا أنّ العناية التي حصل عليها في المستشفى حينها لا يمكن مقارنتها بما حصل عليه ذلك المسؤول رفيع المستوى المستلقي في السرير المقابل من جناحه. حيث كان سرير الرجل العجوز محاطاً برؤساء الأقسام طوال الوقت، كما حضرت أحياناً نساء جذابات ليخففن عنه، وغطت الأطباق باهظة الثمن الطاولة المجاورة لسرير ذلك الرجل، بالإضافة إلى وجود ستة شباب كانوا يتناوبون في ثلاث فترات لخدمته على مدار الساعة. وحين كان الأطباء والممرضون يحضرون لفحص المرضى في الجناح، كانوا يندفعون أولاً إلى سرير ذلك المدعو المدير وانغ قبل أن يقصدوا سريره؛ هو الأستاذ الجامعي غير المعروف الذي يدرّس مادة الكيمياء. وكانوا يُمضون نصف ساعة في فحص المدير وانغ، فيما لا يُمضون أكثر من عشر دقائق في فحصه هو. وبما أن ابنه يجري أبحاثاً على الصواريخ على بعد آلاف الكيلومترات من المنزل، وابنته تدرس خارج البلاد، كان سريره يبدو كجزيرة مهجورة غالباً؛ باستثناء ذلك الوقت الذي تحضر فيه زوجته العجوز لزيارته يوميّاً على متن حافلة مزدحمة، حاملة معها بعض الطعام. لم يكن ليعتمد على قسم الجامعة، فمن غير المرجح أن يرسل القسم أحداً لزيارته أكثر من مرة كل خمسة عشر يوماً. غير أنّ البروفيسور زوانغ لم يستطع التخلي عن كرامته وهو مستلقٍ على سريره في المستشفى، ومُديرٌ وجهه إلى الحائط وظهره للحشد المتجمع إلى جانب سرير جاره كل يوم. الله وحده يعلم أي مدير هو ذلك الرجل. فرغم أنّ هناك الكثير من الوحدات الكبيرة التي تستحق أن يُقال

عنها إنها شركة، ولكن الآن يستطيع شخص أو اثنان وضعَ لافتة على وحدة يملكانها وإطلاق تسمية شركة عليها.

في أحد الأيام تدهورت حالة المدير وانغ فجأة، وأخبر الأطباء أفراد عائلته بأن يستعدوا لجنازته. عندها، بدأ المزيد من الزوار بالقدوم إليه، بمن فيهم نائب المدير ليو الذي بدلاً من أن يقول كلمات فارغة للتخفيف عن مديره المحتضر التزم بالصمت لفترة قصيرة، ثم أعطى أوامر شاملة، وسأل المدير وانغ إن كانت لديه أي طلبات خاصة أو أي مخاوف قبل أن يغادر هذا العالم، ثم قطع وعداً جاداً بالاستجابة إلى كل ما يطلبه المدير وانغ. وبعد ذلك، نهض ليغادر للقيام بالتحضيرات لجنازة المدير، ونهض معه جميع أولئك المحيطين بالمدير وانغ المحتضر. حيث تنافس أولئك الأشخاص على خدمة نائب المدير ليو، فاندفع بعضهم لفتح باب الجناح له، بينما مشى آخرون بجواره. عندها، انزعج المدير وانغ مما يحصل وقال:

«لم أمت بعد. ماذا تفعلون!؟».

فما كان من البروفيسور زوانغ إلاّ أن أدار وجهه إلى جاره، فوجد المدير وانغ وحيداً؛ حيث كان هذا الأخير يجاهد للفظ أنفاسه الأخيرة، بينما سالت دمعتان على وسادته. عندها، هنّأ البروفيسور زوانغ نفسه لأنه «مفكر رفيع المستوى» لا «مسؤول رفيع المستوى» فمعرفته وقلمه لن يخوناه حتى آخر نفس فيه...

كيف تنجذب الفراشات إلى الأزهار

تينغ غانغ

حين كنت في السادسة والأربعين من العمر، ائتمنني أحد أصدقائي على زوجته.

وقد يكون أمراً طبيعياً أن يرغب بعض الرجال بزوجات أصدقائهم، وقد قال أجدادنا في ما مضى: «الزوجات أفضل لدى الجيران، والأبناء أفضل في منزلك».

وينبغي أن أعترف أنني كنت أخفي بصعوبة رغبتي وإعجابي الشديدين بشيانغ مي زوجة زانغ سان. ولهذا، كنت أتصبب عرقاً كلما وقعت عيناي عليها؛ على الرغم من أنني لن أقوم بالتأكيد بأي شيء مشين يسيئ إلى صديقي. ومع أنّ شيانغ مي كانت تعيش وحدها بعد انتقال زانغ سان إلى هاربين البعيدة، ورغم مروري بباب بيتها يومياً إلاّ أنني لم أمر لزيارتها ولو مرة واحدة؛ فهناك قديس قديم قال مرة: «لا تلمس زوجة صديقك». لكنّ ما فاجأني في الحقيقة هو أن زانغ سان طلب مني مساعدته في العناية بزوجته في اليوم نفسه الذي هاجم فيه الإرهابيون برجَي مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة؛ حيث اتصل بي زانغ سان من هاربين، وأخبرني أن زوجته قد علمت بأمر عشيقته، وأنها هددته عدة مرات بانتحار.

وقد قال لي: «إنني قلق من أن ترتكب حماقة. فالكثير من الأخطاء الفادحة تقع بسبب هفوة لدينا نحن البشر، لكنني لا أستطيع الآن العودة للاهتمام بها. أرجوك، ابذل قصارى جهدك للعناية بها، وانصحها بألاّ تفعل أيّ شيء غبيّ».

بعد ذلك، كلما زُرتُ شيانغ مي كانت تبكي بحرقة وتُدين فعل زوجها، بينما كان وجهي يتصبب عرقاً، فتنهض شيانغ مي وتُحضِر منشفة من الحمام وتعلّق على ما يحصل لي بالقول إنها لم ترَ قط أحداً يتعرق بهذا الشكل. وتدريجياً، بدأت أشعر بعدم الرغبة بزيارتها لسبب بسيط. فحين

رأيتها وهي تبكي سيطرت عليّ رغبة شديدة في الإمساك بها بين ذراعيّ. وكنت أعلم أن الأمور ستخرج عن السيطرة في النهاية، ولم أكن راغباً في القيام بأي شيء يسيء إلى صديقي.

وفي أحد الأيام، سألتني شيانغ مي فجأة إن كان بإمكاني إخبارها عن كيفية نجاح زانغ سان في إغواء عشيقته، وقالت لي:

«يبدو الأمر غير ممكن بالنسبة إليّ. فأنا لا أستطيع تحديد المهارات الخارقة التي يملكها زانغ سان وتسمح له بإغواء امرأة أخرى!».

بالطبع لن أكشف لها الأسرارَ الصغيرة للرجال، ولن أخون صديقي زانغ سان. لكن شيانغ مي أعلنت أنها ستجن إن لم تعرف الجواب، وقالت لي: «أنت صديقه، ولهذا يجدر بك إخباري».

وحين أدركت أنها يائسة فعلاً، وتكاد تجن بسبب ذلك قلت لها: «إنه ليس بالأمر الصعب، فطالما أن الرجل صادق فبإمكانه الحصول على قلب المرأة».

عندها، ردت شيانغ مي: «لا أصدق ذلك! كيف يستطيع أي رجل أن يجذب امرأة إلى سريره إن لم يعدها بالزواج؟! لو كنت مكانها، ما كنت لأذهب إلى السرير مع رجل لا يريد الزواج بي».

– من الصعب للغاية أن أشرح لك.

– ما هو الصعب في ذلك؟ افترض أنني امرأة وأنك زانغ سان فكيف ستغويني؟

– هذا مثير للاهتمام. فهذه الطريقة أكثر سهولة بالنسبة إلي بكثير.

وأخرجت قطعة شوكولا دوف من جيبي وناولتها إياها، فاحمرت وجنتاها خجلاً على الفور وسألتني:

«وكيف عرفت أنني أحب شوكولا دوف؟».

فأجبتها: «حين التقينا لأول مرة قبل إحدى عشرة سنة، كنتُ مع زانغ سان حين أخبرتِه أنك لا تتناولين سوى شوكولا دوف. وما زلت أذكر ذلك حتّى الآن، ومنذ ذلك اليوم وأنا أضع قطعة من هذا النوع من الشوكولا في جيبي دائماً حين أزورك. لكن، بما أنك زوجة صديقي فأنا لن أسمح لنفسي بإغوائك. وقد قدّمت لك قطعة الشوكولا الآن فقط بعد أن طلبتِ مني أن أفشي لك سر زانغ سان، وأريك الخدع القذرة التي يستخدمها الرجال عموماً لإغواء النساء».

أجابت شيانغ مي والدموع تتلألأ في عينيها: «أنت لطيف معي للغاية... لم يعاملني أحد بهذا اللطف من قبل».

وحين رأيت تعابير وجهها الحزينة ذكرتها: «هكذا ينصب الرجال شراكهم».

عندها، عادت شيانغ مي إلى الواقعية وسألتني: «أتعني أنه بإمكانهم إغواء امرأة بقطعة شوكولا فحسب؟! هذا مستحيل! أكمل... أكمل... أرِني الخدع الأخرى التي يقوم بها الرجال».

عندها، بدأت أتعرّق بغزارة، فنهضت شيانغ مي لتحضر لي منشفة، وعادت حاملة منشفة ساخنة فعلقت قائلاً:

«أنا لا أتعرق أو أرتبك أمام النساء عادة، ولكنني لا أدري سبب توتري أمامك وتعرقي كلما رأيتك».

فاحمرت وجنتا شيانغ مي وهي تقول:

- أتتعرق بسببي؟ ما الذي يجعلك تتعرق؟ أنا لست جميلة.
- لا أدري. لكن، إن كانت هناك امرأة تجعلني أتعرق فيمكنك تخيل مدى جمالها بنظري.

وحين لاحظتُ مدى نشوتها لدى سماعها كلماتي قلت لها: «هكذا هم الرجال. فهم يعرفون أن النساء يرغبن في سماع الكلام المعسول، لذا يبهرونهنّ بالكلمات الجميلة».

عندها، تنبّهت شيانغ مي وقالت: «أتعني أنهم يستطيعون استخدام الشوكولا وعبارات المديح للإيقاع بامرأة؟! هذا مستحيل... مستحيل! أكمل... هذا مثير للاهتمام. أرِني الخدع الأخرى التي تستخدمونها أيها الرجال».

فما كان مني إلاّ أن قلتُ فوراً: «لا يمكنني فعل ذلك وإلا فستحصل مشكلة».

وترنحت خارجاً من منزلها، ولم أُرِها وجهي لفترة طويلة؛ إذ ينبغي إنهاء اللعبة وإلا فستخرج الأمور عن السيطرة.

وفي أحد الأيام، اتصلت بي شيانغ مي في مكتبي وسألتني: «لماذا لم تعد تزورني؟! أنت لم تخبرني سوى بنصف الحقيقة في المرة الماضية. لا تحاول التظاهر بأنك شاب رومانسي، فخدعك تلك لا يمكنها أن تؤثر فيّ».

وحين وجدتها لا تزال متشبثة بذلك الموضوع، قرّرت أن أريها جميع خدع زانغ سان القذرة.

وفي أمسية رأس السنة، ذهبت لزيارتها حاملاً معي قطعة من الحلوى بمناسبة عيد ميلادها. وما إن فتحت لي الباب حتى قلت لها: «عيد ميلاد سعيد!».

فاحمر وجه شيانغ مي، واغرورقت عيناها بالدموع ثم قالت:

«حتى أنا نسيت عيد ميلادي. كيف عرفت؟!».

تصبّب العرق مني مجدداً، فذهبَت لإحضار منشفة لي، ولكنها أحضرت لي منشفتها الخاصة.

– أنت لطيف معي للغاية. لا أحد يعاملني بهذا اللطف. ليس لدي ما أتذمّر منه طالما أنك تتذكرني.

وبدأت تبكي فيما كانت تتكلم فأجبتها: «هكذا يوقعون النساء في شراكهم... خطوة تلو الأخرى».

غير أنّها ظلت تبكي، وبدأت أشعر بتوتر أكبر فذكرتها:

«شيانغ مي... استيقظي... لا تأخذي تصرفاتي بجدية... فأنت التي أقنعتني بالكشف لك عن خدع الرجال».

ثمّ سحبت المنشفة التي كانت قد وضعتها على رأسي ومسحت بها دموعها وقالت:

«هذا مستحيل! مستحيل... أتغوون النساء بهذه الخدع البسيطة؟ أكمل! أريد أن أرى الخدع الأخرى التي تستخدمونها أيها الرجال».

فأجبتها: «في المرة القادمة!».

وقبل أن أخرج من منزلها، أقسمت على عدم العودة إليه لأنني أدركت أنها قد وقعت في شراكي بالكامل.

وفي أحد الأيام، اتصلت بي شيانغ مي في مكتبي مجدداً وأعلنت: «إن استمررت بإخفاء السر عني فسأجن».

لذا، في ليلة هجوم الولايات المتحدة على أفغانستان كان المطر يهطل بغزارة. ولأُظهر لها كيف أوقع زانغ سان بامرأة أخرى في شباكه، ذهبت إلى جامعة شيانغ مي لإعطائها مظلة، ووقفت تحت المطر عمداً كي أبتلّ بالكامل. وحين خرجت شيانغ مي من الصف ورأتني واقفاً هناك تحت المطر، سالت الدموع على وجهها وسألتني:

«كيف عرفت أن لدي محاضرة هنا؟».

– هذا ما يفعلونه. فالرجال يعلمون أن النساء طيبات القلوب، لذا يبللون أنفسهم بشكل متعمد، وهكذا يتمكنون من القيام بالضربة القاضية.

– أنت لطيف معي للغاية... لقد أثّرت فيّ كثيراً؛ فلا أحد يهتم بي مثلك.

وبعد وصولنا إلى منزلها، جلست شيانغ مي على سريرها. وحين أدركت مدى نشوتها شعرت بالأسف حيالها، وأمسكت بها بين ذراعيّ. في البداية، تشبّثت بي بقوة مغمضة عينيها، وحين كنت على وشك تقبيلها دفعتني فجأة وهي تقول:

«لا... أوه، لا... لا يمكننا فعل ذلك».

– أنت محقة في إبعادي، وإلا ما كنت لأتمكن من مواجهتك مجدداً... اهتمي بنفسك.

التفتُّ لأغادر، لكنها اتكأت بظهرها على الباب وبكت قائلة: «أرجوك ابقَ».

كنت على وشك دفعها على السرير، ولكنها استلقت عليه من تلقاء نفسها. وبينما كانت ساقاي منثنيتين ورأسي للأسفل قلت لها: «هكذا يقومون بالأمر بعد الإمساك بالفريسة».

فانفجرت شيانغ مي بالبكاء وقالت: «أنتم الرجال جميعكم أوغاد!».

وعلى الرغم من أنني لم أعد أتعرق عند رؤيتي شيانغ مي، إلاّ أنني كلما تذكرت تلك التجربة رحت أتصبّب عرقاً؛ لأنني أعلم أنه حين سيعرف الناس بالأمر فسيعتبرون ذلك فضيحة، حتى في الولايات المتحدة.

الحب في عام 1999

بي بي

ما إن دخلت دو إير مكتبي كثعلب فضي حتّى قررت أنها ستصبح زوجتي. فقد حضرت كرد على الإعلان الذي نشرته لطلب سكرتيرة. كان العالم مليئاً بالشركات، ولكنها اختارت القدوم إليّ! وبينما كنت أستمتع بذلك الشعور الرائع، أشعلت سيجارة ودخنت ببطء وأنا أحدق إليها من خلف الدخان، ثم داعبتها قائلاً:

«انتبهي يا آنستي، فربما تكونين قد دخلت سفينة قرصان».

فابتسمت دو إير ابتسامة عذبة وأجابت:

«وما أدراك أنني لست قرصاناً صعد إلى سفينتك يا حضرة الرئيس؟».

كنت قد أمضيت عشر سنوات في تأسيس شركتي، حيث شحذتني الخبرات وجعلتني أقفز في «بحر الأعمال» كواحد من روّاده، وجعلتني أتصف بالفراسة. غير أنني كنت لا أزال رغم ذلك أصدق مقولة «الوقوع في الحب من أول نظرة».

كانت دو إير خريجة جامعية حاصلة على شهادة في اللغة الإنكليزية، وتتمتع بوجه جميل وشخصية قوية. كما كان لفظها للكلمات باللّغة الإنكليزية رائع جداً؛ لدرجة أن الآلهة كانت ستضحك على غبائي لو لم أعين هذه الفتاة الرائعة كمساعدة شخصية لي. لذا، أعلنت على الفور: «يمكنك يا دو إير أن تبدئي بالعمل فوراً».

ببساطة، لم أكن أتخيل كمية المعلومات التي تعرفها دو أير عن شركتي؛ كما لو أنها كانت تستعد لشغل هذا المنصب طوال سنوات حياتها. كما أن سرعة وقوعنا في الحب فاقت توقعات

الجميع؛ حيث إنني كنت ألفّ ذراعي حول خصرها الرشيق فيما نحن نمشي ليلاً في شوارع المدينة المضاءة بالنيون، وأنا أشعر بخفة شديدة جعلتني أظن أنه بإمكاني التحليق إلى السماء. آه يا عزيزتي دو إير، كم أنا محظوظ! وقد قلت لها مرة: «أنت أفضل صفقة عقدتها عام 1999!».

فتجمدت التعابير البهيجة التي كانت تبدو على وجهها قليلاً، ثم عادت الابتسامة لترتسم على شفتيها وقالت:

«لا تلمني يوماً على عدم تنبيهك؛ فأنا أفعى سامة وسأدفع شركتك إلى الإفلاس التام».

عندها، انفجرت ضاحكاً؛ فقد كانت دو إير عبقرية في تعليقاتها المثيرة والصريحة... يا لها من امرأة فريدة ومثيرة!

اشتريت لها شقة وسيارة والعديد من الملابس الفاخرة، وحاولت طمأنتها بالقول لها: «أريد يا دو إير أن أمنحك حياة ملكة».

فردّت: «انتبه... تستطيع الأفعى أن تلدغك لدغة قوية ومميتة. أنت حر في تصديق كلامي أو عدم تصديقه».

عندها، رفعتها بلطف ودرت بها بمرح كما يحصل في المشاهد التي كنت أشاهدها في الأفلام، بينما كانت دو إير تضحك بين ذراعيّ كحمامة تهدل بسعادة. كنت مندهشاً من التغيير الذي طرأ عليّ، إذ بدأت أشعر بأنني تحوّلت من كوني رجلاً ضعيفاً ونحيلاً إلى عاشق مفعم بالنشاط ذي ذراعين قويتين وعاطفة لا تخبو... أمر لا يصدق! ومنذ أن انضمت دو إير إلى شركتي تطوّر عملي على نحو كبير؛ حيث تدفّقت الصفقات الرابحة وامتلأت جيوبي بالنقود. وفي تلك الفترة، جاءتني طلبية ضخمة من أستراليا.

عندها، انطلقت إلى أستراليا مع دو إير. إذ لم أكن بحاجة إلى أحد حين تكون دو إير بجانبي، فقد كنت أستمتع بالسماء الزرقاء والغيوم البيضاء والمحيط الشاسع والعشب الأخضر، كما أستمتع برفقة الفتاة الجميلة إلى جانبي التي جعلتني أشعر بالنشوة.

كان التاجر الأسترالي رجلاً صينياً عاشت عائلته في أستراليا منذ ثلاثة أجيال. وهناك بدأت المشاكل، إذ لم يكن يفهم اللغة الصينية، فيما أنا لا أتكلم الإنكليزية. لكن، لحسن الحظ كانت دو إير معنا.

لذا، قلت لها: «جميع مفاوضاتنا تعتمد عليك يا دو إير! إنها صفقة ضخمة، وقد وضعت كل ثروتي فيها، لذا لا يمكننا ارتكاب أي خطأ».

فنظرت إليّ دو إير بعينيها الساحرتين وقالت: «لا يمكنك الثقة بي أو الاعتماد علي».

غير أنّني داعبت وجنتها مُطمئِناً لتدخل ميدان المعركة مرتاحة. فبمن سأثق إن لم أثق بها؟!

استمرت المفاوضات وقتاً طويلاً، حيث كنت جالساً بجوار دو إير وأنا أسمع العبارات الإنكليزية التي راحت تتدفق من بين شفتيها الرائعتين من دون أن أفهم كلمة واحدة. فيما جلس ذلك الأحمق في الطرف المقابل لي وهو ينقّل نظراته بيني وبينها، وعيناه تعكسان المفاجأة أو الصدمة أو حتى الارتباك. ظننت أنه كان مذهولاً بمهارات دو إير التفاوضية الخارقة؛ إذ إن قدرتها على الإقناع تفوق الخيال بالنسبة إليّ.

لكن، تبيّن لي في النهاية أنني مَن أصيب بالذهول؛ لأنني خسرت في تلك الصفقة كل شيء... كل ما أملكه. وأكثر ما صدمني هو أن دو إير قد فعلت ذلك متعمّدة؛ حيث خططت لتركي مفلساً بالكامل. صرخت في وجهها بصوت أجش: «لماذا فعلت هذا؟!».

فأجابتني دو إير بهدوء وبرودة:

«دعني أنعش ذاكرتك الآن... قبل عشر سنوات، قمتَ بوضع خطة خبيثة لتحطيم شركة تدعى دافا. أتتذكر ذلك؟ لقد أصيبت الشركة بالإفلاس التام بسبب خدعك القذرة، ما دفع مالكها للانتحار ورمي نفسه من أعلى أحد المباني».

أصبت بالذّهول لدى سماعي كلامها. فقد سبق لي أن استخدمت كل الأساليب النظيفة والقذرة لجعل عملي ينطلق قبل عشر سنوات. لكنّ ذلك حصل قبل عشر سنوات!! هل دو إير...؟

فجأة، قاطعت دو إير حبل أفكاري مبتسمة وقالت: «أنت محق. أنا ابنة مالك شركة دافا، وقد قطعت على نفسي عهداً قبل عشر سنوات بأنني سأبذل قصارى جهدي لأجعلك تعاني كما عانى أبي! والآن، أصبحنا متعادلين. والآن، سأساعدك في تأسيس شركة جديدة... شركتنا».

ذُهِلتُ ممّا سمعته، ورحت أحدق إليها كالمشدوه. غير أنّها اقتربت منّي وأمسكتني بين ذراعيها قائلة: «يا لك من أحمق رائع!».

وهكذا، تحدث في الحياة أمور غير متوقعة! ففي عام 1999، تعرّضت لخدعة غير متوقعة جعلت دو إير تنجح في الانتقام لأبيها مني. لكنني في النهاية حققت حلمي وتزوجت منها.

القدوة

تشين يونغ

في النهاية، اختار فينغ زي العودة إلى قريته ليعمل أستاذاً في المدرسة. وحين احتشد جميع زملائه في الدراسة في محطة القطار لوداعه تذكر فينغ مقطعاً شعرياً من قصيدة قديمة:

انطلق جندي شجاع في رحلة بلا عودة، مدركاً تماماً أنه قد لا يعود.

في البداية، توجّه فينغ زي إلى مكتب التربية والتعليم في الريف. وبعد توقيعه على استمارة طلب الوظيفة، حدق إليه أحد موظفي المكتب وسأله: «هل أنت متأكد من أنك خريج جامعة نورمال؟».

لم يجب فينغ زي عن سؤال الرجل المتشكك. ومن دون أن ينظر إليه، حمل كيسيه الكبيرين المليئين بالكتب والثياب، واستقلّ الحافلة متّجهاً إلى قريته.

وما إن رآه والده لدى وصوله إلى المنزل حتّى ركض إليه ليسلّم عليه وسأله: «هل أمور العمل على ما يرام؟».

غير أن فينغ زي تجاهل سؤال والده أيضاً، وناوله كيسيه ثم دخل المنزل. وبعد أن شرب كوباً كبيراً من الماء، أخبر والده أن صحيفة «إفنينغ نيوز» الخاصة بالمقاطعة قد عرضت عليه أن يعمل صحفياً لديها ولكنه رفض عرضها.

- لماذا؟

- أردت أن أعود إلى القرية لأعلِّم في مدرستها.

فسأله والده بصوت مرتعش: «هل ارتكبت خطأ شنيعاً في الجامعة؟!».

فأجاب مستنكراً: «لقد تم اختياري لأكون طالب الشرف في كل عام. فكيف يعقل أن أكون قد ارتكبت خطأً شنيعاً؟!».

– إذاً، لماذا عدت إلى هذا المكان الفقير؟

– مدرستنا بحاجة إلى مدرسين... أليس كذلك؟

عندها، وقف والده مندهشاً لبعض الوقت، ثم تنهد بحرقة وتوجّه إلى المطبخ ليحضّر «النودلز» لابنه.

كان فينغ زي قد فقد والدته في سن صغيرة، ووالده هو الذي ربّاه. لذا كان باستطاعة فينغ زي فهم تعابير وجه والده جيداً، وأدرك أن والده غير مرتاح لخياره، وشعر بالألم بسبب ذلك. فقد كان يفضّل لو أن والده وبخه بقسوة أو حتى صفعه على وجهه بدل أن يلتزم الصمت غير متفهّم لقراره.

لذا، ما إن أنهى «النودلز» حتّى توجّه مسرعاً إلى مدرسة القرية لمقابلة المدير.

كان المكان الذي يُقال عنه إنه مدرسة القرية عبارة عن أربع حجرات مسقوفة بالقش، ويوجد أمامها جذع شجرة تنوب يرتفع أربعة أو خمسة أمتار، وهناك علم باهت يرفرف فوقها. وقد كان المدرس الوحيد في المدرسة هو المدير نفسه.

وجد فينغ زي المديرَ جالساً القرفصاء في حقل المدرسة، وواضعاً نظارة تنقصها إحدى ذراعيها. وكان يعتني بالخضروات التي زرعها.

ناداه فينغ زي بلطف: «أيها المدير».

عندها، التفت المدير إليه بسرعة، وكادت نظارته تسقط، بينما ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه ما إن وقعت عيناه على فينغ زي.

فبادره فينغ زي بالقول: «أنا هناك للتدريس في مدرستنا... سأعمل تحت قيادتك منذ الآن فصاعداً».

– أنت...

تحمّس المدير كثيراً، فلم يتمكن من التلفّظ بأي كلمة أخرى، واكتفى بالإمساك بيدَي فينغ زي بيديه الملطختين بالطين وقد اغرورقت عيناه بالدموع.

بعد ذلك، أعدّ المدير طبقاً من البيض المقلي كترحيب خاص بضيفه، ثم دعا فينغ زي لتناول الشراب، وأعلن بفخر:

«في العام الذي تلى قبولك في الجامعة، تضاعف عدد الأولاد الذين التحقوا بمدرستنا... الجميع يعتبرونك قدوة لهم».

عندها، تذكر فينغ زي تلك الأيام؛ حين كان معتاداً على العودة إلى القرية خلال عطلات الصيف والشتاء. فقد كان القرويون يتشاجرون ويتنافسون على دعوته لتناول الطعام في منازلهم، ويطلبون منه إعطاء المحاضرات لأبنائهم؛ إذ كانوا يريدون أن يصبح أبناءهم مثله.

لكن، هذا الصيف لم يدعُهُ أحد إلى وجبة ما. وحين كان يلتقي القرويين على الطريق، كان بعضهم يسألونه بارتياب: «أحقاً يا فينغ زي ستدرس في مدرستنا؟».

فيجيب: «نعم».

وحين بدأ الفصل الجديد في فصل الخريف، كان عدد الطلاب الذين التحقوا بالمدرسة قد تضاءل إلى الثلث مقارنة مع السنة الفائتة، فلم يفهم المدير وفينغ زي سبب ذلك. فلماذا قلّ عدد الطلاب فيما تضاعف عدد المدرسين في المدرسة!؟

عندها، أخذ فينغ زي قائمة بأسماء الطلاب الذين كانوا يرتادون المدرسة في العام الفائت، وراح يتنقّل من بيت إلى آخر لمعرفة السبب. فأجابه الجميع أن أطفالهم لن يذهبوا إلى المدرسة بعد الآن، وأنهم بعد سنة أو اثنتين سيرسلونهم إلى البلدة للعمل هناك.

- ابنكم صغير للغاية... فلماذا تحرمونه من الدراسة في هذه السن المبكرة؟
- لأن المدرسة بلا فائدة.
- كيف هذا!؟ قد يدخل الجامعة في المستقبل.

ومهما قال فينغ زي وحاول إقناع الأهل للسماح لأولادهم بمتابعة تحصيلهم العلمي، كان القرويون يلتزمون الصمت. وما إن يخرج من بيتهم حتى يسمع تمتماتهم وراءه: «وما الذي سيتغير

إن دخل الجامعة؟ فهو سيعود إلى القرية ليصبح فلاحاً من جديد بعد إنهائه تعليمه العالي... أليس كذلك؟».

كانت تلك الكلمات تعتصر قلب فينغ زي.

وهكذا، جال في القرية لأيام، وبذل جهوداً ضخمة، ولكنّ عدد الطلاب الملتحقين بالمدرسة لم يزدد. غير أنّه تلقى رسالة من مكتب التربية والتعليم في المقاطعة يدعوه فيها لتسلّم ميدالية «لمحاولته مساعدة الأطفال الفقراء على البقاء في المدرسة»؛ حيث كان فينغ زي قدوة لعشرات الآلاف من مدرِّسي مدارس القرى في مقاطعتهم.

جرس الباب

آن يونغ

في تمام الساعة 11:45، وضعَت الزوجة الطبقين اللذين حضَّرتهما للتو على الطاولة.

كان الطبق الأول عبارة عن البيض المقلي مع الفلفل الحارّ؛ وهو الطبق المفضل لدى زوجها الذي يحب الطعام الحار جداً لدرجة أنه يجعله يتصبب عرقاً وهو يتمتم: أوووه.... وووه. ورغم ذلك، يظل مصراً على أنه كلما كان الطعام حاراً أكثر كان ذلك أفضل. أما الطبق الآخر فهو عبارة عن البازيلاء المقلية مع قطع اللحم، وكان ابنهما يحب هذا الطبق للغاية. في الواقع، لم يكن ذلك الموسم موسم البازيلاء، ولكنها بحثت كثيراً في سوق المزارعين حتى وجدت مزارعاً من خارج البلدة يبيعها. ولكنه لم يطلب سعراً باهظاً فحسب، وإنما عاملها بغطرسة أيضاً؛ كما لو أنه مدرك تماماً للطلب المتزايد على بضاعته في ذلك الوقت. غير أنها من دون أي تردد اشترت البازيلاء؛ لأنها كانت تعلم أنها قد تكون آخر فرصة لها هذا العام، وإن فوّتتها فسيضطر ابنها للانتظار حتى العام التالي ليطلب هذا الطبق مجدداً. والآن، على الطاولة يوجد طبق البازيلاء الرائعة الذي تبدو فيه حبّات البازيلاء متلألئة تحت قطرات الزيت. ولكنها حين ألقت نظرة متفحصة عليه، انتبهت إلى أن بعض قطرات الزيت بدأت تختفي تماماً؛ كما يفعل ابنها المشاغب حين يلعب لعبة «الغميضة» المفضّلة لديه.

وحين تذكّرت السعادة التي سيشعر بها ابنها عندما يتناول طبق البازيلاء ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها.

كانت المدرسة تقع في حيهم، ما يعني أن ابنها سيصل إلى المنزل خلال عشر دقائق؛ إن لم يتأخر بسبب اللعب على الطريق. وكالعادة، سيقوم بالضّغط على زرّ جهاز الاتصال الداخلي

الموجود خارج المبنى، قبل أن يركض إلى الأعلى مُصدِراً ضجيجاً. لم يكن يفعل ذلك لأن باب المبنى يكون مغلقاً، وإنما لأنه يرغب دائماً بالإعلان عن قدومه؛ حيث كان يستمتع بالتباهي عن حسن نية. لذا، حين تسمع صوت الجرس ستملأ وعاءه بالأرز وستضعه على طاولة الطعام. فاستراحة الغداء في مدرسة ابنها قصيرة، ولهذا السبب غالباً ما يلتهم طعامه بسرعة كما لو أنه ذئب صغير. وقد حاولت كثيراً أن تصحِّح تصرفه، ولكن بلا جدوى. وقبل أن يصل إلى الصف الرابع، كانت تقود دراجتها لملاقاته أمام مدرسته، ثم يعودان معاً إلى المنزل خلال خمس دقائق. ولكنه حين أصبح في الصف الرابع طلب منها أن تسمح له بالعودة إلى المنزل بمفرده، وشرح لها أسبابه قائلاً:

«لقد كبرت. سيضحك علي زملائي إن أتيت وأخذتني من المدرسة كل يوم».

في تمام الساعة 11:50 وصل زوجها إلى المنزل، فارتسمت ابتسامة على وجهها وهي تراقبه بينما راح يتنشّق رائحة الطعام المنبعثة من الأطباق الموضوعة على الطاولة، ثم قال: «هيا، فلنأكل!».

غير أنّها نظرت إليه وقالت: «دعنا ننتظر قليلاً بعد لنتناول الطعام معاً حين يصل الصبي إلى المنزل».

فما كان من زوجها إلاّ أن أومأ مبتسماً.

وهكذا، مرت خمس دقائق... لكنّ الجرس لم يرن.

أمسكت الأم بمنشفة الأطباق، ولكنها نسيت ما كانت تريد مسحه فأعادتها إلى مكانها.

أما زوجها فكان يدخن سيجارة وهو جالس على الأريكة.

تمتمت لنفسها ولزوجها:

«هل الصبي يلعب في الطريق مجدداً؟! ينبغي أن يكون في البيت الآن. ما رأيك بأن نتصل بأستاذه لنرى إن كان قد أنهى درسه؟».

لم يردّ عليها زوجها. لكنه تنهّد قليلاً، فسمعته على الرغم من أن تنهده كان خافتاً، وقالت له:

«ما الفائدة من التنهد؟ الأولاد بحاجة إلى السيطرة عليهم من قبل أهلهم. ألم تكن مشاغباً وكثير اللهو حين كنت صغيراً؟».

كانت تقف قرب خزانة الأحذية بجانب الباب مستعدة لفتحه ما إن يرن الجرس.

فمشى زوجها نحوها، ثم أمسك بيدها وقال:

«ربما... ينبغي لنا أن نتناول طعامنا الآن وإلا فسيبرد».

عندها، شعرت بالاستياء قليلاً وأبعدت يدها.

وبحلول الساعة 12:05 كان جرس الباب لا يزال صامتاً. أمّا الزوج فكان جالساً على الأريكة مغمضاً عينيه وعلى وشك النوم. فجأة، استشاطت غضباً واتجهت نحوه، ثم سحبته إلى باب الشقة قائلة:

«كيف يمكنك أن تكون أباً بلا رحمة؟ انزل وتفقد الصبي!».

اتكأ الزوج على خزانة الأحذية وهو ينظر إليها من دون أن يغادر أو يتكلم، لكنّ صبرها نفد، ففتحت الباب ودفعته إلى الخارج، ثم رمت حذاءه من الباب وهي تقول:

«اذهب وأحضر ابننا إلى المنزل».

عندها، أمسك زوجها بإطار الباب، ثم باعد ذراعيه وضمّها إلى صدره مُطمئِناً: «أرجوك، لا تدعي خيالك يأخذك بعيداً».

غير أنّها دفعته بعيداً بكل قوتها، وأخذت حذاءها واستعدت للذهاب لتبحث عن ابنها بنفسها.

لكن زوجها أمسكها بين ذراعيه مجدداً، وقال لها: «اهدئي الآن. لن يعود ابننا».

«لِمَ لن يعود؟! لا بد أنه يلعب على الطريق ولم ينتبه إلى مرور الوقت».

وجاهدت لتتخلص من ذراعَي زوجها، ولكنه أمسكها بقوة أكثر.

بدأت تقاومه بكل قوتها، وتضربه بقبضتَي يديها، وتعضه بأسنانها... لكنّ زوجها ظل واقفاً مكانه في وجه هجومها الجنوني. كانت ذراعاه قويتين، لذا لم تتمكن من تحرير نفسها، فصرخت

بقوة ثم بدأت تخدش وجهه بأظفارها كحيوان هائج، وراحت تركل ساقيه وهي تشتمه بصوت مرتفع. وبعد أن قاومت وصرخت بهذه الطريقة لفترة من الزمن، أغمي عليها وسقطت على الأرض.

وحين استيقظت، وجدت نفسها مستلقية على الأريكة وزوجها بجوارها يحدق إليها باهتمام وقد ظهرت بعض الخدوش على وجهه، بينما سالت الدموع من عينيه، فشعرت بالخزي وتمتمت:

«كيف نمت؟! هل رن الجرس؟ لقد حضّرت لابننا طبق البازيلاء الذي يحبه!».

السجادة

هانغ يينغ

وأخيراً، تم نشر كتاب الأستاذ تشي، وتلقى لأجله مبلغاً كبيراً من المال.

كان الأستاذ تشي رجلاً عجوزاً نحيلاً، يظل منغمساً طوال الوقت في أبحاثه، ولكنه غير قادر على الاهتمام بنفسه. لذا، بعد وفاة زوجته، أصبحنا نحن – طلابه في الدراسات العليا – من يعتني بحياته الخاصة. ولإيجاد أفضل طريقة ينفق بها دخله الكبير، عقدنا العديد من جلسات النقاش لمناقشة هذه القضية.

كان هناك الكثير من الأمور التي يحتاج إليها منزل الأستاذ تشي. فبعد أن تم نهبه خلال «الثورة الثقافية»، اختفت مفروشاته وغيرها من الممتلكات. وقد عرض الأستاذ تشي رأيه الشخصي في ما يتعلق بذلك، وقال إن أكثر الأمور إلحاحاً وأهمية بالنسبة إليه هو شراء الأغراض التي ستساعده في تأليف كتابه الجديد.

وهكذا، وضعنا الخطة تلو الأخرى؛ ولكنها كلها لاقت رفض الأستاذ تشي.

وحين حثثناه على الاعتدال في مشترياته، ربّت على ذراع كرسيه، ثم نظر إلى السقف متنهداً وقال لنا:

– ليس لدي وقت كافٍ...

– إذاً، ماذا تريد أن تشتري بالمال؟

– كنت أفكر في الأمر منذ وقت طويل... لكنني لن أخبركم بما يجول في بالي... فقط تعالوا معي لشرائه. أيمكنكم الطلب من مكتب الإدارة في الجامعة إرسال سيارة شحن يابانية الصنع من أجلي؟ واطلبوا منهم أن يقتطعوا الأجرة من راتبي لو سمحتم.

اندهشنا من قراره ذاك، ولكننا عرفنا أنه من غير المجدي الضغط عليه بشأن خطته، وأنه لا يمكننا سوى الترتيب لاستئجار سيارة الشحن، ومرافقته للتسوق.

ووفقاً لتعليماته، أوقفنا سيارة الشحن أمام المتجر الكبير في مدينتنا؛ حيث نظر الأستاذ تشي أمامه مباشرة ومشى نحو المصعد قائلاً لنا: «ادخلوا، واصعدوا إلى الطابق العلوي».

كان الطابق العلوي في المتجر يبيع الفرو والمجوهرات والتحف والسجاد. مشى الأستاذ نحو قسم السجاد، وانحنى ليتحقق من قياس إحدى السجادات، ثم أشار إلى سجادة وقال لنا:

– اشتروا هذه.

– ماذا!؟

قلنا ذلك بصوت ملؤه الاستغراب، ثم اعترضنا على خياره:

– ليس لديك أثاث فخم في المنزل، فلماذا تشتري هذه السجادة الثمينة؟

– ستكون مفيدة بالتأكيد. ها هو المال... اذهبوا وادفعوا ثمنها في قسم المحاسبة.

أخذت المال من يده، غير أنني استمررت في محاولة تغيير رأيه:

– إن كنت بحاجة إلى سجادة، فلست مضطراً إلى دفع كل هذا المبلغ لقاء سجادة سميكة كهذه...

– بلى... بلى... أنا بحاجة إلى سجادة سميكة؛ فالسجاد الرقيق بلا نفع.

وبما أنني لم أكن قادراً على عصيانه، دفعت الفاتورة كما طلب مني، ثمّ لففت السجادة السميكة، وتعاونت مع رفاقي على حملها إلى سيارة الشحن.

وحين وصلنا إلى المبنى الذي يقيم فيه، حملنا السجادة إلى الطابق الثاني حيث تقع شقته، وانتظرنا قدومه ليفتح لنا الباب. ولكنه بعد أن شكر السائق وصعد السلم أشار بيده قائلاً:

– اصعدوا طابقاً آخر؛ إلى الطابق الثالث!

– لماذا إلى الطابق الثالث؟

– اتبعوني وحسب، وستعرفون الجواب حين تصلون.

وهكذا، لم يكن أمامنا أي خيار سوى حمل السجادة إلى الطابق الثالث.

وحين وصلنا إلى الطابق الثالث، توجّه إلى باب الشقة التي تقع فوق شقته مباشرة، وطرق على الباب بلطف. لكن يبدو أن أحداً لم يسمعه، إذ كانت الضجة المنبعثة من وراء الباب عالية. لذا، طرق الباب مجدداً بقوة أكبر. وبعد لحظات، فُتِح الباب هذه المرة، وظهر وجه شاب مبتسم. كان ذلك بيغ داي؛ الطاهي الشاب في مطعم المدرسة. وعلى الرغم من أنه لم يفتح الباب إلا قليلاً، إلاّ أن صوت الضجيج والضحك العالي ملأ المكان.

– أوووه، الأستاذ تشي... إنك نادراً ما تزورنا مع أننا جيرانك في الطابق العلوي! تفضّل.

فانحنى الأستاذ تشي قليلاً وقال: «مممم! أنا هنا لأنني... لقد كنت منذ زمن أرغب في تقديم هدية لكم... وها هي الآن. أتمنى أن تنال إعجابكم».

عندها، ضحك بيغ داي وخطى إلى الأمام وهو يصفق بيديه قائلاً:

«هاه! سمعت أنك حصلت على مبلغ كبير من المال. إذاً، لقد حصلنا نحن جيرانك على حصة من المال! ليزو... تعالي وانظري! تعالي بسرعة وقولي شكراً...».

ثمّ فتح فاه بدهشة حين رآنا نحمل السجادة الثقيلة.

كان هناك حوالي ستة أو سبعة شبان وشابات داخل الشقة، وقد بدوا جميعهم سعداء. تقدمت النادلة ليزو بأنفاس متقطعة لتشكرنا، ولكنها سرعان ما تسمرت في مكانها مندهشة، كما تجمّد الراقصون في أماكنهم؛ حيث وقف الجميع وهم يحدقون إلى السجادة من دون إصدار أي صوت.

ثمّ تكلمت ليزو محرجة:

– لقد فهمنا الرسالة... سنحاول ألاّ...

غير أنّ الأستاذ تشي قاطع تلعثمها قائلاً: «أرجوكم اقبلوها... فقط ضعوها على أرضكم... ضعوا السجادة على الأرض».

عندها، فردنا السجادة على الأرض نزولاً عند طلب الأستاذ تشي، بينما حاول مضيفونا إيقافنا. لكنّ الأستاذ تشي قال بحزم:

«ما المشكلة؟! إن وضعتموها في منزلكم فكأنها في منزلي».

وعند عودتنا إلى شقة الأستاذ تشي في الطابق الأسفل، بدأنا نتذمر بشأن قراره؛ فقد اشترى السجادة وقدّمها للآخرين مجاناً. ولكنه لم يُنصِت إلى تذمرنا، وإنما جلس على كرسيه الوثير ونظر إلى السقف نظرة ذات مغزى. وبعد أن أصغى السمع لبرهة، ضحك وقال لنا: «إنها بالتأكيد تستحق ثمنها... إنها تستحق ثمنها على الرغم من تكلفتها المرتفعة».

وأشار بإصبعه إلى السقف، ثم التفت إلينا متسائلاً: «كيف تقولون إنني قدّمتها إلى الآخرين مجاناً!؟ أليست ممدودة هناك على سقف بيتي؟».

الزمن

تشين يو

كان مو يي يي مصوراً صحفياً لمجلة الصين المصورة. وقد التقينا في ورشة عمل في مدينة شيامين، في ربيع عام 1998.

حضر الكثير من الناس ورشة العمل تلك؛ فقد شارك فيها حوالي خمسين كاتباً مشهوراً وغير مشهور. وقامت اللجنة المنظمة بعمل رائع لتمكينا من سماع المحاضرات والخطابات، والتجول في المدينة، ورؤية البحر.

كان اسمه أول ما لفت نظري؛ فهو يدعى مو يي يي... يا له من اسم غريب! مو يي يكفي، فلِمَ أضيفت يي أخرى؟ وخطر ببالي أنه ربما يكون لديه أخ أكبر. وحين سألته عن ذلك، علمت أن لديه أختاً أكبر. إذاً، يي ويي الأخرى تعنيان اثنين. وحين رأيته مجدداً، أخفضت صوتي وناديته: «مو الثاني».

فابتسم ابتسامة مشرقة نقية، وتضاءلت المسافة بيننا على الفور.

بعد ذلك، وخلال خطاب ألقاه في جلسة مناقشات، قال إن روايته «بدأت من حيث أراد أن تبدأ، وانتهت حيث كان يأمل أن تنتهي». كما قال إنه لم يتمكن من مناقشة تقنيات الكتابة بما أنه لا يتبع أي تقنيات. فكل من رواياته تدور عن حياته أو حياة شخص آخر؛ لأن الروايات لا «تُصنَع»، وإنما هي نقطة التقاء حياة الكاتب بشخصيته، وبالتالي هي أمر «إرادي لا تقني».

تفاجأت لدى سماعي هذه الأفكار الصادرة من فم شاب مثله، ثم علمت في ما بعد أنه كان طالباً مجداً في قسم اللغة الصينية في جامعة بكين، وبعد تخرجه وبدلاً من العودة إلى مقاطعته

شان دونغ بقي في بكين وأصبح صحفياً مصوراً.

كانت ورشة العمل مليئة بالمرح. فقد استمرّت المناقشات ليوم واحد، ثم استخدم المنظمون حافلتَي سفر لاصطحابنا في رحلات إلى العديد من الأماكن السياحية يومياً. وعند وصولنا إلى تلك الأماكن، كان الناس ينشغلون بالتقاط الصور؛ حيث كانوا يلتقطون صوراً لبعضهم بعضاً، أو يشكلون مجموعات عدة لالتقاط الصور. وبما أنني لم أكن مشهورة أو جميلة، فقد ظننت أن أحداً لن يهتم بالتقاط الصور معي. لذا، اخترت ركناً بعيداً عن حشد يصدر ضجة كبيرة، ووقفت أحدق إلى البحر بهدوء. كان البحر مهيباً ورائعاً بالنسبة إليّ بما أنني عشت في الأراضي الداخلية لفترة طويلة. فقد كانت الطيور البحرية تحلق وتطير فوق البحر الشاسع، بينما بدت المراكب المبحرة في الأفق، أما نسيم البحر فملأ صدري بالهواء المنعش. رفعت وجهي وأغمضت عيني لأنغمس في ذلك الجوّ وأتمتع بالهدوء.

وحين رأيت مو يي يي في اليوم التالي، ناولني صورة كانت عبارة عن مونتاج لصورتين لكلينا؛ حيث كنت أرتدي ثوباً أبيض وأجلس هناك محدقة إلى البحر، فيما هو يرتدي قميصاً أسود ويحدق إليّ وقد أمال رأسه وشبك ذراعيه أمام صدره. وكان نسيم البحر يحرّك شعري الطويل وتنورتي وشعره القصير أيضاً. كما كان ظله أسود اللون وظلي أبيض اللون منعكسين على الشاطئ الرملي الذهبي، فيما السماء الزرقاء السماوية تبدو في الخلفية، وكذلك أمواج البحر الهائجة...

تم التقاط الصورة بدون معرفتي، ولكنها بدت طبيعية ومصطنعة في آن واحد. وقد لامست قلبي، لذا قلّبتها بين يديّ، ثم انتبهت إلى خط من الحروف الصغيرة على خلفية الصورة.

– هذه امرأة من؟

فانفجرت ضاحكة وقلت: «أصبحت هذه الصورة ملكاً لي!».

– ألن تواجهي مشكلة في أخذها معك إلى المنزل؟

– ربما لن تكون هناك أية مشكلة.

بدأنا نرافق بعضنا في أنشطة ورشة العمل خلال الأيام القليلة التالية؛ حيث كان قليلاً ما يتكلم، ولكنه غالباً ما يساعدني في حمل حقيبتي، أو يمسك بيدي حين ننزل من القارب أو نصعد الحافلة. وأحياناً كان يبتسم لي، أو يركّز بعينيه على الطريق أمامنا حيث كان يبدو شديد الخجل.

وفي جزيرة غولانغ يو، وقف كلانا على جرف بينما كانت الأمواج تهدر على المرجان تحت أقدامنا. وفجأة، طرح عليّ سؤالاً:

«هل أنت متزوجة؟».

فضحكت وأجبت: «ولدي طفلة».

ثم أَضفت: «في هذه السن، من سيرغب بالزواج مني لو لم أكن متزوجة؟».

عندها، ضحك وسألني: «إذاً، كم عمرك؟».

وقبل أن أجيب، أخفض صوته وسألني هامساً: «كم عمر ابنتك؟».

عندها، قلت له إن ابنتي في الثالثة من عمرها. وأظن أنني ارتكبت الخطأ نفسه الذي ترتكبه العديد من الأمهات المهووسات بأطفالهن. لكنه بدا صبوراً، وأنصت إلى قصصي التي لا تنتهي عن ابنتي، ثم أخفض رأسه وهو غارق في التفكير، وبعد ذلك رفع رأسه وابتسم لي بخجل وقال: «لا بد أن ابنتك جميلة!».

فأجبته بصراحة: «عيناها تبدوان لي كالحلم».

وأخيراً، انتهت ورشة العمل، فوقف الكثيرون منا يودعون بعضهم بعضاً في مطار شيامين. كانت طائرتي ستغادر أولاً، ولكنه أمسك بيدي بين يديه، ورفض تركها بينما كنا نتبادل النظرات.

عندها، بدأ الناس ينظرون إلينا. لذا، حاولت أن أبدو طبيعية وقلت له:

«اسمح لي برؤيتك وقد شبكت ذراعيك أمام صدرك قبل أن أغادر؛ فأنت تبدو وسيماً بتلك الوضعية».

وكنت آمل أن يترك يدي إن شبك ذراعيه.

نظر إليّ بصراحة، ثم ضحك ببذاءة. وبعد ذلك أفلت يدي، ووضع يده في جيبه وسحب منه صندوقاً صغيراً ربت عليه وهو يضعه في راحة يدي قائلاً: «لقد قلت لي إن عينَي ابنتك تبدوان كالحلم».

ثم استدار ومشى بعيداً.

ما إن صعدت إلى الطائرة حتى فتحت الصندوق المخملي الصغير، ووجدت فيه ساعة صغيرة. كان غطاؤها الأزرق مزيّناً باللون الذهبي، أما سلسلتها فكانت عبارة عن ضفيرة ذهبية مشرقة مرصعة باللآلئ الزرقاء الصغيرة بلون البحر الذي كان عند أقدامنا حين وقفنا على شاطئ البحر. في حين أن العقارب الثلاثة في الساعة الذهبية الصغيرة كانت تشير إلى وقت مغادرتنا.

كنت قد قرأت في أحد الكتب أن الرجل الذي يهدي المرأة ساعة لديه حس كلاسيكي عموماً.

حلقت الطائرة بثبات عبر الغيوم البيضاء في السماء الزرقاء الشاسعة. بقيت ممسكة بالساعة الصغيرة في راحة يدي وأنا أشعر بصفاء لم أشعر بمثله من قبل؛ ما ذكرني برسم حر من عهد سلالة سونغ.

نادراً ما كنت أرتدي أية زينة؛ حتى لو كانت مجرد ساعة صغيرة. وقد كان لدي حامل قلم محفور من غصن شجرة قديم على طاولة مكتبي، وكان هناك غصن صغير ناتئ منه، فوجدته مناسباً تماماً للساعة. لذا، كنت أراها كلما رفعت عينيّ عن الكتابة. سأجعل الكلمات والجمل تتدفق من طرف قلمي بصحبة صوت تكتكاتها الخفيفة.

اليوم، توقفت الساعة... لا بد أن بطاريتها قد فرغت، فاتصلت بمو يي يي لإخباره بأمر بطارية الساعة، وأخبرني أنه يعرف أين يمكن شراء ذلك النوع من البطاريات، ثم قال: «لا تقلقي، سأرسلها لك بالبريد مباشرة».

كانت تلك أول محادثة نجريها بعد مغادرتنا شيامين، ولكنه تكلم كما لو أننا ودّعنا بعضنا هذا الصباح وليس قبل سنتين.

في تلك اللحظة، عرفت أن لدي في هذا العالم صديقاً لست بحاجة إلى تذكره ولكنني لن أنساه أبداً.

صديقان حميمان

يي يان بين

كانا صديقين مقربين، لا بل من أفضل الأصدقاء. ورغم أنهما من عائلتين مختلفتين، إلاّ أنهما يتعاملان مع بعضهما بحميمية أكثر مما لو كانا أخوين. ومن المعروف أن الإخوة الحقيقيين يكونون أكثر حميمية في علاقاتهم مع بعضهم حين يكونون في حضن أمهم. ولكن في هذا العالم، ما إن يتزوج الواحد منهم حتى ينفصل عن العائلة وينشئ عشه الخاص به. وكان القدماء يتذمرون من ذلك قائلين إن النساء يتسببن بالمشاكل، وربما كانوا يشيرون إلى مثل هذه الحالة. لكن المشكلة الوحيدة هي أنهم يركزون على القسم الأخير من القصة... فحين يندفع الإخوة إلى زوجاتهم، ويتجاهلون حياتهم السابقة، وينسون كيف تمت تنشئتهم معاً، ولا يهتمون إلا بنسائهم... حينها تبدأ المشاكل... وهكذا، يتم نسيان الحقيقة.

الأصدقاء المقربون بالطبع أفضل من الإخوة، ويُقال: «اعتمد على والديك في المنزل وعلى أصدقائك حين تخرج». وهنا، تشير كلمة أصدقاء إلى الأصدقاء المقربين. وقد كان آه جيا وآه يي صديقين مقربين في ما مضى، ومن أكثر الأصدقاء المقربين شهرة.

كان كل من آه جيا وآه يي عاملين مهاجرين يسعيان وراء حياة أفضل في العاصمة. وكان آه جيا قد أتى من مقاطعة هونان، أما آه يي فجاء من هوبي. وقد أصبحا صديقين قبل سنوات؛ حين أمضيا معاً ليلة في محطة القطار. فبعد أن أمضى آه جيا عدة أيام من دون أن يتذوق لقمة، أشرقت عيناه حين رأى آه يي يخرج لفافة طعام من حقيبته. وانتبه آه يي إلى ذلك الإشراق؛ إذ كانت عيناه هو أيضاً كثيراً ما تشعان بذلك البريق نفسه، ما يعني أنه في ظرف حياة أو موت، وأنه قد

يحتاج إلى طلب سيارة إسعاف إذا لم يسارع إلى إنقاذ حياة ذلك الشخص. لذا، ما كان منه إلاّ أن أعطى اللفافة لآه جيا وقال له: «تناول هذه يا صديقي».

حين سمع آه جيا عبارة آه يي التهم الطعام بسرعة ودموعه تسيل على وجنتيه. وهكذا، أصبح آه جيا وآه يي صديقين بعد لقائهما في محطة القطار.

كان آه جيا يقول: «هذا ما تعنيه كلمة صديق. فالصديق يعطي صديقه ممتلكاته وكل ما لديه! نعم... كل ما يملكه المرء... هذا ما تعنيه كلمة صديق».

بدأ آه جيا وآه يي بالعمل معاً بجد لتأمين مستقبلهما في العاصمة؛ حيث جرّبا جميع أنواع الوظائف، لكنهما لم ينجحا في أي منها. ورغم ذلك بقيا أشهر صديقين مقربين؛ فإن كان أحدهما يملك سيجارة فسيتشاركها مع الآخر بدون تردد، وإن كان أحدهما يملك علبة سجائر فسيتقاسمها مع الآخر، وحين يمتلكان زجاجة جعة كان كل منهما يشرب نصفها، وحين يتمكنان من شراء علبة جعة كانا يجلسان ويشربانها معاً. وبعد أن تمكنا من شراء سرير، أصبح الاثنان ينامان عليه معاً، مستخدمين لحافاً واحداً. وهكذا، كان كل منهما يشم الرائحة الكريهة المنبعثة من قدمَي الآخر. وحين أصبحت لديهما شقة تشاركا المرحاض نفسه أيضاً. وفي النهاية، نجحا في العاصمة، وحصل آه يي الذي يتمتع بتعليم أفضل على وظيفة براتب أعلى. أما آه جيا الأقل تعليماً فقد حصل على عمل مرهق براتب أقل، ولكنهما استمرا بتقاسم دخلهما مناصفة. وفي ما بعد، حين تمكن آه يي من شراء شقة أخرى قال لصديقه: «اختر إحدى الشقتين».

وبما أن الشقتين تقعان في منطقتين مختلفتين، فقد بدأا بالعيش منفصلين لأول مرة.

وظلّ آه جيا يردد معتقده: «نحن صديقان مقربان، وسنتشارك كل شيء مناصفة؛ سواء أكان سيجارة أو شقة».

غير أنه بعد استخدامه كلمة «مناصفة» أحس بأن تعريف علاقتهما بات مختلفاً عما مضى؛ ما جعله يشعر ببعض الضيق.

وخلال السنة الأولى التي عاشا فيها بعيدين عن بعضهما، سمع آه جيا أن آه يي قد كسب خمسمئة ألف يوان في صفقة تجارية. وحين زار صديقه المفضل، قام آه يي بإخراج خمسين ألف يوان وناوله إياها قائلاً: «خذ هذا المبلغ يا أخي لتشتري شيئاً للاحتفال بمهرجان السنة الجديدة».

فنظر آه جيا إلى المال في يده مفكّراً في سرّه: «كيف تحوّل مبدأ المناصفة إلى عشر واحد؟!».

وبعد مرور عام على تلك الزيارة، علم آه جيا أن آه يي قد كسب خمسة ملايين يوان في عقار، فذهب لزيارة صديقه المفضل مجدداً، حيث أخرج آه يي مئة ألف يوان وقدّمها له قائلاً: «خذ يا صديقي. استثمر هذه النقود وافتح متجراً صغيراً».

عندها، أحس آه جيا بالانزعاج لأنه لم يحصل سوى على جزء من خمسين جزءاً من المال الذي جناه صديقه المقرب وفكر: «كيف يمكن أن يتقاسم صديقان مقربان مالهما بنسبة جزء من خمسين؟!».

وذهب ليتناول الشراب وينسى أحزانه، وأقسم قائلاً: «كان صديقي المقرب يتشارك كل شيء يملكه معي، ولكنه تغيّر الآن بعد أن أصبح ثرياً. فقد منحني كل شيء كان يملكه في السنة الأولى لصداقتنا، ولكنه تغيّر لاحقاً وأصبح يتقاسم معي كل شيء مناصفة، وبعد ذلك أصبح يعطيني عُشر ما معه، ثم جزءاً من الخمسين! فكيف يمكنني أن أدعوه صديقي المقرب؟ صحيح أن المال يغيّر النفوس... الأثرياء لا يحتاجون إلى الأصدقاء!».

وعرف آه يي أنّ آه جيا سيتهمه بخيانة صداقتهما، وشعر بجرح عميق بسبب ذلك، وقال لنفسه: «هذا الرجل ليس صديقاً مقرباً... المال سيئ بالطبع؛ فهو يدمّر الصداقة، حتّى إن كانت من أكثر الصداقات حميمية. يا للأسف! لفافة طعام تكلف خمسين سنتاً أطلقت العنان للكثير من الدموع على وجنتيه، وها هو الآن غير راضٍ عن مئة ألف يوان. كيف يمكنني أن أعتبره صديقي المقرب؟!».

وهكذا، انفصل الصديقان المقربان بسبب تعريفهما المختلف لعبارة «صديق مقرب». حيث كان آه جيا يستخدم الإدراك النسبي، ويظن أن آه يي سمح له بمشاركته المال بنسب أقل وأقل مع مرور الوقت مما يدين له به بسبب صداقتهما. حيث تضاءلت نسبة ما كانا يتقاسمانه بشكل متساوٍ سابقاً؛ حتى صار يحصل على نسبة جزء من خمسين جزءاً. وبالتالي، لم يعد آه يي صديقه المقرب.

ومن جهة أخرى، كان آه يي يفكر في الموضوع بشكل مباشر، حيث شعر أنه منح صديقه المفضل مبالغ أكبر وأكبر مع مرور الزمن، حيث زاد المبلغ من خمسين سنتاً إلى مئة ألف يوان، لكنّ آه جيا ظلّ غير راضٍ؛ وهذا ليس سلوك صديق مقرب.

ربما يتوجّب على جميع الأصدقاء المقربين الفراق في النهاية؛ لأسباب مختلفة وبسبب مقاييسهم المختلفة لقوّة الصداقة التي ينبغي أن تجمع بينهما.

لا يمكنني رؤية حذاء ماما

آي تشين

أول مرة رأيت فيها تايغر سكين كانت حين ذهبت إلى غويلين في يناير، وتسكعت أمام المدخل رقم 3 في سوق الطيور والأزهار في شارع التربية. ففي قفص للطيور خشبي ومزخرف، جلس تايغر سكين ذو اللون الأخضر الزمردي من رأسه إلى ذيله بمفرده وهو يردد أغنية للأطفال. تسمرت قدماي على الأرض ما إن وقعت عيناي على هذا الببغاء الرائع، ولم أستطع إبعاد ناظريّ عنه.

رأى مالك المتجر الداهية ردة فعلي الساذجة، وعلى الفور عرض عليّ شراء الطائر بسعر خيالي.

وبقمة الغباء، سمحت لمالك المتجر بالحصول على كل النقود التي كانت معي؛ ما اضطرني إلى المشي لأكثر من ساعة حتى وصلت إلى الفندق حيث كنت أقيم في غويلين. لكنني لم أشعر بالوحدة في طريق العودة، إذ كان تايغر سكين الصغير مستمراً بترديد تلك الأغنية التي كانت مألوفة للغاية بالنسبة إلي بصوته الأجش.

بدأت موجة حادة بالارتفاع في رأسي، حيث بدت أمام عينيّ شياو شياو الصغيرة وهي تخطو على أطراف قدميها وتمشي نحوي وهي تغني أغنية الأطفال:

الشمس تشرق

الديك يصيح

لا يمكنني رؤية حذاء ماما!

انظر هنا في الشرق

انظر هنا في الغرب

ألم تجده؟

إذاً انسَه!

فقدت شياو شياو الصغيرة ذات يوم، حين كنا في معرض محتشد بالزوار. وقد كانت حينها تبلغ من العمر ثلاث سنوات وأربعة شهور وثمانية أيام.

وفي ذلك اليوم، كنت ممسكة بيد شياو شياو الصغيرة بإحكام، ولكننا رأينا بائعاً جوالاً يبيع الزعرور المغمّس بالسكر. وحين مددت يدي إلى جيبي لإخراج النقود، اختفت شياو شياو وضاعت بين الحشود. وفي اليوم الذي ضاعت فيه، كانت ترتدي سترة صوفية كنت قد حكتها لها مؤخراً، وكانت خضراء اللون؛ تماماً مثل ريش تايغر سكين.

كانت قد مضت سنتان على ضياع شياو شياو، وبدأ والدانا يلمّحان إلى أنه علينا التخطيط لإنجاب طفل آخر. وفي ذلك الحين، كنت قد بدأت أتعافى قليلاً من حالة النواح ليلاً، ولكنني بقيت رافضة التفكير في موضوع الإنجاب؛ حيث أقنعت نفسي بأنني لن أستسلم وأتخلى عن البحث عن شياو شياو حتى آخر يوم في حياتي. وهكذا، تقدمت بطلب نقل إلى وزارة التجارة، وبدأت بزيارة أماكن كثيرة للقيام بعملي والبحث عن شياو شياو في الوقت نفسه. وفي تلك المرحلة، التقيت تايغر سكين.

ومنذ ذلك الحين، صببت كل حبي وعلقت كل آمالي على تايغر سكين.

وبسبب إدراكه قدرته على تقليد الكلام البشري ببراعة، كان تايغر سكين ينظر بفوقية إلى غيره من الطيور، وتبدو نظراته مليئة بالغرور. وكان يشغل نفسه في معظم الوقت بتغميس منقاره الحاد في المياه النقية ليهندم ريشه من دون أن ينظر إليّ.

لم أهتم لتجاهل تايغر سكين لي طالما أنه ما إن ينتهي من تناول الطعام والشراب حتى يردد على مسمعيَّ أغنية الأطفال المألوفة تلك:

الشمس تشرق. الديك يصيح. لا يمكنني رؤية حذاء ماما...

حين سمعت تلك الأغنية شعرت كأن شياو شياو الحبيبة تمشي نحوي.

كان تايغر سكين يرافقني حيثما ذهبت، أو بدقة أكثر، كنت آخذه معي أينما ذهبت؛ وحتى حين كنت آوي إلى الفراش ليلاً كنت أضع قفص الطائر بجانب سريري، حيث كنت أستيقظ على أي صوت خافت يصدر عنه. وبما أنني كنت دائمة القلق من احتمال إصابته بالبرد أو الجوع، كنت أستيقظ ليلاً لأتأكد من أنه بخير. وحين بدأ زوجي يتذمر من تصرفي، كنت أشتكي بصوت مرتفع من سلوكه القاسي.

وفي إحدى الليالي، استيقظت على صوت خافت. وحين نظرت من شق الباب غير المقفل، رأيت زوجي جالساً في غرفة جلوسنا الفارغة مجهشاً بالبكاء وقد أمسك بصورة شياو شياو بيديه. لفترة طويلة، كنت أنا التي أبكي بين ذراعيه، لذا لم تكن لدي أدنى فكرة عن كيفية مواساة هذا الرجل الحزين والتخفيف من ألمه. وفي تلك اللحظة فقط خطر ببالي كم كنت أنانية؛ حيث غمرت نفسي في توقٍ لامتناهٍ لشياو شياو متجاهلةً الآخرين حولي الذين كانوا يعانون معاناتي نفسها. وهكذا، لم يتوّجب عليهم تحمل الألم الذي شعروا به لفقدانهم شياو شياو فحسب، وإنما توجّب عليهم أيضاً محاولة التخفيف عني... امرأة تكاد تجن لضياع ابنتها الصغيرة.

كان أصدقائي محقين. فعلى الرغم من أنه يجب علينا عدم التوقف عن البحث عن شياو شياو، إلاّ أن الحياة يجب أن تستمر. لكنّ شياو شياو تركت بصماتها الصغيرة في كل مكان في منزلنا... لقد كان الأمر مؤلماً للغاية بالنسبة لنا.

وفي اليوم التالي، بعد أن أطعمت تايغر سكين، فتحت له باب القفص قائلة: «اذهب وحلِّق حيث تريد».

ربما بسبب حياته المريحة لفترة طويلة في القفص لم يُظهِر تايغر سكين أي اهتمام بعرضي، وإنما اكتفى بالرفرفة بجناحيه عدة مرات، ثم بدأ يخطو على الأرضية.

بعد ذلك، أخرجت ألبوم صور شياو شياو من الخزانة لأضعه في المخزن، ورحت أفكّر: شياو شياو... كنزي! بما أن ماما تحبك كثيراً فستخبئك في أعمق بقعة منعزلة في المنزل.

وبينما كنت على وشك مغادرة المنزل وقع ألبوم الصور وتساقطت صور شياو شياو على الأرض، ووقعت إحدى الصور قرب رجلَي تايغر سكين الذي بدأ ينقرها بفضول. عندها، غضبت وحاولت إبعاده عن الصورة، فانزعج من تصرفي الفظ المفاجئ، ورفرف بجناحيه وطار في الجو

وهو ينظر إليّ بتعابير ملؤها البراءة، فانفجرت باكية. لكن في تلك اللحظة، سمعت فجأة تايغر سكين يقول بكل وضوح كلمة جديدة: «شياو شياو!».

لم يكن قد سبق لأحد من قبل أن ذكر اسم ابنتي أمام تايغر سكين! وعندها، خطرت فكرة في بالي... لا بد أن تايغر سكين قد تعلم أغنية الأطفال تلك من شياو شياو؛ إذ إن فتاة في الثالثة من عمرها قد تحاول الحفاظ على ذكرياتها الطفولية عن أمها ومنزلها بتلك الطريقة.

وفي الصباح التالي، حاولت التخفيف من شدة خفقان قلبي، وحملت تايغر سكين معي، وانطلقت على متن أول قطار إلى مدينة غويلين.

بقيت صامتة طوال الطريق إلى هناك وأنا لا أحمل معي سوى تايغر سكين، فعلق المسافر الجالس بجانبي: «غريب أنك مسافرة برفقة ببغاء».

وحين رأى تايغر سكين أنني لم أقل شيئاً قرر أن يجيب بدلاً عني وقال: «لا يمكنني رؤية حذاء ماما!».

بعد نزولنا من القطار، انطلقت مباشرة إلى سوق الأزهار والطيور، فتذكرني مالك المتجر الذكي على الفور، وضحك قائلاً:

«أتريدين أن تحضري رفيقاً لببغائك؟».

وقبل أن أجيبه، التفت وصرخ نحو الغرفة الداخلية:

«شياو شياو! أحضري الببغاء الجديد غرين جيد إلى هنا... بسرعة!».

وحين خرجت من الغرفة الداخلية، لم أر سوى ذلك الحذاء الصغير الذي فقدته ماما قبل سنوات في المعرض.

ملقط شعر تحت الوسادة

غوان هونغ

على الرغم من أنني عند وصولي إلى متوسط العمر كنت أعلم أنني لست رجلاً ناجحاً، إلاّ أنني كنت مدركاً أنني حققت بعض الإنجازات؛ إذ أصبحت لدي شركتي الخاصة متوسطة الحجم، وحين كانت زوجتي تغادر المدينة لحضور اجتماعات العمل كنت ألتقي عشيقتي.

كان شعرها الطويل يتموج على كتفيها كالحرير الأسود، وحين كانت تضمه إلى أحد جانبي وجهها بملقط شعر خشبي كان وجهها الناعم يبدو مشرقاً، كما يبدو عنقها تحت شعرها الأسود بين الفينة والأخرى. كنت أستمتع برؤية مظهرها الساحر يبرز بأسلوب خجول ومراوغ. فقد كنت أشتري لها ملابس باهظة الثمن، ورغم أن تلك الملابس بدت عادية إلاّ أنها في الواقع كلفت مبالغ باهظة. بصراحة، لم أكن مغرماً بها، ولكنني كنت أستمتع بشبابها المزهر. كنت أستخدم النصف العلوي الفضيل من جسدي لإدارة عملي وإطعام عائلتي، في حين كنت أستخدم النصف السفلي المتشوق من جسدي للاستمتاع مع حبيبتي. وبما أن ابني كان مقيماً في مدرسة داخلية باستثناء عطلات نهاية الأسبوع فقد كان لدي وقت طويل للاستمرار بحياتي المزدوجة.

اتصلت بي زوجتي للتو وأخبرتني أنها ستعود من رحلة العمل مساء الجمعة. وبعد أن تأكدت من أن كل شيء على ما يرام أخذت عشيقتي إلى منزلي ومارسنا الحب كما لو أن تلك هي المرة الأخيرة لنا معاً؛ حيث اندفع كل التوهج الحبيس بداخلي والتهمت جسدها الرائع وغزلها وأنينها.

وفي تمام الساعة الثالثة عصراً، وبعد أن رتبنا السرير، استحممت معها وارتديت ملابس نظيفة وأنيقة، ثم حضرت بعض القهوة لنستعيد قوتنا الجسدية والنفسية. عندها، غاصت عشيقتي في

الأريكة مرهقة وهي تتشبث بكوب القهوة بيديها الجميلتين وترتشف منه ببطء. وفجأة، تجمدت أصابعها التي كانت تمشط شعرها وتساءلت:

– أوه لا... أين ملقط شعري؟

أدركت أن ملقط شعرها قد اختفى، فقفزت وكأن ناراً أحرقتني.

– بسرعة... ابحثي عنه. هل كنت تضعينه حين كنا في السرير؟

قلبنا السرير المرتب رأساً على عقب ولكننا لم نجد ملقط الشعر. أين يمكن لملقط شعر خشبي محفور أن يختفي؟! كان الوقت يمضي بسرعة، فقلت لعشيقتي:

«لم يعد لدي وقت، فعلي الذهاب إلى المطار. أيعقل أنك لم تضعيه اليوم؟».

كنت لا أزال آمل أن يكون ذلك إنذاراً كاذباً.

رتبنا السرير مجدداً، وركضنا على السلم، ثم ركبنا سيارتي الهوندا أكورد الخضراء، حيث أوصلتها إلى حديقة بيور هارت قبل أن أنطلق في طريقي إلى المطار.

وعند المساء، التقى أفراد عائلتنا الثلاثة. ونظراً إلى أن زوجتي وابني كثيرا الكلام ومفعمان بالحيوية والنشاط، شعرت بالارتباط بهما، كما شعرت بالأمان لأنني في المنزل مع عائلتي.

كانت زوجتي أول من أوى إلى السرير بعد أن استحمّت، فدخلت الحمام بعدها وبدأت أستمتع بالحمام المريح.

كنت قد خلعت ملابسي وبدأت أغنّي أغاني رومانسية عن «الطيور والفراشات» حين قاطعني طرق عنيف على باب الحمام. وكانت زوجتي تصرخ بصوت عالٍ:

«اخرج فوراً أيها الجبان الوقح! كيف تجرؤ على إحضار عشيقتك إلى منزلنا؟».

عرفت أنني في ورطة... لا بد أنها عثرت على ملقط الشعر! فتحت باب الحمام قليلاً، لكن زوجتي دفعته بقوة.

بذلت قصارى جهدي لأبدو هادئاً وسألتها: «ما هذا الهراء الذي تقولينه؟ ما المشكلة؟ ما الأمر؟».

– من أين أتى ملقط الشعر هذا إلى تحت وسادتي؟!

ومدت يدها وفتحتها لأرى فيها ملقط الشعر الخشبي، ثم قالت: «هذا دليل واضح على خيانتك. تكلم، أين لسانك؟ أتشعر بالخزي!؟».

وبدا وجهها متجهماً وعيناها حمراوين.

عندها، مد ابننا رأسه من غرفته وسألنا: «ما المشكلة؟ ألم يكن كل شيء على ما يرام حتى الآن؟».

فصرخت: «اذهب. هذا ليس من شأنك!».

غير أن ابني مشى نحونا. وحين رأى ملقط الشعر في يد أمه قال: «سمعت شيئاً ما عن ملقط شعر... آه... ظننت أن هناك مشكلة. ماما... إنها هدية صغيرة اشتريتها لك. لقد وضعته تحت وسادتك بما أن عيد ميلادك قد اقترب. لماذا؟ ألم يعجبك؟ إنه يبدو أثرياً كما لو أنه تحفة فنية».

عندها، عاد الدم إلى وجنتَي زوجتي، حيث تغيرت تعابيرها من المفاجأة والارتياب والإحراج إلى السعادة وقالت:

«حقاً يا بني!؟ أهو هدية منك!؟ لِمَ لم تخبرني من قبل؟».

ثم ابتسمت لي وهي تشعر بالإحراج فيما أنا واقف هناك، فأغلقت باب الحمام مباشرة وكأنني في حلم.

في تلك الليلة، استلقيت على السرير ساكناً. ورغم أنني رأيت زوجتي نائمة بعمق إلا أنني لم أستطع النوم، فنهضت ومشيت إلى غرفة ابني... كان لا يزال مستيقظاً وهو يحدق إلى السقف بعينيه المفتوحتين، وقد بدت نظرة نضج على وجهه الشاب.

– بني... أنا... أنت...

لم أعرف ماذا أقول.

– بابا، أرجوك أن تبدأ حياة جديدة بأسرع ما يمكن. لماذا تتبع الموضة وتقيم علاقة تخون فيها زوجتك؟ أتريد تدمير عائلتنا؟ ألا تريد عائلة محبة؟

- لقد كبرت يا بنيّ! كيف عرفت كل هذا؟

كان الشعور بالخزي يبدو واضحاً على وجهي وأنا أقف أمام ابني البالغ من العمر أربعة عشر عاماً.

- لا عليك. آباء زملائي وأمهاتهم لديهم عشاق؛ الأمر الذي أدى إلى تدمير عائلاتهم، وكانت نتائجه سيئة. وقد تكلم عدد منا حول الأمر، وقررنا التعامل مع الموضوع بطريقة أكثر حكمة إن حصل الأمر نفسه معنا بدلاً من الهجوم المباشر. لكنني أحذرك يا بابا، فالورق لا يمكنه تغطية النار...

الضرورة

زو داشين

في ذلك اليوم في المستشفى، كان من المفترض أن يجري فانغ دونغ البالغ من العمر أربعة وعشرين عاماً فحصاً لمعدته. لكن خلال الفحص، ركّز الطبيب على رئتيه في شاشة أشعة إكس وقال له: «أريد إجراء جراحة تنظيرية لرئتيك».

ومن دون التفكير في الموضوع ملياً، ظنّ فانغ دونغ أن الطبيب يحاول جني المزيد من المال كما يفعل الجميع في هذه الأيام، ولذلك أجاب: «بالطبع، فلديّ تأمين طبي في كل الأحوال».

وبعد صدور نتائج الجراحة التنظيرية، بدت تعابير وجه الطبيب غريبة نوعاً ما، فسأله فانغ دونغ إن كان هناك خطب ما. عندها، هز الطبيب رأسه نافياً ثم تنهّد بعمق. ولكن نظراً إلى كون فانغ دونغ ذكياً فقد عرف من ردة فعل الطبيب أن هناك أمراً سيئاً، فضحك قائلاً: «هل وجدت ورماً؟ لا تُخفِ عنّي شيئاً. إن كانت مصاباً بالسرطان فأنت تعلم أنني من النوع المتفائل. كما أنه لا يمكنك إخفاء الأمر عني؛ إذ يمكنني معرفة ذلك بسهولة من اختبارات ما قبل العملية».

لذا، بعد أن نظر إليه قليلاً، ربّت الطبيب على كتفه وتنهد قائلاً: «لديك سرطان في الرئة».

عندما سمع فانغ دونغ كلام الطبيب، شعر كما لو أن حجراً قد ضربه في مؤخر رأسه، فتوجّه مباشرة إلى مستشفى آخر لإعادة الفحص.

لكن النتيجة كانت ذاتها.

استلقى فانغ دونغ على سريره على الرغم من أن الوقت لا يزال ظهراً والشمس مشرقة في الخارج. كان يشعر كأن كل عظامه وعضلاته مرهقة، ولم يعد قادراً على مغادرة السرير منذ ذلك

الوقت.

وكان يقول لنفسه: «إن كان الموت قد اختارني فلأمت غداً».

وهكذا، لم يعد يهتم بالماء أو الطعام أو العلاج الطبي؛ إذ إن تفكيره كان محصوراً في الموت بأسرع ما يمكن.

وسرعان ما انتشر خبر إصابة فانغ دونغ بالسرطان في مكان عمله، فحزن عليه الجميع، حتّى إن بعضهم ذرفوا الدموع. وبدأ زملاؤه بتشجيعه على مغادرة السرير وتناول الوجبات والتعاون مع الأطباء.

لكن فانغ دونغ لم يكترث لكلامهم.

حاول تذكر الأشخاص الذين أساء إليهم خلال حياته، وبدأ يفكر في الاعتذار منهم قبل أن يغادر هذا العالم.

وأول من خطر بباله كان فان لي؛ الفتاة التي أحبته من كل قلبها ولكنّه تخلى عنها بكل قسوة. فليتخلص من تعلقها به في ذلك الحين وبّخها قائلاً: «ابتعدي عني أيتها المرأة الوقحة».

ومن سرير مرضه، حاول فانغ دونغ أن يخمّن شعورها حين ستسمع بمرضه.

وفي أحد الأيام، اتصلت به فان لي. وقبل أن يتمكن من الاعتذار أو حتى أن يقول شيئاً مثل «أنا مدين لك باعتذار كبير يا فان لي»، قالت له بصوت بارد: «هذا ما تستحقه يا فانغ دونغ... أنا واثقة من أنك ستموت غداً».

عندها، غضب فانغ دونغ وذهل، ثم قال لها: «كلبة!».

ورمى سماعة الهاتف، وصرخ بجنون في وجه الحائط:

«لن أموت غداً! لا! لن أعيش حتى الغد فقط، وإنما سأعيش حتى العام القادم!».

وعلى الفور، نهض فانغ دونغ من سريره وبدأ بتناول الطعام.

وبالطبع لم يمت في اليوم التالي.

وبسبب تحديه لتلك المرأة الحقود، سرعان ما استعاد فانغ دونغ نظام حياته السابق، كما بدأ بممارسة التمارين الصباحية، وتعلم تقنيات تنفس تشي غونغ، ولجأ إلى الطب الصيني، وفكرة واحدة لا تزال تتردد في ذهنه.

«سأستمر في الحياة! إن كانت فان لي تلك المرأة الحقيرة تتوق إلى موتي فسأريها أنني لن أموت».

ولم يمت فانغ دونغ في السنوات الثلاث التالية.

في الواقع، كان وضعه يتحسن أكثر فأكثر.

وفي أحد الأيام، تلقّى اتصالاً، وسمع صوت فان لي الكريه عبر الهاتف مجدداً: «إذاً، ألم تمت بعد؟».

فضحك فانغ دونغ وأغلق سماعة الهاتف، ثم قرر الذهاب لرؤية فان لي وإزعاجها حين ترى صحته... ومشى نحو منزلها.

وحين وصل إلى باحة منزل فان لي، سمع فانغ دونغ صوت والدة فان لي وهي تصرخ بصوت مرتفع قائلة لها:

«ألا تخافين من عقاب الله لقولك هذه الكلمات القاسية لفانغ دونغ؟».

ثم سمع بكاء فان لي، أعقبه كلامها: «أنت لا تفهمين يا ماما. كنت أعرف أن كل ما يحتاج إليه ليقاوم المرض هو وجود عدو له».

عندها، ذُهِل فانغ دونغ، وتسمّر في مكانه من هول الصدمة...

تلقّي نعمة مزدوجة

فانغ يينغ وين

ما هي أكثر مكالمة هاتفية مزعجة يمكن أن تضع متلقيها في ورطة حقيقية؟ إنها المكالمة الهاتفية من صديق يطلب فيها اقتراض مبلغ من المال. في الواقع، قد يكون المال أغلى لديك من ابنك. وحين يطلب منك شخص ما – وغالباً ما يكون صديقك – إقراضه المال، فلن تنظر إليه مجدداً كصديق لك ما إن تمد له يد العون وتقرضه النقود. ألا توجد قصص كافية حول هذا الأمر؟ فهذا أشبه بقتل صداقتكما بمالك... أليس كذلك؟

قبل نصف عام، تلقيت مكالمة هاتفية من صديق لي أراد اقتراض المال مني. ولم يكن المبلغ صغيراً؛ إذ كان صديقي يخطط لشراء منزل. تلكأت للحظة قبل أن أخبره أنني لا أملك ذلك المبلغ في الوقت الحالي، وأنني سأحتاج إلى بضعة أيام كي أجمعه. وربما استطاع صديقي النظر إلى الأمر من وجهة نظري، فقد قال لي عبر الهاتف:

«من الذي لا يستدين المال عند شرائه منزلاً!؟ يمكنك الاقتراض مني حين تشتري منزلك في السنة القادمة».

وما إن وصلت المحادثة بيننا إلى هذه النقطة حتى لم أعد قادراً على الانسحاب، فصككت أسناني، ووعدته بجمع المبلغ في اليوم نفسه، ثم طلبت منه الحضور إلى منزلي لاستلام النقود.

بناء على القصص التي سمعتها، وبناء على تجربتي الشخصية، أعرف أنه حين يصبح المال بين يدي صديقك فسيطفئ هاتفه المحمول، وسيغير رقمه، ولن يجيب على مكالماته الهاتفية في المنزل بنفسه؛ أي باختصار لن تجده مجدداً.

وهذا في الواقع أسوأ مما يفعله اللص العادي. فحين يأخذ اللص المال، ستغضب لفترة، ثم ستلعن حظك العفن وستنسى الموضوع؛ لأنك تعرف أن هذا ما يقوم به اللصوص. أما في حالة إقراض المال لصديق فالأمر مختلف؛ لأنه يُفترض بصديقك أن يعيد لك المال، ما يجعلك تأمل دائماً بأن تسترجع مالك... ويمكن تشبيه الأمر بمشاهدة مسلسل بوليسي مليء بالتشويق والإثارة على شاشة التلفاز. لكن، حين يقترض صديقك مالك يصبح غريباً عنك تماماً؛ إذ يبدأ بتجنبك كما لو أنك لص.

إلا أن الصديق الذي اقترض المال مني هذه المرة لم يكن من ذلك النوع. فقد عرف شعوري في ما يتعلق بإقراض المال، لذا بدأ بعد شهر واحد بالاتصال بي كل يوم اثنين من مكتبه، ليعبّر عن امتنانه ويخبرني بالمبلغ الذي قام بتوفيره ليعيد لي المبلغ عما قريب. لكن مع تكرر هذا التقرير الهاتفي كل يوم اثنين، بدأ الأمر يشعرني بالإحراج. لذا، حين اتصل بي مجدداً قلت له غاضباً:

«إنه مجرد مال عفن... وأنت تهينني كل مرة عندما تُذكِّرني بالأمر... لن أسترجعه».

فقال لي: «أتريد أن تجعل مني شخصاً غير ممتن؟! هذا مستحيل!».

وبعد نصف عام، زارني صديقي في منزلي بصحبة زوجته وطفله، وأعاد لي المال في مغلف كبير، فقررت دعوتهم إلى المطعم.

– كيف نسمح لك بأن تدفع لنا ثمن وجبتنا؟! فنحن لم ندفع لك أي فوائد على المال. نحن من ينبغي لنا أن ندعوك لتناول الطعام.

– دافعك لدعوتي ليس بقوة دافعي.

– وما هو دافعك؟

– فكّر في الأمر: الناس في هذه الأيام لا يفون بوعودهم. وحين تذهب الثقة يصبح إقراض المال أمراً صعباً ومحفوفاً بالمخاطر لكل من المقرِض والمقتَرِض. وقد اقترضت مني المال ثم أعدته كما وعدتني بدون تأخير. ومن النادر حقاً العثور على صديق صادق مثلك في هذه الأيام!

– ما الذي تتكلم عنه؟! لقد قدّمت لي مساعدة كبيرة، وها أنت تجعل الأمر يبدو وكأنني أكثر نبلاً منك... هذا كلام فارغ.

– كلا، ليس كذلك! انظر... لقد عاد إليّ مالي من دون أن ينقص قرشاً واحداً، كما عاد صديقي القديم إلى جانبي. المال لم يدمر صداقتنا، وإنما عمل على تقويتها. إنها نعمة مزدوجة حصلت عليها اليوم. ولهذا، أنا من يجدر به دعوتك، أليس كذلك؟

– كلامك منطقي.

ولاحت ابتسامة عريضة على وجه صديقي وهو يلتفت إلى الوراء وينادي النادلة الواقفة وراءه:

– أرجوك يا آنستي، قدمي لنا طبق السلاحف الخاص.

زوجة الأب تبعده عن المنزل

هونغ كي

بدأت المدرسة مجدداً بعد انتهاء العطلة الصيفية. وخرجت زوجة أبيه الجديدة والصبي ذو السنوات الخامس ذو البطن الممتلئ والرأس المدور والوجه المدور والعينين المدورتين الذي أحضرته معها من الباحة لوداع سبيد قبل أن يعود إلى مدرسته الثانوية حيث سينهي سنته الدراسية الأخيرة. كانت زوجة أبيه تتكلم معه بلطف، الأمر الذي أشعره بالدفء.

كانت الفرحة لا تزال تغمر قلب سبيد، لذا كان يبتسم أكثر في المدرسة، فبدأ أساتذته وزملاؤه يعلقون على مظهره بالقول إنه يبدو شخصاً مختلفاً. ظلّ سبيد يبتسم لنفسه بسعادة وهو يفكّر في أن أباه لن يبقى وحيداً بعد الآن. وهكذا، أصبح بإمكانه أخيراً التركيز على التحضير والاستعداد لامتحانه المقبل لدخول الجامعة.

لكن في صباح أحد الأيام، وخلال النصف الأول من الفصل، بينما كان سبيد يمشي من مهجعه إلى غرفة الصف، التقى جارهم العم شينغ تانغ قادماً للبحث عنه. وما إن وقعت عينا العم شينغ تانغ على سبيد حتى صرخ: «سبيد... سبيد!».

فركض سبيد إليه وسأله: «لماذا أتيت إلى المدرسة يا عمي؟».

– لقد أتيت إلى المدينة لشراء بعض المبيدات الحشرية، وقد طلب مني والدك أن أتأكد من أن كل أمورك على ما يرام هنا.

– هل بابا بخير؟

– بخير... بخير. زوجة أبيك تعامله معاملة حسنة.

- أنا... كيف حال زوجة أبي؟

- بخير... بخير... لكن...

- ماذا؟

- زوجة أبيك... إنّها... لا تريدك هناك بعد الآن. لن تسمح لك بالعودة إلى المنزل.

- لكنني سأشتاق إلى أبي.

- لا يمكنك العودة إلى المنزل مهما اشتقت إلى أبيك. فقد قالت إنها ستغادر إن عدت إلى المنزل. لذا، أراد مني والدك أن أخبرك أنه يجب عليك ألا تعود إلى هناك.

احمرت عينا سبيد وشعر بالحزن الشديد. إذ كان قد فقدَ أمه حين كان في التاسعة من عمره. وكم كان يتمنى لو يجد أباه وأمه في المنزل حين يعود إليه. لكن، يجب عليه الآن أن يطيع زوجة أبيه. وبما أن سبيد يحب أباه كثيراً، أجاب وعيناه مغرورقتان بالدموع: «حسناً... لن أعود إلى المنزل... أعدك».

احمرت عينا العم شينغ تانغ أيضاً، وأخرج حزمة نقود من جيبه ثم قال للشاب:

«هذه ألف يوان من أبيك. ينبغي أن تغطي مصاريفك حتى امتحان القبول في الجامعة في حال أنفقتها بحذر».

عندها، حدق سبيد إلى المال متفاجئاً:

- من أين حصل بابا على كل هذا المال؟

- لقد باع الثور؛ الأمر الذي أحزن زوجة أبيك! في كل الأحوال، إنها بخير الآن. عليك يا سبيد أن تدرس بجد لتدخل الجامعة.

تناول سبيد المال وبكى قائلاً: «سأشتاق إلى أبي».

عندها، أخرج العم شينغ تانغ صورة صغيرة من جيبه وقال له:

«هذه صورة والدك يا سبيد... انظر إليها حين تشتاق إليه».

تناول سبيد الصورة بكلتا يديه بينما راحت الدموع تسيل على وجنتيه، ثم سلّم على العم شينغ تانغ مودّعاً.

فربت الأخير على كتف الشاب قائلاً:

«ادرس بجد يا ولدي. عليك أن تدخل الجامعة! وتذكر ألا تحاول العودة إلى المنزل».

بعد مغادرة العم شينغ تانغ، ركض سبيد إلى غرفة الصف وجلس هناك، وبدأت دموعه تسيل وتتساقط على العديد من كتبه. لم يستطع تقبل ما سمعه؛ فحنان زوجة أبيه، ولطفها معه لا يفارقان تفكيره... لكن المال والصورة موجودان أيضاً في جيبه. بكى وضغط على المال والصورة بأقصى قوته؛ حتى تمكن من إخراج تلك الأفكار من رأسه. ثم بدأ يقنع نفسه بالقول:

«لا بأس إن لم تكن تريدني طالما أنها تريد بابا».

وبكى مجدداً، ثم مسح دموعه ببطء وبدأ يفكر في أبيه... فبعد بيعه الثور الذي يجر المحراث لا بد أن والده صار يعمل بجهد أكثر بعشرات المرات... وتخيّل والده النحيل والمرهق وهو ينحني ويجر المحراث عبر الحقول.

لذا، كان سبيد يحشر أنفه في كتبه ويقنع نفسه كل يوم:

«يجب أن أنجح... لا يمكنني أن أفشل إطلاقاً!».

وبعد خضوعه لامتحان القبول في الجامعة، أمضى سبيد كل دقيقة من وقته وهو يعمل في المدينة. إذ لم يكن يريد الاعتماد على والده مجدداً حين يدخل الجامعة.

وحين أمسك سبيد إشعار القبول في الجامعة بيده خطرت له فكرة جريئة... ربما ستلين زوجة أبيه إن أخذ معه إشعار الجامعة. وهكذا، لم يعد بإمكانه التخلص من تلك الفكرة. لذا، بعد ظهيرة أحد الأيام، دخل سبيد القرية حيث كان القرويون يجلسون جميعاً حول طاولات الغداء تحت ظلال الأشجار في باحات منازلهم، فيما كانت الشمس الحارقة تشوي الأرض والأسقف بحرارة قاتلة. أسرع سبيد في سيره حتى وصل إلى الشجرة المنتصبة أمام بوابة منزله، فوقف هناك ليستمتع بالرطوبة في ظلّ تلك الشجرة الكبيرة. كان القلق يسيطر على تفكيره... ماذا سيحصل لو غضبت عند رؤيته؟ لكنه غيّر رأيه على الفور... فهو يريد رؤية والده فحسب. لذا، استجمع قواه ودخل باحة منزله ببضع خطوات مترددة، ونادى:

«بابا! بابا...».

لا جواب!

حينها، أدرك سبيد مدى الهدوء المسيطر على الباحة؛ حيث بدت فارغة بغياب الثور. وفي المكان الذي كان يجلس فيه عادة، جلس صبي راح يكسر حبات الفستق. وحين سمع الصبي الصوت رفع وجهه فجأة، ونظر إليه بنشوة، فبدت عيناه كبيرتين وسط وجهه الصغير.

فجأة، تعرف عليه الصبي الصغير وانفجر باكياً:

«أخي الكبير... أخي الكبير... لقد مات والدنا منذ وقت طويل. ولم تسمح ماما لأحد بإخبارك».

تفاجأ سبيد مما سمعه، ونظر حوله إلى المنزل الخرب والدخان الأسود المنبعث من المدخنة في أعلى السطح، ثم بدأت دموعه تنهمر فجأة بعد أن أدرك ما حصل فعلاً.

سقوط ورقة الشجرة

تشو تشينغ

كان الوقت آخر الخريف، لذا بدت الأشجار والأزهار في المنتزه ذابلة، وراحت أوراقها تتساقط كما لو أنها حزينة.

كان هذا المكان الجميل والمنعزل بأكمله له وحده... فهو شخص واحد وحيد... إنه وحيد تماماً! كان يمشي يومياً – وهو الرجل العجوز في العقد الثامن من عمره – عدة مئات من الأمتار للوصول إلى هذا المنتزه، من دون أن يرافقه أي كان؛ باستثناء عكازه القديمة.

كانت ملابسه أنيقة دائماً. وهي مؤلفة من بذلة على الطراز الغربي، وقميص أبيض، وربطة عنق، وحذاء جلدي، وقبعة من اللباد. وكان يبدو نظيفاً تماماً ووقوراً. حتى إن ثنيات سرواله كان قد تم الاهتمام بها بعناية. وجعله لباسه الرسمي وطريقته في الحركة والسير يبدو كرجل يهودي في طريقه لتناول العشاء أو قاصداً الكنيس. فقد تطوّر اهتمامه بلباسه ومشيته وحركاته حين كان يعمل في شركة كبيرة في ما مضى.

جلس على مقعد خشبي في المنتزه منتصب الظهر، وراح يحدق إلى العشب الأصفر متابعاً تغيّر الفصول، ثمّ تأمّل السماء الزرقاء والغيوم البيضاء. معظم الوقت كان يجلس هناك بوقار كتمثال ساكن.

– يا له من إنسان وحيد!

كان عمال الصيانة في المنتزه قد ألفوا وجود العجوز القادم من حقبة أخرى بعيدة عن المجتمع المعاصر.

ما إن جلس العجوز على مقعده حتى حام حوله سرب من الحمام، بينما راحت بعض السناجب تمرح قرب قدميه؛ إذ كانت كلّها تعرفه. وكان يُخرج حبة بسكويت من جيبه ويكسرها إلى قطع صغيرة قبل أن يرميها إلى تلك الحيوانات الصغيرة وطيور الحمام التي كانت رفيقته الوحيدة في المنتزه، ثم يخرج حبة أخرى ويكسرها مقدّماً لها المزيد من الفتات. كان يحب رؤية السناجب وطيور الحمام وهي تتنافس للحصول على الفتات، ويعشق أن تحط حمامة على كتفه كما لو أنها تطلب منه المزيد من الطعام... كانت تلك أسعد اللحظات بالنسبة إليه.

ركضت فتاة صغيرة ممسكة ببالون أمامه، وابتسمت له ابتسامة عذبة، فرد عليها بابتسامة ضعيفة.

ولاحق بعض طلاب المدرسة الثانوية كرة قدم أمامه، فتفاجأوا لدى رؤيتهم هذا الرجل الشبيه بقطعة أثرية قديمة جالساً هناك، وقالوا له: «مرحباً يا جدي العجوز!».

فرد التحية بصوت منخفض، حتى إن رده كاد لا يصل إلى مسامع المراهقين المندفعين.

ومشى باتجاهه زوج من العشاق وهما يهمسان لبعضهما بكلمات حلوة، ويعانقان بعضهما من دون أن يلاحظا وجوده في بداية الأمر. وحين انتبها إليه، أومآ له بالتحية، فرد العجوز بإيماءة غير ملحوظة.

حين يرى العجوز عجلة الحياة تدور أمام عينيه يشعر بمزيج من السعادة والحزن والانزعاج في آن واحد، وتترافق تلك الأحاسيس مع شعور بالراحة يتدفق في قلبه... ربّما لم تتخلَّ عنه الحياة بالكامل. لكن، كم بقي لديه من وقت قبل أن يغادر هذا العالم؟ فهو سيغادر بالتأكيد في حين سيأتي آخرون إلى هذا العالم.

فجأة، أشرق وجهه، وبدت السعادة في عينيه... فها هي تلك العجوز قادمة باتجاهه مجدداً وقد ارتدت ثوباً قرمزياً مبهرجاً جداً بدا أشبه بضوء أحمر صادر عن مصباح معلق عند تقاطع طريقين! لقد اختارت تحدي الحياة مع تقدمها في السن. في تلك اللحظة، تذكر الرجل العجوز أن زوجته المتوفاة قد ارتدت ثوباً مشابهاً في إحدى المرات. نظرت المرأة العجوز إليه، ثم ألقت عليه التحية بتهذيب وهي تمر قربه ببطء.

أصبح مؤخراً يرى هذه المرأة العجوز بين الفينة والأخرى، حيث يذكره وجهها وعيناها وقامتها بزوجته. لذا، راح يحدق إليها ببلاهة، ثم سمع تمتمة تصدر من فمه: «كيف حالك يا كاتيوشا؟».

غالباً ما كان صوته الضعيف يضيع إن لم توصله الرياح...

من ينادي؟! من هي كاتيوشا؟! توقفت المرأة العجوز للحظة قبل أن تتابع سيرها من دون أن تدير رأسها إلى الوراء.

فتمتم العجوز لنفسه: «ألا تذكرينني يا كاتيوشا؟».

وشعر بالأسى يعتصر قلبه.

بعد فترة من الوقت، مر به بائع متجول يبيع علباً تحتوي على وجبات جاهزة للغداء، وقال للرجل العجوز:

«كيف حالك يا سيدي؟ أتريد طلب ذيل الكركند للغداء؟».

غير أن العجوز ظلّ جالساً هناك بصمت من دون أن يصدر عنه أي رد.

فتمتم البائع المتجول: «يا له من عجوز!».

ثم مدّ يده ولمس الرجل العجوز، وسرعان ما قفز في مكانه مصدوماً حين أدرك أنه لا يتنفس.

في تلك اللحظة، اختفت السناجب وطيور الحمام وذهب كل منها في اتجاه، بينما هبت ريح الخريف وأسقطت ورقة شجرة صفراء جافة أخرى.

حب حلو وحامض

هاي في

في أحد الأيام، وبينما كان جاساً في مكتبه الكبير شعر بنفسه يغرق في الفراغ والوحدة. عندها، حرّك كرسيه الجلدي باتجاه النافذة، حيث بدت المدينة النشيطة والمتطورة كما لو أنها تستحم بأشعة الشمس الدافئة. حاول تذكّر ما كان يرغب فيه، إلى أن أدرك أخيراً أنه يشعر برغبة جامحة في أن يتناول مجدداً طبق الأضلاع الحلوة والحامضة الذي تعده زوجته السابقة.

وكرئيس للشركة، كان مرهقاً من تلك الحروب التجارية التي لا تعرف الرحمة. كما انتهى زواجه بالطلاق بعد أن دخلت زوجته السابقة مكتبه من دون أن تطرق الباب، ووجدت أنه ليس في المكان المناسب وكذلك سكرتيرته الشابة. وعلى الرغم من طلاقه إلا أنه لم يعانِ من نقص النساء في حياته؛ إذ كن كالسمك في حين كان هو الحيد البحري، حيث كانت الأسماك تسبح أمامه بسرعة. وفي ذلك اليوم، شعر بالرغبة في تناول طبق الأضلاع الحلوة والحامضة الذي تعده زوجته السابقة.

وما كان منه إلاّ أن اتصل هاتفياً بزوجته السابقة وهو يشعر بالتوتر؛ الأمر الذي أعاد إلى ذهنه المشاعر التي كان يحس بها حيالها حين كانا يتواعدان في شبابهما. وفي الطرف الآخر من الخط، بقيت زوجته السابقة صامتة للحظة قبل أن تجيب أخيراً: «لا تأتِ... لم يعد هناك أي شيء بيننا».

غير أنه لم يستسلم وقال مصرّاً:

«اسمحي لي بالمجيء؛ فأنا أرغب كثيراً في تناول طبق الأضلاع الحلوة والحامضة الذي تعدينه. اسمحي لي بتناوله هذه المرة وحسب».

دام صمتها لفترة طويلة، وأخيراً وافقت على طلبه.

بعد خمس عشرة دقيقة، قاد سيارته البويك إلى منزل زوجته السابقة الذي بدا غير مألوف له بسبب انغماسه في نظام حياة طائش ومليء بالاحتفالات الصاخبة. وحين سمعت زوجته السابقة قرعه على الباب سارعت إلى فتحه له، ما جعله يشعر ببعض الراحة.

جلس على الأريكة وهو يشاهد زوجته السابقة تطهو له طبق الأضلاع الحلوة والحامضة، وبدأ يفكر في أن أصابعها تبدو أكثر نحولاً مما كانت عليه من قبل؛ الأمر الذي يدلّ على أنها تعتني بنفسها. وفجأة، أحس بأن أياً من أولئك النساء حوله اللواتي يدخلن غرفة نومه لا يمكنها منافسة جمال زوجته السابقة، وشعر بالندم لأنه تركها. لو لم يجنِ ثروة وينسَ من هو لكان بإمكانه كل يوم الجلوس على هذه الأريكة الطرية، ومشاهدتها وهي تطهو في المطبخ، وسماعها تثرثر عن أمورهما المنزلية. وبينما هو ينظر إلى ظهرها النحيل، تذكر كيف كانت أصابعه تداعبه مرات عدة، فشعر بالسعادة.

راقبها وهي تحضّر الصلصة، وتغمّس الأضلاع في نشاء الذرة، ثم تقليها في الزيت المغلي واحداً تلو الآخر. كانت الأضلاع تصدر أصوات فرقعة في المقلاة قبل أن تخرجها منها. وبعد تبريدها أعادتها إلى الزيت مجدداً؛ إذ كانت تقول إن الأضلاع تصبح أكثر قرمشة بعد قليها مرتين. وبعد قليل، أطفأت النار تحت الزيت، ووضعت الصلصة في مقلاة تحتوي على السكر والخل وصلصة الصويا ونشاء الذرة. وفي النهاية، أخرجت الأضلاع من المقلاة ووضعتها في طبق كبير، ثم نثرت البصل المفروم فوقها، وسكبت بعض الصلصة فوق الطبق الذي تفوح منه رائحة زكية. وأخيراً، وضعت طبق الأضلاع الحلوة والحامضة أمامه وقالت له: «أتدري لماذا الأضلاع الحلوة والحامضة لذيذة للغاية؟ لأنها حلوة وحامضة في الوقت نفسه».

في تلك اللحظة، رُنَّ جرس الباب ودخل رجل المنزل، فتوجّهت زوجته السابقة نحوه، وأخذت منه معطفه وحقيبته، ثمّ لامسا وجنتيهما ببعضهما، ما جعله يشعر بالكثير من الإحراج. فهي لم تخبره أن هناك رجلاً آخر في حياتها، وحين اقترب منه الرجل ليلقي عليه التحية، أدرك أنه أحد منافسيه في العمل، وأنه قام بالاستيلاء على شركة كان يستثمرها.

جلست زوجته السابقة والرجل على أريكة أخرى لمشاهدة التلفاز، وراحت تحيك كنزة. وكانت تضع الكنزة على جسد الرجل لتتأكد من قياسها حين فاحت رائحة الأضلاع الحلوة والحامضة ووصلت إلى أنفه. عندها، لم يعد بإمكانه فعل أي شيء سوى إجبار نفسه على تناول كل ما في

الطبق؛ وحينها فقط فهم زوجته السابقة جيداً. أما هي فبدت له وكأنها كانت تنتظر هذا اليوم، ثم تذكر الكلمات التي قالتها له قبل بضع دقائق: «أتدري لماذا الأضلاع الحلوة والحامضة لذيذة للغاية؟ لأنها حلوة وحامضة في الوقت نفسه».

عندها، سالت دموعه من دون أن يتمكن من كبتها. وفي تلك اللحظة، تمنى لو كان طائراً كي يتمكن من القفز من النافذة والتحليق...

المنقذ

هو يان

كان شياو غوي هو المُنقذ بالنسبة إلى زانغ وو.

فحين كان زانغ وو في السابعة من عمره، انزلق ووقع في نهر هائج. وصادف أن كان شياو غوي في تلك الأثناء يرعى الأغنام بالقرب من ذلك المكان، فقفز في النهر فوراً وسحب زانغ وو منه بعد عناء شديد. وكان زانغ وو قد ابتلع كميات كبيرة من الماء، لذا ما إن تسلق ضفة النهر مبتعداً عن المياه حتى تقيأ ثم اصفر لونه.

بعد ذلك، أصبحت أم زانغ وو في الاحتفالات والمناسبات غالباً ما تمسك بيد ابنها، وتأخذ معها أثمن هدية تجدها في المنزل، ثم تذهب لتقدّم الشكر إلى شياو غوي. في البداية، كان شياو غوي يتصرف بتواضع، ثم أصبح معتاداً على هذه الطقوس.

وهكذا، كبر زانغ وو وأصبح شاباً قوياً. وفي إحدى السنوات، غادر القرية للبحث عن عمل في المدينة، فقالت له أمه: «إن جنيت بعض المال فلا تنسَ ما فعله غوي من أجلك».

فوعدها زانغ وو: «لا، لن أنسى إطلاقاً».

وهكذا، أصبح يرسل المال لأمه ويرسل معه بعض المال لشياو غوي أيضاً.

في تلك الأثناء، أصبحت زوجة شياو غوي مدمنة على القمار وغالباً ما كانت تخسر. وكانت تذهب إلى والدة زانغ وو غالباً وتشكو لها حظها العاثر، وتخبرها أنها خسرت كل قرش تملكه، فتقوم والدة زانغ وو بإعطائها مبلغاً من المال قائلة: «خذي يا أختاه بعض المال».

فتجيبها زوجة شياو غوي: «سأعيد لك المال خلال بضعة أيام».

فتقول لها والدة زانغ وو: «لا تعيدي المال... أليس مال ابني مالك أيضاً؟».

وذات يوم، قرر ابن شياو غوي أن يتزوج عما قريب، فانطلق شياو غوي إلى منزل زانغ وو وقال لأمه: «كيف حال زانغ وو هذه الأيام؟».

فأجابته والدة زانغ وو: «الفتى بخير... لا تقلق... وهو ما زال يهتم بنا كما يهتم بكم أيضاً».

عندها، قال شياو غوي: «هذا جيد... فكما تعلمين، ابني على وشك الزواج، ونحن بحاجة ماسة إلى المال لأجل الزفاف...».

فما كان من والدة زانغ وو إلاّ أن قدّمت له كل المال الذي أرسله ابنها قائلة: «هذا كل ما لدينا من مال... خذه».

أخذ شياو غوي المال قائلاً: «مممم».

ثم غادر.

وبعد بضعة أيام، زار شياو غوي والدة زانغ وو مجدداً وقال لها: «المال الذي أعطيتنا إياه غير كافٍ؛ فالمرء بحاجة إلى ما لا يقل عن ثلاثين ألف يوان ليتزوج في هذه الأيام».

وحين وجدت والدة زانغ وو نفسها في موقف حرج أجابته محرجة: «أخي غوي، أنا حقاً لا أملك المزيد من المال الآن».

غير أنه قال لها: «أرسلي برقية إلى وو ليجني المزيد من المال».

عندها، فتحت والدة زانغ وو فمها، ولكنها لم تجد أي كلمات ترد بها على طلبه.

وبعد فترة، حين أرسل ابنها مبلغاً من المال، أرفقه برسالة تقول إنه مريض، فهرعت والدته إلى محطة السكك الحديدية. وحين رأت ابنها هناك أصيبت بالصدمة، فقد كان زانغ وو شاحباً، وإحدى يديه مبتورة، وأخبرها زملاؤه في العمل أن زانغ وو قد ذهب لبيع دمه، وحين عاد إلى العمل أصيب بالوهن فجأة، فبترت إحدى الآلات يده. عندها، عانقت الأم ابنها وعيناها مغرورقتان بالدموع.

لم يعد زانغ وو إلى المنزل مع أمه، وأخبرها أن الحادث قد وقع أثناء العمل. لذا، يمكن اعتبار ما أصابه إصابة عمل؛ ما يعني أنه يجب على رئيسه أن يدفع له مبلغاً من المال. كما أن رئيسه قد وعده بتكليفه بوظيفة مراقبة المخازن.

وفي أحد الأيام، مرّ شياو غوي بمنزل زانغ وو ثملاً وقال: «سمعت أن وو أصيب بحادث... للأسف... لو كنت هناك لما...».

عندها، بكت والدة زانغ وو وقالت: «أما زلت مهتماً بالفتى؟».

فرد شياو غوي: «ومن سيهتم به إن لم أهتم أنا؟! وو أقرب إلى قلبي من ابني. أصحيح أنه حصل على تعويض؟».

غير أن والدة زانغ وو لم تجب، فتابع شياو غوي كلامه: «لدي الكثير من المشاكل في المنزل، حتى إنني لا أملك ثمن الطعام».

وهنا ردّت والدة زانغ وو: «وابني لا يملك أي مال أيضاً».

فقال لها مستنكراً جوابها: «ماذا؟! أتقلقين من طلبي المال؟ أتنكرين أنني منقذ ابنك؟ لا تنسي... لولاي لكان زانغ وو ميتاً منذ زمن!».

في النهاية تم صرف زانغ وو من عمله، فعاد إلى القرية. ولكنه لم يكن قادراً على القيام بأي عمل في الحقول، فبقي في المنزل طوال النهار. ومع ذلك، كان شياو غوي يزوره من وقت إلى آخر ويقول له: «أنا مدين للآخرين بالمال يا وو بسبب الشرب... أنا مدين للآخرين بالمال يا وو بسبب التدخين... ليس معي مال كافٍ يا وو ليشتري ابني سيارة...».

وفي النهاية، فقدت والدة زانغ وو صبرها وقالت: «اترك لنا يا أخي غوي بعض المال على الأقل».

وما إن غادر شياو غوي منزل زانغ وو حتى بدأ بالصراخ في شوارع القرية قائلاً إن عائلة زانغ جاحدة للمعروف، وإن قلوب أفرادها أصبحت قاسية كالحجارة، وإنه يجب على المرء عدم مساعدة الآخرين في هذا العالم. ثم خرجت زوجة شياو غوي لمشاركته في الشتائم أيضاً، حتى جمعا سكان القرية ضد عائلة زانغ وو.

وفي ليلية صيفية، توجّه زانغ وو لزيارة شياو غوي وقال له: «تفضّل يا عمّي. هذا مبلغ ألفَي يوان أقدمه لك».

فسأله شياو غوي وهو يختطف المال من يده فوراً: «لماذا تعطيني إياه؟».

رد زانغ وو: «لقد اشتريت بعض الطعام والشراب. لذا، دعنا نذهب لنتحدث ونشرب على ضفة النهر».

فابتسم شياو غوي وقال: «بالتأكيد... أعرف أنك فتى ذكي».

وهكذا، قاده زانغ وو ليجلسا على ضفة النهر، ثم ناوله زجاجة كحول وقال له: «اشرب يا عمي».

فتح شياو غوي الزجاجة بأسنانه، وشرب منها مباشرة، فقال له زانغ وو: «لقد أنقذتَ حياتي يا عمي... وأنا لم أنسَ هذا قط».

- جيد... يجب على المرء ألاّ يصبح قاسي القلب طالما أنه على قيد الحياة.

ثم سحب زانغ وو قطعة دجاج وناولها لشياو غوي قائلاً: «تفضّل يا عمي».

فالتهم شياو غوي قطعة الدجاج، ثم شرب كل ما في الزجاجة وبدأ يترنح، فسأله زانغ وو: «هل أنت ثمل يا عمي؟».

- نعم.

- إذاً، دعني أوصلك بعد هذه الوجبة الشهية والشراب اللذيذ.

وقام زانغ وو بدفع شياو غوي بقوة، فوقع في النهر.

وكانت تلك هي البقعة نفسها التي أنقذ فيها شياو غوي زانغ وو قبل سنوات عديدة.

لا تكسر قلباً من ذهب

هي شانغ آن

في إحدى الأمسيات، فيما كنت أمشي بسرعة كبيرة في طريقي من العمل إلى المنزل، اقترب مني رجل غريب وناولني عشرة يوان، وسألني إن كان بإمكاني مساعدته. وعلى الفور، شعرت بالقلق ظناً مني أنه مخادع يحاول الاحتيال عليّ. ولكن، قبل أن أتمكن من تجاوزه وتركه ورائي قال الرجل بسرعة وكأنه قرأ أفكاري: «أرجوك لا تخافي، فأنا لست لصاً».

– اعذرني، فليس لدي وقت...

وبدأت أمشي مبتعدة، غير أنه أوقفني مبتسماً وقال: «اسمعيني رجاء... ستكسرين قلباً من ذهب إن رفضت تقديم المساعدة».

عندها، توقفت عن المشي وقد أثار تعليقه فضولي.

فقال لي الرجل شارحاً إنه قد مرّ للتو بفتاة صغيرة تبلغ اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة تجلس عند ناصية شارع قريب، وترتجف من البرد بسبب الريح القارسة، وإنه توجّه نحوها وسألها إن كانت قد ضلت طريقها، فأخبرته أنها تنتظر أحداً... قالت الفتاة إنها كانت تبيع الأزهار على ناصية الطريق، فاشترت منها امرأة باقة من الأزهار ولكنها أدركت أنها نسيت محفظتها في المنزل، فأخذت باقة الأزهار وطلبت منها انتظارها لتذهب وتحضر محفظتها مباشرة. لكن الفتاة الصغيرة ظلت تنتظر هناك لعدة ساعات من دون أن تظهر المرأة.

ونظر إليّ الرجل وأكمل كلامه: «يبدو أن المرأة قد خدعت الفتاة الصغيرة».

ثم أخبرني أنه بذل قصارى جهده لإقناع الفتاة الصغيرة بالعودة إلى المنزل بدلاً من انتظار المرأة، كما أخبرها أن المرأة في الغالب قد كذبت عليها وخدعتها، لكن الفتاة الصغيرة رفضت المغادرة، وكانت على قناعة تامة بأن المرأة ستفي بوعدها. وقال لي الرجل إنه لم يحتمل رؤية الفتاة الصغيرة ترتجف من البرد، لذا عرض على الفتاة أن يدفع لها المال الذي تدين لها به المرأة ولكنها رفضت قبول نقوده بشكل مطلق.

فسألته بارتباك: «أتعني...».

غير أنه قاطع كلامي وهو يومئ قائلاً: «لم تصدّق الفتاة الصغيرة أن هناك خداعاً في هذا العالم؛ لأن قلبها نقي كالذهب. وبما أنني أكره جرح مشاعرها وتحطيم نقاء روحها، لذا أطلب منك المساعدة».

ثمّ ناولني الرجل عشرة يوان وقال مبتسماً: «سترينها عندما تلتفين عند ناصية الشارع. أرجوك، اذهبي وأعطيها المال، وأخبريها أن السيدة التي اشترت الأزهار منها لم تستطع المجيء لسبب ما، وأنها طلبت منك إعطاءها المال الذي تدين لها به».

عندها، تأثرت كثيراً وقلت للرجل: «أرجوك، اسمح لي بأن أدفع للفتاة المال الذي تدين لها به تلك المرأة الكاذبة!».

لكنّ الرجل رفض عرضي، وأصر على أنه يتشرف بالدفع لها، ثم أعطاني النقود وهو يقول بسعادة: «يمكنني الآن الذهاب إلى المنزل مطمئناً».

صافحت الرجل بحرارة وودعته. وعندما انعطفت عند ناصية الشارع، وجدت فتاة صغيرة ترتدي ملابس رثة وتقف في الهواء البارد حاملة سلة فارغة وهي تنظر باتجاهي، فسارعت في خطاي نحوها، وقلت لها:

«لم تستطع الخالة الحضور... حصل معها أمر طارئ، وطلبت مني إحضار المال».

– حقاً؟!

ونظرت الفتاة الصغيرة إلى المال الذي أحمله في يدي، ولكنها كانت مترددة في أخذه، فقلت لها مؤكدة:

«نعم... قالت لي الخالة إنه ليس لديها وقت، وطلبت مني أن أحضر لك المال».

عندها، نظرت الفتاة الصغيرة إلى النقود في يدي، ثم رفعت وجهها نحوي وقالت: «لا أصدقك».

فسألتها مستغربة: «ولم قد أكذب عليك؟».

فقالت لي: «لأنه لو كان الأمر صحيحاً، لكان عليها أن تتذكر أنها اشترت مني خمسين وردة... أليس كذلك؟ وبما أن سعر الوردة اثنان يوان، فهذا يعني أنها مدينة لي بمئة يوان...».

يا للرجل اللامبالي! لماذا نسي أن يسأل الفتاة عن المبلغ الذي تدين لها به المرأة؟ كدنا نخذل هذه الفتاة البريئة بسبب إهماله.

ولئلا أخيب ظن الفتاة الصغيرة، تظاهرت بأنني متفاجئة، وغطيت وجهي محرجة ثم تمتمت:

«يا لي من مهملة! كيف أخطئ بين ورقة عشرة يوان وورقة مئة يوان؟!». ثم أخرجت ورقة مئة يوان من جيبي ووضعتها في يد الفتاة التي قبلتها هذه المرة، ومشت مبتعدة بسعادة. وبينما كنت أراقب خطوات الفتاة الخفيفة، شعرت أنني فعلت شيئاً نبيلاً.

بعد مرور أسبوعين، رأيت الرجل ذا القلب الطيب في الشارع مجدداً. وقبل أن أتمكن من التوجه إليه وإلقاء التحية عليه، رأيته يوقف امرأة ويتكلم معها وهو يحمل بيده ورقة عشرة يوان. بدت المرأة مرتابة كما كنت أنا قبل أسبوعين، ولكنها بعد أن سمعت المزيد بدأت تبتسم، ثم رفضت أخذ المال من الرجل في البداية وقد تأثرت بصدقه، وبعد ذلك تناولت النقود من يده وصافحته، ثم مشت نحو ناصية الشارع.

وبالتأكيد، كانت الفتاة الصغيرة واقفة هناك عند ناصية الشارع تنظر في اتجاهها كما فعلت معي في المرة السابقة. وما إن رأتها المرأة حتى سارت نحوها بسرعة كما فعلتُ، وأعطتها النقود. لكن حين رفضت الفتاة الصغيرة أخذ المال، سألتها المرأة عن السبب، ثم تظاهرت بأنها تفاجأت؛ تماماً كما فعلتُ. وبعد ذلك، أخرجت المرأة ورقة مئة يوان من حقيبتها، وأعطتها للفتاة الصغيرة. قبلت الفتاة المال، وانحنت شاكرة قبل أن تنطلق في طريقها بسعادة. وكما فعلت سابقاً، تنهدت المرأة بارتياح وبدت مسرورة من نفسها بشأن ما فعلته للتو.

تبعت تلك الفتاة الصغيرة مسافة بضعة مبانٍ، إلى أن رأيت ذلك الرجل أيضاً. فقد قصدته الفتاة، وأخرجت النقود من جيبها وناولته إياها، فانحنى نحوها وتكلم معها بسرور. شعرت بغضب شديد لدى اكتشافي تلك الخدعة، فأخرجت قلماً وقطعة من الورق من حقيبتي، وكتبت عليها

ملاحظة، ثم أوقفت صبياً صغيراً كان يمر في الطريق، وطلبت منه مساعدتي في إيصال الورقة إلى الرجل.

عندها، سألني الفتى مستغرباً: «أتخجلين من الكلام معه؟».

فهززت رأسي نافية وأجبت: «لا. فعلى العكس، ينبغي أن يكون هو خجلاً من الكلام معي».

وعلى الفور، توجّه الفتى الصغير إلى الرجل وهو يشعر بسعادة غامرة لتقديمه المساعدة، وناوله قطعة الورق، ثم أكمل طريقه كما طلبت منه.

فتح الرجل الورقة وقرأها، ثم بدأ ينظر حوله بحذر وقلق وتوتر، وبعد ذلك أمسك بالفتاة الصغيرة ومشى مسرعاً.

وكنت قد كتبت له على الورقة: لا تكسر قلباً من ذهب!

منزل أبي بانتظاري

لين تشي

في إحدى أمسيات الأربعاء، كان على جميع المدرسين في إحدى المدارس حضور اجتماع منتظم ومجموعة دراسة. لذا بعد حصتين فقط، تم السماح للطلاب بالانصراف إلى منازلهم باكراً.

خرج هو واثنان من زملائه معاً من بوابة المدرسة. وبدلاً من العودة إلى المنزل باكراً، توجهوا إلى منتزه قريب من المنزل، حيث لعبوا هناك حتى حل الظلام، ثم توجهوا إلى المنزل رغماً عنهم.

وفي طريق العودة، خطرت بباله تلك الفكرة الجريئة: «هيه... أيريد أحدكما أن يجرّب تدخين سيجارة؟».

فرد صديقاه معاً: «بالتأكيد!».

عندها، توقف ثلاثتهم، وأخرجوا كل النقود التي يملكونها من جيوبهم، واشتروا بها علبة سجائر من نوع أشيما.

أمسكوا بعلبة السجائر، وركضوا إلى إحدى الزوايا في الطريق، حيث فتحوا العلبة. أعطى هو كلاًّ من صديقيه سيجارة، ثم أخذ واحدة لنفسه ووضعها بين شفتيه، وعندها فقط تذكّر أنهم نسوا شراء ولاعة.

فما كان منه إلا أن هزّ كتفيه، ثم بدأ ينظر حوله.

كان الوقت مساء، والمارة يسرعون في خطواتهم على الطريق. أراد التوجه نحو أحد المارة لاستعارة ولاعة، ولكنه شعر بالإحراج من القيام بذلك. وفي تلك اللحظة، لاحظ بقعة صغيرة من النور على الجانب الآخر من الطريق، وبدأ يشم رائحة سيجارة.

وأخيراً، اقترب الشخص الذي يدخن منهم، فتوجه هو نحوه قائلاً: «أعرنا ولاعتك يا أخي الكبير!».

عندها، توقف الشخص وناوله سيجارته المشتعلة، فأشعل هو سيجارته منها بأن لامس السيجارتين معاً وهو يسحب نفساً عميقاً من سيجارته لإشعالها، ثم أعاد السيجارة إلى صاحبها. وفي تلك اللحظة فقط، رأى وجه الرجل بوضوح، فشعر بالذهول، وتجمدت يده الممسكة بالسيجارة.

مد الرجل يده ليستعيد سيجارته، وحدق إلى الفتى بصمت لفترة من الزمن، ثم أدار عينيه إلى الفتيين الآخرين، وأخيراً ربّت على كتف هو قائلاً: «بعد أن تدخن هذه السيجارة يا أخي، عليك أن تعود إلى منزلك!».

فلم يستطع هو التفوّه بأي كلمة.

أما صديقاه فسألا الرجل: «لماذا؟».

عندها، نظر الرجل إلى عينيه مباشرة، وأجاب ببطء ووضوح: «لأن أباك ينتظرك في المنزل!». ثم استدار الرجل وغادر ما إن أنهى كلامه.

ظلّ الفتى جامداً في مكانه بلا حراك رغم أن الرجل قد اختفى في الظلام، فنكزه زميلاه في ذراعه وسألاه مستغربين: «ما المشكلة؟».

فما كان منه إلا أن استدار ونظر إلى صديقيه، ثم رمى سيجارته على الأرض وداسها غاضباً وقال لهما بقسوة وحزم: «أطفئا سيجارتيكما وعودا إلى منزليكما فوراً!».

فنظر إليه الصديقان، ثم نظرا إلى سيجارتيهما المشتعلتين بين أصابعهما وسألاه معاً: «لماذا؟!».

- لأن... لأن أبي في المنزل بانتظاري.

- كيف عرفت؟

فأخفض رأسه أمام صديقيه، وأجاب وقد خنقته العبرات: «ذلك الرجل الذي ساعدني في إشعال السيجارة... إنه أبي».

هل ستقبلني أيضاً؟

لي شون يي

هذه قصة حقيقية روتها لي حبيبتي.

وقعت أحداث هذه القصة الحقيقية حين كانت حبيبتي لا تزال طالبة في جامعة مشهورة في جنوب الصين. حيث كان أحد أساتذتها رجلاً وسيماً وأنيقاً في بداية العقد الخامس من عمره. كما كان واسع المعرفة، وقد نشر العديد من الكتب. وكان يتمتع بحس فكاهي وبالجاذبية... وغالباً ما كان يتسكع مع طلابه ويثرثر معهم بحماسة عن أمور الدولة والشؤون الأكاديمية. لذا، كان الجميع يعشقونه؛ وخاصة النساء الشابات في صفه، واللاتي كن يحببن الحديث معه للحصول على مساعدته وإرشاده.

وفي أحد الأيام، ذهبت حبيبتي واثنتان من صديقاتها المفضلات لزيارة ذلك الأستاذ في منزله لطرح بعض الأسئلة عليه. وبعد أن مررن بطريق مظلل وصلن إلى الباحة الهادئة حيث يقيم أستاذهن، وتوجهن إلى البيت الصغير المبني من الطوب الرمادي. وحين مدت صديقتي يدها لتطرق الباب، وجدته غير مغلق فدفعته برفق، ولكنها سرعان ما أصيبت بالذهول مما رأته عيناها.

فقد كان ذلك الأستاذ في منزله، ولكنه كان يعانق ويقبل فتاة أخرى من صفهن.

تفاجأ الأستاذ من ظهورهنّ المفاجئ، وأبعد يده عن الفتاة كما لو أن البرق قد أصابه، وسقطت ذراعه إلى جانبه وشحب وجهه تماماً.

وقف الجميع هناك لبضع ثوانٍ مذهولين، ولكن تلك اللحظات بدت طويلة كقرن من الزمن بالنسبة إلى الجميع، كما بدا الجو هادئاً تماماً؛ حيث كان بالإمكان سماع نبضات القلوب السريعة

وأصوات التنفس العصبية.

قالت لي حبيبتي شارحة: «لقد شعرت حينها بصدمة كبيرة... وبدأت أتساءل حول ما يجدر بي القيام به. فهل أتظاهر بأنني لم أرَ شيئاً، أو أغادر على الفور، أو أقترب وأقول شيئاً ما صادقاً؟ أو هل أنقل الأمر لرئاسة الجامعة؟ أو ربما يجدر بي إخبار زوجته ليعاقب أو تدمر حياته العائلية؟ جالت كل تلك الأفكار في ذهني خلال تلك اللحظات، لكن أستاذنا لم يكن رجلاً سيئاً، وربما كان مشوش الذهن قليلاً حينها».

وقبل أن أتمكن من التعليق، تابعت حبيبتي كلامها: «كنا نعلم أن أستاذنا وزوجته يحبان بعضهما كثيراً. وهي تدرِّس في جامعة أخرى في مدينتنا، ولديهما ابنة جميلة ومفعمة بالحيوية على وشك التخرج من الجامعة... كانت لديه عائلة سعيدة، ويتمتع بسمعة طيبة في الجامعة بأسرها».

بعد بضع ثوانٍ من الصمت والتردد، اقتربت حبيبتي من الأستاذ، ووقفت أمامه، وقالت له وقد رسمت ابتسامة مشرقة على وجهها: «كلنا طلابك يا أستاذ... يجب ألا تظهر تحيّزك حيال أحد منا... هل ستقبلني أيضاً؟».

عندها، استعاد الأستاذ رباطة جاشه، وعانق حبيبتي وقبلها على جبهتها وقد ترقرقت الدموع في عينيه.

كما اقتربت صديقتا حبيبتي من الأستاذ بسرعة أيضاً، وطلبتا منه تقبيلهما، فاستجاب الأستاذ لطلبهما واحدة تلو الأخرى.

وأنهت حبيبتي قصتها بالقول: «هذا ما حصل! مرت كل تلك السنوات، وما زال أستاذنا سعيداً مع عائلته المجتمعة حوله. كما ظل يتمتع بسمعة حسنة حتى الآن. وبعد أن كرّس وقته لأبحاثه الأكاديمية أكثر، حصد المزيد من النتائج المبهرة. وفي سنة تخرجي، أرسل لي بطاقة بريدية كتب فيها عبارة واحدة: أنا ممتن لقلبك الطيب وحكمتك؛ لأنك أنت من أنقذني!».

وفي النهاية، ختمت حبيبتي كلامها بالقول: «هناك أمور كثيرة حساسة جداً. فلحماية روح أو تدميرها لا يحتاج الأمر سوى إلى بضع كلمات بسيطة».

أسئلة للاختبار

ليو مين يان

في أحد الأيام، قام موقع إلكتروني من الولايات المتحدة بنشر أسئلة الاختبار هذه:

«لو علمت أنك ستغادر هذا العالم غداً:

1) ما النصيحة التي ستتركها لابنك؟

2) في آخر يوم من حياتك، ما هو أكثر شيء تتمنى القيام به؟

3) لو كان بإمكانك القيام بذلك، ما هو الشيء الذي تتمنى أخذه معك من هذا العالم؟».

وذكر الموقع الإلكتروني أن سيغموند فرويد قد صمم أسئلة الاختبار هذه عام 1902 لمعرفة أكثر الأمور التي يتوق إليها البشر. وبما أن ذلك اليوم كان يصادف الذكرى المئة لاقتراح فرويد، فقد تم تخويل ذلك الموقع الإلكتروني من قبل مؤسسة هيلين كيلر بنشر هذه الأسئلة الشهيرة مجدداً. وختم الموقع كلامه بالقول: «إن كنت مهتماً بالإجابة عن هذه الأسئلة وتقديم عنوان بريدك الإلكتروني فستتلقى هدية غير متوقعة».

لم أكن معتاداً على الإجابة عن أسئلة كهذه تنشر عبر الإنترنت، كما أنني عموماً لا أستمتع بقراءة ملاحظات رواد الإنترنت في العالم الافتراضي، ولا أكترث بتلقي الهدايا. لكنني حين قرأت اسم هيلين كيلر توقفت أمام هذا الطلب، وفكرت في أن نقرة على حاسوبي ربما يمكن اعتبارها عملاً خيرياً؛ فأنا أعلم أن زيادة عدد متصفحي مواقع الإنترنت قد تعني المزيد من الدخل للعديد من تلك المواقع الإلكترونية.

ضغطت على الأسئلة، ووجدت أن 14358 زائراً قد دخلوا ذلك الموقع. وبهدف التعبير عن احترامي لأعظم شخص كفيف معروف في هذا العالم، أي هيلين كيلر، كتبت الإجابات التالية بصدق:

النصيحة التي أريد تركها لابني: «افعل ما يمليه عليك قلبك».

في آخر يوم من حياتي أكثر شيء أتمنى فعله هو: «الاستمتاع بنزهة مع كل أفراد عائلتي على مرج أو في حديقة لنتناول الطعام ونحن نغني بسعادة».

ما أتمنى أخذه معي من هذا العالم: «لا شيء».

ثم كتبت عنوان بريدي الإلكتروني وأرسلت الإجابة.

لم أكن واثقاً من أن مشاركتي في الإجابة عن السؤال يمكنها أن تزيد من عائدات مؤسسة هيلين كيلر الخيرية، ولكنني بعد أن سلمت إجاباتي الثلاث سيطر عليّ إحساس مفاجئ... نعم... لو كنت سأموت غداً، فكيف سأتصرف الآن؟ هل سأستمر في القيام بكل تلك الأمور التي تؤذي صحتي الجسدية من دون أدنى اكتراث؟ هل سأستمر في الإفراط في الاستهلاك والإنفاق بدون العثور على المتعة؟ هل سأستمر في التفكير بالقيمة والمكانة الاجتماعية للناس بناء على كمية المال التي يجنونها؟ هل سأستمر في تأنيب ابني على أخطائه الثانوية؟ أم تُراني سأستمر في القلق بشأن الاستمرار في عملي أم تركه؟

وبينما كنت غارقاً في التفكير، طرق ابني الباب بعد عودته من المدرسة، فقفزت وفتحت له الباب من دون أن أنسى التربيت على وجنته بلطف. عندها، نظر إليّ مستغرباً، ثم سألني إن كانت هناك مشكلة ما. ورغم أنني لم أجبه إلا أنني كنت قد أحسست بوجود نقاء في قلبي.

وقبل زمن ليس بطويل، وبينما كنت أتحقق من رسائل بريدي الإلكتروني، وجدت رسالة تهنئة لي. وحين فتحتها، قرأت فيها الكلمات التالية:

صديقي العزيز! هذا الامتحان لا يهدف إلى تقييم إجابتك عن الأسئلة، وإنما ببساطة يقوم بين الفينة والأخرى بمساعدتك على تذكير نفسك بشأن المواضيع التي تطرحها هذه الأسئلة.

سماعات تقوية السمع المزعجة

هي باو غو

كان والدا زوجة لاو غو قبل تقاعدهما أستاذَين في مدرسة ثانوية، وكانا يقيمان في حي قديم في المدينة. وعلى الرغم من أنهما متزوجان منذ أكثر من أربعين عاماً، إلا أنه لم تكن لديهما عادة خاصة كصيد السمك أو لعب الورق. بل كان أكثر شيء رومانسي يفعلانه هو تسوق البقالة معاً، ثم العودة إلى المنزل وتشغيل جهاز التلفاز والقيام ببعض المهام المنزلية والدردشة. وبما أن كليهما معروفان «بلسانيهما السليطين» منذ أيام المدرسة، فقد بدا أن بينهما مواضيع لا تنتهي ليناقشاها معاً. لذا، كانا يمضيان كل يوم من حياتهما التقاعدية منذ عشر سنوات وهما يستمتعان بتبادل الأحاديث.

وفي أحد الأيام، توجّه لاو غو برفقة زوجته لزيارة والدَيها، فوجدهما سعيدين وبصحة جيدة ووجناتهما محمرة، كما بدوَا له نشيطين وواسعي الاطلاع على أخبار العالم في الخارج. لكن مشكلتهما الوحيدة هي أن حاسة السمع لديهما صارت ضعيفة جداً. وهكذا، كان من الصعب على أحدهما سماع ما يقوله الآخر.

فعلى سبيل المثال، حين يقول والد زوجته: «أسمعت أن حفيد أولد سان من مجموعة التدريس السابقة قد حصل على شهادة الدكتوراه في الولايات المتحدة؟».

ترد والدة زوجته: «نعم... كانت تكلف ثلاثة آلاف وتسعمئة في السنة الماضية. لكن السعر انخفض إلى ثلاثة آلاف وثلاثمئة الآن».

وحين يكمل والد زوجته: «قام ذلك الفتى مرة بكسر إفريز النافذة قبل عشر سنوات... من كان يتخيل أنه سيصبح دكتوراً الآن؟».

ترد والدة زوجته: «حروب الأسعار ليست سيئة... إنها جيدة بالنسبة لنا نحن الناس العاديين».

وهكذا، وجد لاو غو أن محادثتهما غير متناسبة إطلاقاً، ولا يمكن تسميتها حواراً. وغالباً ما تقوم والدة زوجته بالدردشة مع زوجها، فلا يسمع هذا الأخير جملة كاملة واحدة مما تقوله.

وفي طريقهما إلى المنزل، قال لاو غو لزوجته: «سأحضر لهما سماعات لتقوية السمع حين أذهب في رحلة العمل إلى هانغ زو خلال بضعة أيام... فأنا أشعر بالسوء حين أرى أحدهما لا يسمع شيئاً فيما الآخر يستمر بالكلام».

فمدحته زوجته: «يا لك من صهر رائع!».

بعد عودة لاو غو من هانغ زو، توجه إلى منزل والدَي زوجته مجدداً ليعطيهما الهدايا التي اشتراها لهما، فتقبّل العجوزان الهدايا بسعادة. لكن في اليوم التالي، علم لاو غو أن الزوجين قد تشاجرا، فاستغرب كثيراً وسأل زوجته: «لماذا؟ فهما لم يتشاجرا من قبل إطلاقاً!».

وهكذا، اندفع هو وزوجته لمعرفة المشكلة.

وحين رأياهما، اشتكى الرجل العجوز بمرارة: «ليست لدي أدنى فكرة من أين تأتي هذه المرأة العجوز بكل هذه القذارة! إنها تثرثر بلا توقف طوال النهار... تكاد تفقدني صوابي!».

وبينما هو يتذمر، خلع سماعتي تقوية السمع من أذنيه، ورماهما على الطاولة.

أما والدة الزوجة فكانت في الغرفة الخلفية متجهمة، حيث صبت جام غضبها على زوجها بالقول: «العجوز يستمر بالتذمر. إنه يتذمر دائماً ويسألني عن كيفية معرفتي بتلك القصص القذرة... كيف لي أن أذكر من أخبرني بها؟ لكنه يتهمني بأنني أخفي عنه ذلك عمداً».

وقامت والدة الزوجة بسحب سماعتَي تقوية السمع من أذنيها، ورمتهما على الطاولة أيضاً.

بذل لاو غو وزوجته قصارى جهدهما لتهدئة العجوزين قبل أن يغادرا. ومنذ ذلك اليوم، أصبحا يزوران العجوزين مرة في اليوم على الأقل. إذ كانا كلما تشاجرا يتصلان بلاو غو أو زوجته ليتذمرا؛ ما أربك الزوجين الشابين... فقد كانا منسجمين مع بعضهما كثيراً في الماضي، فلِمَ صارا يتشاجران الآن؟ ما المشكلة؟ وفجأة، أدرك لاو غو المشكلة، فهرع إلى منزل والدَي زوجته، واصطنع كذبة قائلاً لهما إن موزع سماعات تقوية السمع يريد صيانة المنتج. وحين رأته زوجته عائداً مع

سماعات تقوية السمع سألته مرتبكة: «أنت تعلم أن سمعهما ضعيف... ماذا سيفعلان الآن بعد أن أخذت هذه السماعات؟».

فابتسم لاو غو بدون أن يرد.

وهكذا، مر ذلك النهار بسلام، ولم يتلقَّ الزوجان الشابان أي شكوى عبر الهاتف من العجوزين. وبعد مرور أكثر من عشرة أيام من دون أن يتشاجر العجوزان، أدركت زوجة لاو غو أخيراً سبب مصادرة لاو غو لسماعات تقوية السمع... فقد كانت تلك السماعات أصل المشكلة.

أخبرها لاو غو شارحاً: «لقد اعتادا على حوارهما الضبابي. وبعد الغموض والسعادة اللذين استمرا لوقت طويل بسبب ذلك، ما عادا يحتملان سماع بعضهما بوضوح».

ذهب لاو غو وزوجته لزيارة والديها مجدداً، فوجدا العجوزين وقد عادا إلى حوارهما الضبابي؛ حيث كانا يتكلمان مع بعضهما عن «رؤوس الثيران» و«شفاه الخيول» أو يستمتعان بحواراتهما الفردية. وهكذا، شعر العجوزان بالرضى والسعادة مجدداً في حياتهما التقاعدية.

معطف جلد الخراف

سان فانغ يو

قام تاجر في تشين زو يدعى يو بيوان (وهو مليونير) بتوظيف محاسب من نينغ شيا يدعى زونغ هي. وقد كان زونغ في ما مضى جندياً، ولكنه أصيب إصابة بالغة في إحدى المعارك، حيث هرب أفراد وحدته كالأرانب، وتركوا رفاقهم الجرحى وراءهم. وفي أحد الأيام، ذهب يو بيوان إلى منزله لحضور طقوس العبادة لأجداده. وبينما كان في طريق عودته إلى المدينة، سمع صوت أنين زونغ بجانب الطريق، فأشفق على الشاب المتروك وحده، وأرسل من يحمله وينقله إلى المدينة، ثم استدعى طبيباً ليعالجه. وبعد أن تعافى الشاب زونغ، بقي في متجر يو بيوان وأصبح محاسبه.

في هذا العام، كان يتوجب على زونغ الذهاب إلى منزله لرؤية والديه فقال له يو المليونير: «سمعت أن شان نيغ شيا تشتهر بمعاطفها المصنوعة من جلد الخراف. أيمكنك أن تحضر لي واحداً؟».

فوعد زونغ مديره بذلك وغادر. ولكنه لم يعد إلى العمل بعد عودته إلى منزله، ودام غيابه فترة طويلة. وبعد ثلاث سنوات، حين عاد إلى عمله في النهاية، قدّم إلى مديره معطفاً من جلد الخراف قائلاً: «سيدي، لقد أمضيت ثلاث سنوات وأنا أبحث عن هذا المعطف المصنوع من جلد الخراف لأعبر من خلاله عن امتناني لك».

عندها، نظر يو بيوان إلى المعطف الجلدي بتمعن، ولكنه لم يجد فيه أي شيء مميز، فقال لزونغ غاضباً: «لقد اختفيت لمدة ثلاث سنوات، وقد حل محلّك شخص آخر منذ زمن طويل. لذا، يمكنك الآن العودة إلى الريف للعمل في الزراعة».

بعد مغادرة زونغ، أعطى المليونير المعطف الجلدي لسائقه. وكان فصل الشتاء قد حلّ في وقت مبكّر، فجلس بيوان في عربته مرتجفاً وقد ارتدى معطفه القطني المبطن، بينما كان سائقه يتصبب عرقاً وهو يرتدي المعطف الجلدي الذي أحضره زونغ. عندها، شعر يو بيوان بالفضول، وطلب من سائق عربته أن يتبادلا المعطفين، فشعر بالدفء على الفور.

وحين أدرك القيمة الثمينة للمعطف الجلدي المصنوع من جلد الخراف، أسرع يو المليونير إلى الريف للبحث عن زونغ وسأله: «لماذا احتجت إلى ثلاث سنوات حتى عثرت على هذا المعطف الجلدي؟».

فأجاب زونغ: «يتطلب صنع مثل هذا المعطف الجلدي الحصولَ على جلد أفضل كبش وصوفه. وصنع مثل هذا المعطف يحتاج إلى ما لا يقل عن ستة أكباش. وبما أنه كان من الصعب جمع كل هذه الحيوانات من الرعاة الذين يعتبرونها كأعينهم، وكانوا يرفضون بيع أكباشهم مهما كان السعر الذي أعرضه باهظاً، لذا استغرق الأمر كل ذلك الوقت الطويل».

وحين سمع يو بيوان شرح زونغ، أدرك كم أساء إليه، وشعر بالخزي فقال له: «أرغب في دعوتك للعمل معي مجدداً، كمحاسب لي».

عندها، انحنى زونغ وقد جمع راحتَي كفيه أمام صدره وقال: «بصراحة، بقيت هنا أعمل في الزراعة لأنني كنت آمل سماع هذه الكلمات منك. لكن، عليّ الاعتراف لك: على الرغم من أن عائلتي ليست ثرية كعائلتك، إلا أنني من عائلة ثرية تعيش شمال السور العظيم، والكثير من النبلاء والمسؤولين في منطقتنا يزورون منزلنا بانتظام للعب الشطرنج مع أبي!».

ذُهل يو المليونير مما سمعه وسأل زونغ: «إذاً، لماذا التحقت بالجيش؟».

فأجاب زونغ: «كان أبي قلقاً من أنني لن أحافظ على ثروة العائلة، فقام بإرسالي لأجول في العالم وحدي... من كان يدري أنه سيتم القبض علي، وسيتم ضمي إلى الجيش، وسأصاب في معركة؟ لكنني أظن أنني تعلمت الكثير من كل المعاناة التي مررت بها. فحين زرت منزلي مجدداً قبل ثلاث سنوات، أثرت إعجاب والدي بمدى التطور الذي حققته. لذا، قام بإجراء ترتيبات لزواجي. ولأرد لك الجميل، أرسلني أبي إليك خصيصاً لإهدائك المعطف الجلدي. كما أنه يرغب بتقديم هدية أخرى لك».

وفتح زونغ حزمة قماشية وأخرج منها سوطاً جلدياً وناوله ليو بيوان.

تناول يو المليونير السوط، ولكنه لم يعرف السبب الذي جعل والد زونغ يختار إرسال مثل هذه الهدية له، فابتسم زونغ وقال شارحاً: «قال والدي إن هذا السوط مصنوع من جلد النمس. والنمس حيوان نادر، وهو لا يأكل سوى الأفاعي السامة. والجيد في هذا السوط هو أن الجروح التي يخلفها لا تلتهب أو تترك أي ندب. وبرأيه، من السهل الاعتداء على الرجل الثري، لذا يجد أن سوط جلد النمس سيكون مفيداً لك».

فضحك يو بيوان وسأل زونغ: «هل تمت معاقبتك بمثل هذا السوط من قبل؟».

احمر وجه زونغ وأخفض رأسه ولكنه لم يجب.

ضحك يو المليونير من قلبه وقال: «إنه سوط يحفظ الثروة... يا له من كنز!».

وعند سماعه تلك العبارة، ركع زونغ مباشرة وقال: «إن كنت قد فهمت ما قصده والدي، فيمكنني الاطمئنان إلى أنني قد عبرت لك عن شكري للطفك معي وإنقاذك حياتي!».

وبعد إنهائه كلامه، صفر زونغ فقفز حصان هجين من بين الأشجار واقترب منه. امتطى زونغ الحصان بقفزة واحدة، ثم أداره نحو يو بيوان، وانحنى له باحترام قبل أن ينطلق في طريقه كالسهم.

عندها، وقف يو المليونير متسمراً في مكانه لوقت طويل وهو بحالة من الذهول...

اليانصيب ...اليانصيب

ليو جينغ

كانت الساعة السابعةَ صباحاً حين قفز ليو جين من سريره؛ رغم أنه بقي مستيقظاً طوال الليل كما لو أن هناك شيئاً يُبقي عينيه مفتوحتين. لم يعد يذكر كم مرة خلال الساعات الثلاث الماضية منذ بزوغ الفجر جلس على سريره ثم استلقى مجدداً، وبسبب تحركه كثيراً لم تستطع زوجته النوم أيضاً، فسألته: «ماذا تفعل؟ لِمَ تتحرك كثيراً بدلاً من النوم؟».

هدأ ليو جين، وهمّ بأن يقول لها شيئاً، ولكنه في النهاية غيّر رأيه؛ فللجدران آذان.

فتح ليو جي الباب بحذر، وبعد أن تأكد من أن أحداً لا يراقب منزله، غسل وجهه وأسرع يغادر إلى العمل.

كان الوقت مبكراً، وليو جين أول من وصل إلى العمل في ذلك اليوم. وأول شيء فعله عند دخوله مكتبه هو إبعاد الستائر قليلاً لمراقبة جميع المارة بحذر، وحين تأكد من أن أحداً لا يتبعه، رفع سماعة الهاتف واتصل بمنزله، فردت عليه زوجته بصوت نائم: «ألو... من المتصل؟».

فهمس ليو جين في السماعة: «اسمعيني جيداً... ربما يكون هاتفنا مراقباً... لذا، لا تسأليني عمّا يحصل، وإنما أسرعي واجمعي كل نقودنا وسنداتنا المصرفية وغيرها من المقتنيات الثمينة، وسآتي وآخذها بعد قليل قبل الساعة الثامنة والنصف صباحاً.

عندها، صحت زوجته على الفور وسألته: «ما الخطب؟».

– لا تسألي... وافعلي ما طلبته منك. بالمناسبة، انتبهي أثناء غيابي عن المنزل، ولا تفتحي الباب لأي كان، وانتبهي لابننا... عديني بأنك لن تدعيه يغيب عن نظرك للحظة.

- ماذا هناك؟!

لكنّ ليو جين كان قد أنهى المكالمة، ثم انحنى مباشرة فوق خريطة حيث تمتد أمامه مساحة 9.6 ملايين كيلومتر مربع.

كان ليو جين يعلم أنه يجب عليه الهروب بأسرع ما يمكن!

فمنذ أن تم إطلاق حملة اليانصيب في مدينته عرف الجميع أن هناك شخصين محظوظين ربحا أعلى جائزتين مبدئيتين. لكن، خلال ثلاثة أيام من استلام النقود تم خطف ابن الرابح الأول، وبالتالي توجب عليه دفع المبلغ الذي ربحه في الجائزة وهو أربعة ملايين يوان للخاطفين، ثم تم العثور عليه هو وابنه مقتولين في الشارع. أما الرابح الثاني فكان أذكى بكثير؛ فقبل أن يعرف الناس من هو وأين يقيم غادر المدينة برفقة عائلته ليستمتع بما تبقى من حياته في مكان آخر، مع أربعة ملايين ونصف يوان في جيبه.

لم يكن ليو جين يفوّت فرصة شراء تذكرة يانصيب إطلاقاً، ولطالما حلم بربح الجائزة الكبرى. ويبدو أن الإيمان يحرك الجبال، إذ تبيّن في الليلة الماضية أن الجائزة الكبرى كانت من نصيبه. هذه المرة كانت الجائزة بقيمة أربعة ملايين ونصف يوان! وهكذا عرف ليو جين أن عليه الهرب بأسرع ما يمكن.

لكن، إلى أين سيهرب؟ بكين؟ شنغهاي؟ غوانغ زو؟ لا... فعلى الرغم من أنه قد يكون من السهل العثور على عمل والاستمتاع بحياة جيدة هناك، إلا أن لديه زملاء دراسة في كل تلك المدن. وإن صادف أي صديق قديم في الشارع هناك فستفشل خطته. لذا، نقل ليو جين إصبعه فوق الخريطة حتى توقفت عند ذيل الديك الكبير (شكل خارطة الصين).

بدأ زملاء ليو جين بالوصول تباعاً، ولكنه لم يُلقِ التحية على أي منهم؛ إذ سيكون الأمر كارثياً إن اشتبه أحدهم بشيء غير طبيعي في تصرفاته. مشى ليو جين مباشرة إلى مكتب مديره وقال: «أريد الحصول على إجازة لبضعة أيام».

كان ليو جين قد فكّر مسبقاً في أنه إن انقطع عن العمل ببساطة بدون إبلاغ مديره فقد يثير الريبة لدى زملائه الذين قد يعرفون حينها بما حصل. لذا، قرر أن أفضل ما يجب عليه القيام به أولاً هو أن يطلب إجازة. وبعد أن يغادر بأيام قد يعرف الجميع سبب رحيله، ولكنه حينها سيكون قد صار بعيداً، وصار بإمكانه أن يستمتع بثروته العظيمة في قصر جديد وفخم.

رد مديره: «نحن مشغولون للغاية في الوقت الحالي... لماذا تريد الإجازة؟».

– أختي تقيم في مدينة بعيدة، وهي مريضة للغاية... لذا، علي الذهاب للاعتناء بها.

– لم أسمع من قبل أن لديك أختاً تقيم في مدينة أخرى.

– لم نتواصل مع بعضنا إلا مؤخراً.

نظر المدير إلى ليو جين، فوجد عينيه محمرتين من شدة القلق، لذا وافق على طلبه قائلاً له: «ارجع بأسرع ما يمكنك».

عندها، ضحك ليو جين في سره، وتمتم لنفسه وهو يغادر: «هاه! أتطلب مني العودة بأسرع ما يمكنني؟! أتظنني أحمق؟ كم يمكن أن أجني من المال لو عملت هنا طوال حياتي؟! أنا الآن أملك أربعة ملايين يوان ونصف! لقد تم ترتيب كل شيء، وكل ما يتوجب عليّ الآن القيام به هو العودة إلى المنزل وأخذ زوجتي وابني والهرب خفية. وهكذا، سأتمكن من إنفاق غنيمتي بحرية في مدينة أخرى».

لم يكن يبعد عن البيت سوى شارعين. وجعلته السعادة الغامرة التي يشعر بها وهو يحلم بالمال الوفير لا ينتبه إلى إشارة المرور الحمراء عند تقاطع طرق، وسرعان ما رأى رجل شرطة يتجه نحوه.

عندها، شعر ليو جين بالقلق: «تباً! لقد انكشف أمري. أتظن أنني لا أعلم أنك تسعى وراء ثروتي، وأنك متنكر بزي رجل شرطة؟! أتظنني أحمق كذلك الغبي الذي ربح أول ورقة يانصيب؟ ممم! لست أحمق!».

فانعطف ليو جين بدراجته وانطلق مسرعاً، وعلى الفور سمع الشرطي يصرخ خلفه: «توقف... لا تفعل هذا!».

غير أنّ ليو جين بدأ يسرع أكثر فأكثر.

عندها، انضم رجل آخر يرتدي بذلة رجل الشرطة إلى الشرطي الأول وصرخ قائلاً له: «توقف!».

ذُعر ليو جين أكثر، وقاد دراجته بجنون أكبر. وفجأة، سمع صوت مكابح سيارة، ثم طار في الهواء كورقة يانصيب قبل أن يسقط على الأرض مجدداً.

ركضت زوجة ليو جين إلى الموقع، وكذلك فعل زملاؤه حين سمعوا بالحادث.

وقد ذكر أحد الشهود: «لقد ظل يردد قبل أن يموت: لن أسمح لأحد بأخذ النقود».

فقال زملاؤه لزوجة ليو جين: «آه! إذاً، لقد ربح الجائزة الكبرى في اليانصيب!».

عندها، أجهشت زوجة ليو جين بالبكاء بصوت مرتفع، ثم قالت إن زوجها اختار مجموعة من الأرقام المثيرة للشك، ولكنه لم يشترِ الورقة لأنه اضطر إلى العمل لوقت إضافي في اليوم السابق. غير أن الجائزة الكبرى التي تم الإعلان عنها في المساء كانت تحمل الأرقام نفسها التي اختارها. وحين رأى ليو جين الأرقام على شاشة التلفاز في الليلة الماضية أغمي عليه، وبعد أن استعاد وعيه لم يغمض له جفن.

عندها، التزم الجميع الصمت غير قادرين على الكلام.

«ن» طريقة لتناول السمك

يي نونغ

1

تم تحضير طبق من السمك المقلي، فقال المدير كو للنادلة: «انتبهي يا آنستي، وتأكدي من توجيه رأس السمكة نحو ضيفنا المميز».

وبنظرة خاطفة، تعرفت النادلة الذكية على الشخصية المهمة الجالسة إلى الطاولة، فقامت بكل هدوء بتعديل طبق السمك وجعلت رأس السمكة يتجه نحوه. عندها، صفق المدير كو بيديه وضحك قائلاً: «جيد... جيد... للنادلة عينان حادتان. لكنّ سبب تعرفها إليه على الغالب هو أن رئيس المكتب لديه حضور مميز، ما مكّنها من التخمين بشكل صحيح على الفور...» ثمّ توجّه نحو رئيس المكتب وقال له: «أرجوك أن تبدأ بتناول طعامك أولاً يا حضرة رئيس المكتب».

فتناول رئيس المكتب عصوَي الأكل وضحك قائلاً:

«هيّا، كُل! دعنا نبدأ معاً!».

غير أن المدير كو أصر قائلاً: «يجب أن تكون أنت أول من يبدأ بتناول الطعام، ثم سنأكل نحن».

وهكذا، باستعمال عصوَي الطعام، اختار رئيس المكتب سمكة، وحملها من ذيلها، فتبعه الجميع بسرور. ثم قال المدير كو: «بمجرد النظر إلى المكان الذي وجّهت إليه عصوَي الطعام

على السمكة يا حضرة رئيس المكتب، يمكنني معرفة أن أجدادك كانوا أثرياء ونبلاء ولديهم الكثير من الطعام واللباس».

عندها، سأل رئيس المكتب باهتمام واضح: «حقاً... كيف ذلك؟».

فاقترب المدير كو من الطاولة وقال: «دعني أخبرك. في الماضي، حين كان رجال العصابات يختطفون أحداً ما، كانوا يجوّعون الضحية لثلاثة أيام، ولا يعطونه سوى الماء. وفي اليوم الرابع، كانوا يضعون أمامه طبقاً من السمك المقلي، ويراقبونه ليروا من أين سيبدأ الضحية الجائع بتناول السمكة. فإن بدأ من ذيل السمكة عرفوا على الفور أنه من عائلة ثرية، وطلبوا فدية أكبر من عائلته... لماذا؟ لأن الأثرياء انتقائيون في ما يتعلق بطعامهم، ويعلمون أن الذيل أكثر جزء مغذٍ في السمكة. وبعد أن عاشوا بترف لسنوات، صاروا معتادين على البدء دائماً بتناول السمكة من ذيلها. ومن جهة أخرى، إن بدأ الضحية بالأكل من رأس السمكة أو بطنها فإن ذلك يجعل أفراد العصابة يعرفون فوراً أن الضحية من عائلة فقيرة لا تملك الكثير من المال، لذا يكتفون بضربه ضرباً مبرحاً وإخلاء سبيله».

فما كان من رئيس المكتب إلا أن قال: «حقاً! هذا أمر منطقي... أليس كذلك؟».

فيما ردد الجميع: «أهذا ما كان يحصل فعلاً؟».

2

«كلوا... دعونا نأكل السمكة!».

واختار الوزير قطعة لحم من البطن، فرفع الجميع عصي الطعام الخاصة بهم ليأكلوا.

عندها، قال المدير كو: «بمجرد النظر إلى المكان الذي بدأت بتناول السمكة منه يمكنني معرفة أنك متحدر من عائلة ثرية وعريقة، وأن أجدادك كان لديهم الكثير من الطعام واللباس».

فسأله الوزير باهتمام بالغ: «حقاً! كيف عرفت؟».

عندها، أجاب المدير كو: «دعني أخبرك. في الماضي، حين كان رجال العصابات يختطفون أحداً ما، كانوا يجوّعون الضحية لثلاثة أيام، ولا يعطونه سوى الماء. وفي اليوم الرابع، كانوا يضعون أمامه طبقاً من السمك المقلي، ويراقبونه ليروا من أين سيبدأ الضحية الجائع بتناول السمكة. فإن بدأ من بطن السمكة عرفوا على الفور أنه من عائلة ثرية، وطلبوا فدية أكبر من

عائلته... لماذا؟ لأن الأثرياء انتقائيون في ما يتعلق بطعامهم، ويعلمون أن البطن أكثر جزء مغذٍ في السمكة. وبعد أن عاشوا بترف لسنوات، صاروا معتادين على البدء دائماً بتناول السمكة من بطنها. ومن جهة أخرى، إن بدأ الضحية بالأكل من رأس السمكة أو ذيلها فإن ذلك يجعل أفراد العصابة يعرفون فوراً أن الضحية من عائلة فقيرة لا تملك الكثير من المال، لذا يكتفون بضربه ضرباً مبرحاً وإخلاء سبيله».

قال الوزير: «حقاً! هذا أمر منطقي... أليس كذلك؟».

فيما ردد الجميع: «أهذا ما كان يحصل حقاً؟!».

3

«كلوا... دعونا نأكل السمكة!».

واختار المدير قطعة لحم من رأس السمكة، فرفع الجميع عصي الطعام الخاصة بهم ليأكلوا.

عندها، قال المدير كو: «بمجرد النظر إلى المكان الذي بدأت بتناول السمكة منه يمكنني معرفة أنك متحدر من عائلة ثرية وعريقة، وأن أجدادك كان لديهم الكثير من الطعام واللباس».

فسأله المدير بفضول واضح: «حقاً! كيف عرفت؟».

عندها، قال المدير كو: «دعني أخبرك. في الماضي، حين كان رجال العصابات يختطفون أحداً ما، كانوا يجوّعون الضحية لثلاثة أيام، ولا يعطونه سوى الماء. وفي اليوم الرابع، كانوا يضعون أمامه طبقاً من السمك المقلي، ويراقبونه ليروا من أين سيبدأ الضحية الجائع بتناول السمكة. فإن بدأ من رأس السمكة عرفوا على الفور أنه من عائلة ثرية، وطلبوا فدية أكبر من عائلته... لماذا؟ لأن الأثرياء انتقائيون في ما يتعلق بطعامهم، ويعلمون أن الرأس أكثر جزء مغذٍ في السمكة. وبعد أن عاشوا بترف لسنوات، صاروا معتادين على البدء دائماً بتناول السمكة من رأسها. ومن جهة أخرى، إن بدأ الضحية بالأكل من بطن السمكة أو ذيلها فإن ذلك يجعل أفراد العصابة يعرفون فوراً أن الضحية من عائلة فقيرة لا تملك الكثير من المال، لذا يكتفون بضربه ضرباً مبرحاً وإخلاء سبيله».

فقال المدير: «إن ما تقوله صحيح».

وردد الجميع: «أهذا ما كان يحصل حقاً؟».

4

وبعد سنوات، تقاعد المدير كو. وبسبب الروتين الذي كان سائداً خلال سنوات عمله، كان يتناول المشروبات الكحولية على الغداء يومياً من دون الحاجة إلى صحبة أحد، حيث كان يشرب وحده بسرور.

وفي أحد الأيام، جاء زوج ابنته لزيارته. وبالطبع، دعا المدير كو زوج ابنته إلى وجبة مترفة، وحين تم وضع طبق السمك المقلي على الطاولة، أشار إلى زوج ابنته للبدء بتناول الطعام. وكان هذا الأخير يأمل أن يترك انطباعاً جيداً لدى والد زوجته فقال:

«يا أبتاه، هناك العديد من الطرائق المختلفة لتناول السمك... أترغب بمعرفتها؟».

فقاطعه المدير كو: «أي طرائق؟! هذا كله هراء... إنها القصة نفسها، ولكن تتم روايتها بشكل مختلف، أو بصراحة تُروى بالطريقة المناسبة للإطراء على الرؤساء. لقد كنت أجني الكثير من المال بفضل هذا الكلام. وحين أتذكر ذلك الآن، أشعر بأنني لم أنجز شيئاً، وأن ذلك كله كان بلا مغزى! أتمنى ألا تتبع خطاي، وأن تتعلم شيئاً حقيقياً، وتنجز شيئاً في حياتك، وعندها ستعيش بلا ندم عندما تتقدم في السن».

العروس دوان مي

ليو لي يينغ

بعد زفافهما، ولأول ثلاثة أيام على الأقل، تمكّن ماد من البقاء مع عروسه الجديدة الجميلة. ولكنه في اليوم الرابع بدأ بإثارة المشاكل.

قبل زواجه كان ماد يحب «حفر الحفر»؛ وهذا هو التعبير المجازي الذي كان أهل قرية ليو يستخدمونه للإشارة إلى القمار. وقد قال له أصدقاؤه المقامرون قبل زواجه إن الرجل إن لم يتمكن من ترويض زوجته خلال الأيام القليلة الأولى، فلن يتمكن من رفع رأسه أبداً بقية حياته؛ فالزوجات كالعشب الذي ينمو ويذبل وينمو مجدداً، وحتى لو تم سحقه بالصخور فهو يستمر بالحياة ويخضر ويصفر، ثم يخضر مجدداً طالما أن هناك نسمة هواء.

كانت العروس دوان مي تشغل نفسها بالقيام بجميع الأعمال المنزلية وابتسامتها الحلوة لا تفارق وجهها؛ حيث تبدو دائماً كما لو أنها عثرت على كنز. وذات يوم، بعد أن حضّرت المهلبية، سألت زوجها مبتسمة عمّا إذا كانت المهلبية كما يحبها. وكانت كلّما وضعت طبق طعام على الطاولة تترك ماد يتذوقه أولاً قبل أن تسأله باسمة عمّا إذا كان الطعام كثير الملح أو قليل الملح. فجأة قاطع ماد كلامها موبّخاً: «لماذا تتكلمين كثيراً؟! هل علي التملق لك بشأن ما تطهينه؟».

عندها، تناولت العروس عصوَي الطعام وأكلت بصمت، بينما ركز ماد على طعامه، ولكنه بعد قليل شعر بالندم على ما قاله فتمتم: «المهلبية لذيذة وطرية».

لكنّ دوان مي لم تجب فتمتم مجدداً: «الطعام لذيذ».

ومجدداً، لم يحصل على ردّ منها، فشعر بالغضب ورمى الوعاء على الأرض، ثم دفن رأسه بين يديه وتمتم: «دوان مي... أشعر بالسوء... أوه دوان مي!».

فما كان من زوجته إلا أن ربّتت على رأسه، ثم نظّفت الأرض وتخلّصت من شظايا الوعاء المكسور.

فقال ماد لزوجته: «أنت يا دوان مي لست عشبة وإنما كرة مستديرة ومنزلقة، ولا يوجد فيك مكان يمكن للناس أن يعضوك منه».

فقالت دوان مي: «متى شئت الذهاب يا ماد فاذهب».

عندها، ذهب ماد للمقامرة مجدداً. وحين خسر عاد إلى المنزل، وسرق كيساً من الحبوب ليبيعه بهدف الحصول على المزيد من المال. وهكذا، كلما خسر ماد في القمار قصد بيته، وسرق منه كيساً من الحبوب وأخرجه خلسة. وذات يوم، فيما كان يخرج بسرعة كبيرة تعثر ووقع، فاصطدم وجهه بالعتبة. وفيما كانت دوان مي تطبب جروح زوجها، وتضع الدواء على كدماته قالت له: «يمكنك أن تأخذ الحبوب علانية إن احتجت إليها، فأنا لن أمنعك».

وهكذا، تجرّأ ماد أكثر، وبدأ باستخدام أكياس السماد الكبيرة لحمل الحبوب وبيعها من أجل الحصول على المال اللازم للقمار. وفي بعض الأحيان، حين كان يعجز عن ملء كيس الحبوب بمفرده، كانت دوان مي تمسك له الكيس ليخرج منه الحبوب. واستمرّ الأمر على تلك الحال إلى أن أوشكت الحبوب على النفاد يوماً. عندها، تذكّر ماد أن والدته حين كانت على قيد الحياة لم تكن تسمح بنفاد الحبوب من البيت؛ حيث كانت تقول له إن الجرة الكبيرة ظلت دائماً محتوية على الحبوب لعدة أجيال. إذ لم يسمح أجداده بنفاد الحبوب منها حتى في عام المجاعة؛ حيث كانوا يأكلون العشب وأوراق الشجر لئلا تفرغ جرة الحبوب الكبيرة. فجأة، بدأ ماد يرتجف، فقالت له دوان مي التي كانت تمسك بالكيس: «ما زال في الكيس القليل من الحبوب».

وحين سمع ماد كلمات زوجته راودته رغبة في ضربها بالمغرفة على رأسها، ولكنه بدأ يرتجف، فقالت له مجدداً وهي تعدل فتحة الكيس: «يمكنك ملء مغرفتين أخريين على الأقل».

فما كان من ماد إلا أن رمى المغرفة على الأرض وداسها بقدمه بقوة حتى كسرها وصرخ: «لماذا تتصرفين هكذا يا دوان مي؟ أنا لم أشعر بالقلق يوماً؛ حتى أمام رئيس قريتنا! فلِمَ تجعلينني أشعر بالقلق؟!».

عندها، ردت زوجته: «لأنّ يديك تحكانك حين ترى الآخرين يضربون زوجاتهم».

فقال ماد: «سأقطع يدَيَّ الاثنتين إن قامرت مجدداً».

وبعد ذلك، تبع ماد دوان مي لإزالة الأعشاب من حقلهما. وحين رأى القرويون ذلك قالوا: «يا إلهي! من كان يتخيل أن ماد سيعمل في الحقول؟! لا بد أن زوجته ذات شخصية قوية!».

ولم يمر أسبوع على عمل ماد في الحقول حتى شعر بالرغبة في لعب القمار مجدداً. وحين عادت دوان مي إلى المنزل يوماً لإحضار السماد، هرب زوجها للعب القمار. ولكنه خسر مجدداً، فعاد إلى منزله وبحث عن السكين المخصصة لتقطيع اللحم وهو يصرخ: «سأقطع يديَّ يا دوان مي».

غير أنّ دوان مي تابعت عملها في كسر قشور الفستق من دون أن يرف لها جفن.

فما كان من ماد إلا أن رمى السكين، ثم تناول حبلاً من وراء الباب، وربط به كلبهما في طرفة عين، وقطع مخالبه الأمامية.

وبعد ذلك صرخ: «سأقطع قدمَيَّ إن عدت إلى المقامرة مجدداً يا دوان مي».

لكنه فشل مجدداً في السيطرة على نفسه. وبعد أن خسر مرة أخرى، أمسك بالسكين التي كانت على لوح التقطيع في المطبخ وقال: «سأقطع قدمَيّ الآن يا دوان مي».

غير أنّ دوان مي ظلت جالسة القرفصاء وهي تطعم الدواجن، فمد ماد يده وأمسك بدجاجة وقطع إحدى رجليها.

كان ماد يربح في القمار بين وقت وآخر. وحين يحصل ذلك، كان يُري دوان مي ما ربحه وهو يقول: «انظري يا دوان مي... حتى الأوراق على الأشجار تلتقي أحياناً، فلِمَ لا يلتقي الناس حظهم الطيب؟».

ولكن دوان مي كانت تقول: «لا أريد أن تتسخ يداي».

وغالباً ما كان القرويون يعلقون على ذلك بالقول: «الناس المحترمون لا يمشون في الوحل، والأحذية الجيدة لا تخطو على القذارة».

وكان بعض القرويين يسألون دوان مي: «أنت زوجة صالحة للغاية... ولكن، لم لا تتركين ماد؟».

فكانت تجيب: «الناس يتغيرون».

– إذاً، لم لا تحاولين إيقاف ماد بدلاً من السماح له بالمقامرة بحرية؟

– تي سو كسر ذراع زوجته حين حاولت إيقافه.

– ألست خائفة من أن يدمِّر ماد زواجكما بمقامرته؟

– إن فعل ذلك فسأكون على قيد الحياة، وسأغيّره حتى لو كان مصنوعاً من الفولاذ والحديد.

عندها، كان القرويون يتنهدون مردّدين: «قال أجدادنا إن الفرس تحمل الحمقى، والحمقى يحصلون على زوجات جميلات».

وفي إحدى الأمسيات، كان المطر يهطل بغزارة. وكان ماد جالساً في المنزل محدّقاً إلى جرة الحبوب الفارغة. فجأة، ترنحت دوان مي وهي تتّجه إلى المنزل كدجاجة مبللة، وأخرجت مئتي يوان من جيبها الداخلي، وناولته النقود قائلة: «لم تعد تملك سوى حياتي للمقامرة بها؛ حتى تجفّف آخر قطرة من دمي».

وحين أخذ ماد النقود، رأى إيصال المستشفى الذي سُجِّل عليه المبلغ المستحق لزوجته بعد بيعها دمها. عندها، شعر كما لو أنه أصيب بضربة على رأسه، وبدأ يضرب وجهه بيديه الكبيرتين كرجل مجنون؛ حتى أصبح وجهه بنفسجي اللون كالباذنجان.

ومع مرور الوقت جاء الربيع، ونبتت الأزهار والأعشاب في كل مكان. وفي طرفة عين، تغيّرت التلال والغابات والشوارع، وافتتح ماد متجراً لإصلاح الساعات في المدينة، في حين أنشأت دوان مي ورشة خياطة. كان العمل في متجر إصلاح الساعات جيداً، وأصبح السكان المحليون يأتون من أماكن بعيدة ليروا كيف تغيّر ماد سيئ السمعة بسرعة. أما ورشة دوان مي فكانت مزدهرة أكثر، حيث إن الكثير من النساء كنّ يقصدنها ليحاولن معرفة ما إذا كانت تتمتع بقوة خارقة.

وذات يوم، سألت إحداهن دوان مي عمّا إذا كانت تتمتع بمهارات فريدة، فابتسمت دوان مي ابتسامة عذبة وأجابت: «نحن نواجه العديد من المصاعب في حياتنا التي لا يمكننا الهرب منها.

لذا، طالما أنك مستعدة لغضّ الطرف عن بعض الأمور في حياتك فستسير الأمور على ما يرام. فقطرات الماء المتواصلة يمكنها أن تحفر الصخر».

رجل يتمنى الموت

تشاي تشينغ

فيما كنت على متن حافلة المسافات الطويلة في طريقي إلى مقاطعة يو يانغ في تشونغ تشينغ التقيت دونغ ديفو؛ حيث كان جالساً إلى يميني.

سألني دونغ ديفو: «هل أنت من المدينة؟».

فأومأت من دون أن أرد بكلمة. إذ كنت بصراحة غير راغب في الدردشة معه؛ حيث ظل يضرب جبهته بيده اليمنى، كما أن الرائحة المنبعثة من تحت إبطيه كانت مزعجة جداً، حيث كادت تدفعني للجنون.

لكن دونغ ديفو ظل مصراً، إذ كان ينتهز كل فرصة متاحة له لتبادل الحديث معي: «من الجيد أن تكون من المدينة... في حياتي القادمة، لا بد أن أولد في المدينة».

عندها، لم أستطع منع نفسي من الابتسام والالتفات للنظر إلى وجهه. كان شاباً، وذا شعر ناعم وخفيف، ويبدو عليه أنه أكبر بما لا يزيد عن سنتين أو ثلاث من ابن أخي الذي يدرس في معهد الشرطة في مقاطعة هونان.

سألته: «هل ستذهب للعمل في المدينة؟».

كانت كل أمتعته محزومة في كيس كبير مكتوب عليه «زينغ دا فودر».

هز دونغ ديفو رأسه نافياً وأجاب: «لا... لا أجرؤ على العمل في المدينة... سأذهب للعمل في الجبال».

- هل ستعمل في الجبال؟! ما العمل الذي ستجده هناك؟! أستعمل في الحقول؟
- لا، بل في التنقيب عن الفحم.

وبحث دونغ ديفو في جيبه، ثم أخرج ورقة أراني إياها قائلاً: «انظر... العم الأكبر لابن خالي ينقب عن الفحم في هذا المكان».

وبما أنني أحب السفر فأنا أقرأ عادة الكثير من الخرائط، لذلك وجدت اسم المكان مألوفاً نوعاً ما... كان ذلك المكان غير بعيد عن نهر وو جيانغ.

أشرقت عينا دونغ ديفو وهو يكمل مشيراً إلى الورقة، وقال إن العم الأكبر لابن خاله يقوم بالتنقيب عن الفحم هناك منذ سنتين، وإنه قد جنى الكثير من المال. وتابع: «ولكنه للأسف لقي مصرعه في انفجار عند مدخل المنجم في الشهر الماضي».

عندها، قلت للرجل الذي لا يجرؤ على البحث عن عمل في المدينة: «إذاً، كيف تجرؤ على العمل هناك في منجم الفحم؟ ألم ترَ التقارير في الصحف والتلفاز؟ كثيراً ما تنهار مناجم الفحم أو تتعرض للانفجارات أو الفيضانات! وعدد عمال المناجم الذين يلقون مصرعهم في تلك الحوادث يتزايد كل سنة».

بدا دونغ ديفو حزيناً، وأخفض رأسه ثم أجاب وهو يتحاشى النظر إلى عينيّ: «أعلم... أعلم كل ذلك. ولكنني أتمنى الموت... وأريد أن أموت في منجم».

وبدلاً من أن أحاول إيقافه، شعرت فجأة باهتمام كبير بهذا المسافر، فسألته بلهفة: «لماذا؟».

بحث دونغ ديفو في جيبه، ثم قال: «لقد تزوجت في مهرجان الربيع الماضي من أجمل فتاة في قريتنا. كانت زاو زاو زميلتي في الدراسة في المدرسة الابتدائية، حيث كنت حينها أحاول دائماً الحديث معها كل يوم...».

وفي النهاية، أخرج الصورة من جيبه، حيث كانت ملفوفة بورقة مطوية وموضوعة داخل كيس صغير... كانت صورة فتاة جميلة ذات وجه مستدير وعينين كبيرتين... وبدت جميلة للغاية.

كان ينبغي أن يكون دونغ ديفو ممثلاً... ولو أدى دور «جين الساذج» في الفيلم الشهير عالم بدون لصوص لأبلى بلاء حسناً. إذ إن تعابير وجهه بدت مؤثرة، كما كان ينتقل من تعبير إلى

آخر بسرعة كبيرة، حيث لن تكون هناك حاجة إلى مخرج. وبينما كنت أمعن النظر إلى الصورة، غطى الحزن ملامح وجهه، وطغى على السرور الذي كان يبدو عليه قبل لحظات، ثم تنهد وتابع كلامه: «يا لحظي العاثر! لم تكن زاو زاو قد أنجبت طفلاً بعد حين أصيبت بذلك المرض الغريب، حيث قال الأطباء إنهم كي يتمكنوا من إنقاذ زاو زاو يجب إجراء عملية جراحية تكلف ما لا يقل عن مئة ألف يوان».

ثم أخفض صوته وتابع: «كم أتمنى أن أموت كعم ابن خالي في منجم الفحم ذاك...».

ثم أدار دونغ ديفو رأسه، ونظر من نافذة الحافلة متحاشياً النظر إلى عينيّ... كان زجاج النافذة قذراً، فبدا العالم الخارجي مشوشاً، حيث لم يكن بإمكانه رؤية أي شيء في الخارج.

رفعت يدي اليمنى وفتحت أصابعي ثم أغلقتها مجدداً وسألت دونغ ديفو: «كم إصبعاً رأيت؟».

فابتسم دونغ ديفو وأجاب: «رأيت خمساً».

وبعد ذلك، رفع يديه وقلدني قائلاً: «عشر أصابع! أتظنني أحمق؟! خطأ! لقد كنت دائماً الأول على صفي في أيام المدرسة؛ ما جعل المدرس يختارني كمراقب للصف. ولو لم تكن عائلتي فقيرة جداً واستطاعت توفير تكاليف دراستي لكنت قد تمكنت ربما من دخول الجامعة، ولربما أصبحت رجل مدينة أيضاً... أتعلم؟ حين توفّي العم الأكبر لابن خالي في منجم الفحم ذاك، قام مالك المنجم بدفع مئتين وعشرين ألف يوان لعائلته! ليتني أموت في منجم فحم ليدفع مالك المنجم ذلك المبلغ لعائلتي أيضاً؛ كي أتمكن من إنقاذ زاو زاو وإجراء تلك العملية الجراحية. صحيح أنها لم تنجب طفلنا بعد ولكنها جميلة، وإن شفيت فبإمكانها بالتأكيد العثور على رجل غير متزوج...».

وبدت آمال دونغ ديفو العظيمة في عينيه، وفتح فمه فتلألأت أسنانه وهو يبتسم لي بسعادة.

كانت أسنانه ممتازة... فهي بيضاء كالبورسلان، كما لو أنها مصنوعة من اللؤلؤ.

دعوة إلى العشاء

شي زونغ ليانغ

كان لاو هو شاباً لا يصلح لشيء. ففي عمله، لم يحقق أي إنجاز يذكر، ولم يحز على أي ترقية أو مكافأة أو حتى وجبة مجانية. وفي المنزل، كان يعيش تحت قيود زوجته... أو لا... بدقة أكبر، حاول تحمّل قبضة زوجته الحديدية. ومن الأمثلة على ذلك أنه لم يكن في جيبه قطّ مبلغ عشرة يوان.

وعلى الرغم من أن لاو هو كان يبدو شاباً لا يصلح لشيء بالنسبة إلى زملائه، إلا أن ذلك لا يعني مطلقاً أنه كان بذلك الغباء. فعلى سبيل المثال، حين قرر لاو هو المشاركة في مسابقة لكتابة المقالات الطويلة حاز على أعلى جائزة، وتلقى مكافأة كبيرة بقيمة خمسمئة يوان!

عندها، شعر لاو هو بحماسة بالغة وهو يحمل ذلك المبلغ الكبير في جيبه... وراح يفكر في كيفية تمكنه من الاستفادة من هذا المال إلى أقصى درجة. وأول فكرة خطرت بباله هي دعوة زملائه على العشاء، ليدركوا أنه ليس «نكرة» كما يظنون؛ حيث كان يريد أن يظهر لهم أنه «شخص مهم» يختبئ بهدوء بينهم.

كان أول شخص خطر للاو هو دعوته هو مديره. وفي أحد الأيام، بعد انتهاء دوام العمل، وجد لاو هو مديره لا يزال في مكتبه، فأقحم رأسه داخل المكتب بحذر، وفتح فمه عدة مرات بهدف دعوته، ولكنه فشل في ذلك.

عندها، سأله مديره: «لماذا ما زلت هنا بعد انتهاء العمل يا لاو هو؟ ألديك ما ترغب في قوله؟».

فأجاب لاو هو متلعثماً: «أوه لا... لا شيء... كنت أرغب فقط...».

لكنه لم يستطع التفوّه بما يفكّر فيه.

وعندما لاحظ مديره أنه يتلعثم، بدت عليه الجدية وسأله: «ما الأمر؟».

عندها، استجمع لاو هو كل شجاعته، وأفصح عما يرغب فيه: «أرغب في دعوتك لتناول العشاء».

فقال المدير مستنكراً: «العشاء! علينا يا لاو هو اتباع مبادئ الشفافية والعدالة والموضوعية في تقييماتنا المستقبلية لموظفينا من أجل الترقية. لذا، عليك ألا تحاول التأثير في قراراتنا... أليس كذلك؟».

تفاجأ لاو هو من ردة فعل مديره، فانسحب وهو يشعر بالارتباك.

وبينما كان لاو هو يتّجه نحو باب المبنى، رأى شياو وانغ خارجاً من مكتبه. وفيما كانا يخرجان معاً، فكّر لاو هو في أن شياو وانغ يبدو شاباً مهذباً... وقرر أن يدعوه إلى العشاء.

فسأله لاو هو: «هل أنت مشغول هذه الليلة يا شياو وانغ؟».

– ماذا تريد؟

– لا شيء... فقط كنت أرغب في دعوتك إلى العشاء.

– أنت تريد دعوتي إلى العشاء!

وحدق شياو وانغ إلى لاو هو كما لو أنه رأى مخلوقاً غريباً من الفضاء الخارجي، ثم قال: «آسف، ولكنني مشغول كثيراً هذه الأيام...».

ثم التفت وغادر بسرعة.

شعر لاو هو بالانزعاج، واعتصرت موجة من الحزن قلبه وهو يمسك بالنقود في جيبه. فقد عاش كل هذا العمر في هذا العالم من دون أن يجد شخصاً يستطيع دعوته إلى العشاء... هل يعني ذلك أن عليه أخذ النقود إلى المنزل وإعطاؤها لزوجته الفظيعة؟ وبينما كان يمشي، سمع لاو هو أحداً يناديه فجأة.

– هل أنهيت عملك للتو يا سيدي؟

رفع لاو هو رأسه، فرأى عامل النظافة الذي يجول في حيّه، وراح يفكّر في سرّه: سيدي! إذاً هو يعتبرني سيداً! وعلى الفور، التفت لاو هو نحو عامل النظافة وقال له: «نعم... وأنا أرغب في دعوتك إلى العشاء!».

فوافق عامل النظافة على الفور.

اصطحب لاو هو عامل النظافة إلى أفضل مطعم في المدينة، وطلب أشهى الأطباق، حيث كان يريد إنفاق كل المبلغ الموجود في جيبه. وبينما كانا يتناولان الشراب ويثرثران قال لاو هو لعامل النظافة كل الكلام المدفون في أعماقه منذ عقود. وهكذا، مرّ الوقت بسرعة. وحين ثمل لاو هو وقع تحت الطاولة، فسحبه عامل النظافة إلى منزله، حيث كان طوال الطريق يغني أغاني شعبية محلية من ذاكرته، وكان يشعر بسعادة لم يشعر بها قط طوال حياته.

الخروج من الصحراء

شين هونغ

تلألأت عيون الرجال الأربعة باليأس القاتل نفسه؛ حيث كانت نظراتهم مسمرة على حافظة الماء المعلقة على صدري، فأمسكت بحزامها بكلتا يديّ لئلا يخطفوها مني إن تخليت عن حذري.

كنا نواجه بعضنا في صمت الصحراء القاتل، بعد أن قمت بمواجهة مماثلة عند الظهيرة.

نظرت إلى وجوههم النحيلة وشفاههم المتشققة، وسيطر عليّ شعور باليأس، وكدت أستسلم وأعطيهم حافظة المياه؛ غير أنني كنت أعلم جيداً أنه لا يمكنني فعل ذلك!

فقبل نصف شهر، تبعنا البروفيسور زاو لإجراء بحث عن التقاليد المحلية على طريق الحرير القديم. ولكننا ضللنا طريقنا ودخلنا هذه الصحراء المهجورة. كانت قد مرت علينا سبعة أيام ونحن ضائعون في هذه الصحراء. وقد امتصت كثبان الرمال الساخنة كل قوتنا، ثم نفد منا الطعام أيضاً. وأسوأ ما في الأمر هو شعورنا بالعطش الشديد؛ وكان الجميع يعرفون أن نفاد المياه في الصحراء يعني أمراً واحداً، وهو الموت. كان كل منا يحمل حافظة مياه، غير أننا بعد أن ضللنا طريقنا، قرر البروفيسور زاو جمع كل المياه الموجودة في الحافظات وتقسيمها بيننا قبل أن نكمل طريقنا. وفي الليلة الماضية، توفي البروفيسور زاو، ولكنه قبل أن يغمض عينيه ناولني حافظة المياه المعلقة حول رقبته – وكانت الأخيرة – وقال لي: «حافظة المياه الأخيرة هذه ضرورية من أجلكم لكي تنجوا. لا تلمسوها إلا إن أوشكتم على الموت... تذكر... ابذلوا قصارى جهدكم كي لا تلمسوها حتى اللحظة الأخيرة... ابذلوا قصارى جهدكم... يجب أن تتمكنوا من الخروج من هذه الصحراء».

والآن، ها هي عيون الجميع مسمّرة على حافظة المياه المتدلية من عنقي.

لم تكن لدي أدنى فكرة عن كيفية تمكننا من إيجاد طريقنا، أو متى سيحصل ذلك. غير أنني كنت واثقاً من أن حافظة المياه هذه هي وسيلة النجاة بالنسبة إلينا. لذا، لا يمكنني التخلي عنها حتى آخر لحظة. لكن، ماذا سأفعل لو حاولوا اختطافها مني بالقوة؟! لذا، على الرغم من توتري بسبب نظراتهم اليائسة، حاولت أن أبدو هادئاً قدر المستطاع، وقلت لهم: «جميعكم...».

غير أنّ مينغ هاي قاطعني بحدة قائلاً: «لا تقل شيئاً... أعطِنا حافظة المياه فوراً».

واتّجه نحوي ونظراته قاتلة، بينما تبع أفراد فريقنا الثلاثة الآخرون خطواته المتوعدة.

علمت أنهم ما إن يخطفوا مني الحافظة فسوف... غير أنني لم أجرؤ على تخيل المشهد، ووجدت نفسي أركع فجأة وأتوسل إليهم: «أرجوكم، لا تفعلوا هذا! تذكروا كلمات البروفيسور زاو الأخيرة!».

فما كان منهم إلا أن توقفوا وأخفضوا رؤوسهم.

عندها، تابعت كلامي: «لا أحد منا يعلم متى سنجد طريقنا للخروج من هذه الصحراء، وهذه آخر حافظة مياه لدينا. لذا، يجب ألا نلمسها حتى آخر لحظة. ما زالت أمامنا ساعتان قبل حلول الظلام... لذا، دعونا نسرع في خطواتنا ونمشي مبتعدين طالما أننا قادرون على ذلك. وصدقوني... سأوزع بعض الماء ما إن يحل الظلام».

وهكذا، بدأنا نجر أرجلنا بكل ما بقي لدينا من قوة إلا أن مرّ يوم آخر رهيب، وغابت الشمس في الأفق... ستنتهي ليلة أخرى، وسيأتي بعدها يوم جديد... ثم... أوه... لا يمكنني سوى ترك مصيرنا للقدر.

بدت الصحراء الشاسعة كراحة يد بوذا تاثاغاتا؛ إذ كنا نمشي ونمشي من دون أن نتمكن من الخروج منها. وبعد أن تسلقنا كثيب رمل هبط الظلام، فتوقف مينغ هاي الذي كان يمشي أمامنا والتفت إلينا.

نشرت شمس الغروب أشعتها الحمراء في الأفق ببطء، فبدت السماء كلوحة رائعة أمام أعيننا. وحين واجهني مينغ هاي وأتباعه مجدداً، بدا لي أنه سينشب بيننا صراع حياة أو موت في أي لحظة. وكنت أعلم أنه ما من سبيل للهروب هذه المرة، وأنه علي الاستسلام والسماح لهم بالحصول على حافظة المياه. لذا، سيطر عليّ شعور باليأس. وبينما كنت أوشك على رفع يدي لإعطائهم حافظة المياه صرخ يور ينغ فجأة: «أنصتوا... أنصتوا إلى الصوت!».

وعلى الفور، نزلنا بسرعة وألصقنا آذاننا بالأرض لنسمع، فعرفنا أن الصوت صادر من وراء كثيب الرمل الموجود إلى يسارنا... وبدا لنا الصوت كصوت ماء متدفق، فقفزت وصرخت: «ربما كانت واحة... اركضوا!».

وبالتأكيد، اندفعنا جميعاً راكضين. وما إن اجتزنا كثيب الرمل حتى ظهرت أمامنا واحة خضراء فاندفعنا نحو البحيرة.

كانت الشمس قد غابت وراء الأفق الغربي، فبدت مياه البحيرة منعشة، وفاحت رائحة الأزهار البرية المنتشرة هناك. وما إن وصلنا حتى ارتمى مينغ هاي والآخرون على الأرض بين الشجيرات والأزهار، واستلقوا هناك وقد ارتسمت على وجوههم ابتسامات سعيدة... ربما نسوا حافظة المياه المتدلية على صدري، لكن البؤس سيطر على تفكيري.

فناديتهم وقلت لهم: «لا بد لي من إخباركم بشيء مهم الآن. أتعلمون السبب الذي جعلني أبذل قصارى جهدي لمنعكم من الوصول إلى الماء في هذه الحافظة؟ في الواقع، حافظة المياه هذه لا تحتوي على أي ماء، وإنما على الرمل فقط».

ثم سحبت حافظة المياه، وفتحت غطاءها، وأملتها رأساً على عقب، فتدفّق منها رمل أصفر.

عندها، حملق إليّ الجميع باستغراب، فبدأت أخبرهم بحزن: «في الواقع، نفد الماء منا منذ البارحة صباحاً. وقد أخفى البروفيسور زاو هذه الحقيقة عنّا خوفاً من أن نفقد الأمل. وقد علق هذه الحافظة أمام صدره ليجعلنا نظن أن لدينا حافظة ماء أخرى، ولئلا نشعر بخدعته قام بملئها بالرمال من دون أن ننتبه... وهو نفسه لم يشرب أي قطرة ماء لأيام، فقد أعطانا حصته من الماء. وحين شعر بأنه لن ينجو أخبرني بالحقيقة، غير أنه طلب مني أن أقسم بألا أخبركم بالأمر، وقال لي إن حافظة المياه هذه ستساعد فريقنا على الخروج من الصحراء، وإنه ما إن يموت فعليّ تولي هذه المهمة بنفسي...».

فجأة، لم أعد قادراً على متابعة الكلام فالتزمت الصمت، فيما راح مينغ هاي والآخرون ينشجون وهم جميعاً ينظرون إلى الرمال القاتلة والصامتة وراءنا. وهكذا، فهمنا جميعاً أننا تمكنّا من الخروج من الصحراء والنجاة بفضل البروفيسور...

سر الملياردير

ليو شا

كان أحد التجار قد ولد في حي فقير صاخب. وككل الأولاد الذين يولدون في الأحياء الفقيرة، كان يحب الشجار وتناول الشراب والتبجح والتغيب عن المدرسة.

لكنّ الفرق الوحيد الذي كان يميزه عن باقي الأولاد المولودين في الأحياء الفقيرة هو موهبته الخاصة في جني المال. فحين وجد لعبة شاحنة قديمة في الشارع أصلحها، وسمح لزملائه في المدرسة باللعب بها مقابل نصف سنت للشخص الواحد؛ حتى جنى ما يكفي من المال واشترى لعبة شاحنة جديدة خلال أسبوع واحد.

وقد قال له أستاذه يوماً: «لو أنك ولدت غنياً لأصبحت تاجراً كبيراً، ولكن نظراً إلى فقرك وحياتك هذه، الأمر مستبعد للغاية. وسيكون من المفاجئ إن تمكنت حتى من أن تصبح بائعاً متجولاً».

وهكذا، بعد إنهائه دراسته الثانوية أصبح بائعاً متجولاً كما قال له أستاذه مرة؛ وهو أمر غير اعتيادي بين أطفال الأحياء الفقيرة.

كان يبيع الأقفال والبطاريات، ثم صار يبيع عصير الليمون، وشيئاً فشيئاً بدأ يكسب مبالغ جيدة في كل تجارة. لكن الصفقة الكبيرة الرابحة كانت شراءه كمية كبيرة من الأقمشة يوماً.

فذات يوم، عرف أن شحنة من الأقمشة المصنوعة من الحرير الياباني قد خربت بسبب براميل الصباغ الموجودة على متن سفينة الشحن التي تنقلها والتي علقت وسط عاصفة قوية. وكانت كمية الحرير التي تلطخت بالصباغ تزن أكثر من طن واحد.

وهكذا، أصبحت تلك الأقمشة الملطخة كابوساً مرعباً بالنسبة إلى المصدرين اليابانيين، كما كان عمال الشحن اليابانيون يريدون التخلص من تلك البضائع المخربة بأسرع وقت ممكن. لكن أحداً لم يهتم بهم، فطلبوا الإذن لتنزيل الحمولة في المرفأ أو رميها في حاويات القمامة، ثم خشوا أن تفرض عليهم السلطات البيئية المحلية ضرائب كبيرة، فقرروا التخلص من الأقمشة التالفة في البحر أثناء عودة سفنهم.

وذات يوم، فيما كان التاجر يتناول الشراب في حانة تحت الأرض في المرفأ، ترنح وهو يمر ببحار ياباني، وسمعه وهو يثرثر مع آخرين حول الأقمشة الحريرية التالفة.

وفي اليوم التالي، توجّه التاجر إلى سفينة الشحن، وأشار إلى شاحنة مركونة في مكان قريب، ثم قال لقبطان السفينة: «يمكنني مساعدتكم في التخلص من تلك الأقمشة التالفة».

وهكذا، حصل على الكثير من الأقمشة الحريرية مجاناً، وصنع منها ملابس وربطات عنق وقبعات. وخلال بضعة أيام، جنى ثروة بقيمة مئة ألف دولار أمريكي.

وهكذا، لم يعد بائعاً متجولاً وإنما أصبح تاجراً حقيقياً. وحين رأى مرة قطعة أرض في الضواحي أعجب بها، وبحث عن مالكها، وأخبره أنه مستعد لشراء أرضه مقابل مئة ألف دولار أمريكي.

وعلى الفور، قبل المالك عرضه، وباعه الأرض وهو يضحك في سره على الشاري الأحمق؛ إذ لا يمكن سوى لشخص مغفل أن يدفع مثل هذا الثمن لقاء قطعة أرض خارج المدينة.

وبعد سنة، وبدون سابق إنذار، أعلنت البلدية أن مجلس المدينة قرر إنشاء طريق سريع يمر بالضواحي، فارتفع سعر أرضه لأكثر من مئة وخمسين ضعفاً. عندها، عرض عليه أحد عمالقة المال في المدينة شراء أرضه مقابل مبلغ عشرين مليون دولار أمريكي؛ حيث كان ذلك المليونير ينوي بناء مجموعة من «الفيلات» هناك.

ولكن، بدلاً من أن يبيع التاجر قطعة الأرض قال للمليونير مبتسماً: «أريد الانتظار قليلاً، لأنني أظن أنها ستصبح أغلى».

وبعد ثلاث سنوات، ارتفعت قيمة أرضه إلى أكثر من أربعة وعشرين مليون دولار أمريكي، وسرعان ما أصبح أرستقراطياً جديداً في مدينته، وصار يتحرك بسهولة بين النخبة في أفخم الأماكن في المدينة.

وقد شعر رجال الأعمال الآخرون بالفضول حيال كيفية حصوله على مثل تلك المعلومات المهمة في الوقت الصحيح، كما بدأوا يشكون في وجود صلات بينه وبين بعض المسؤولين في البلدية. لكن بحثهم لم يقدهم سوى إلى خيبات الأمل؛ إذ لم يكن لديه أي أصدقاء في البلدية.

وظلّت أسطورة التاجر الذي أصبح ثرياً بين ليلة وضحاها لغزاً غير مفهوم بالنسبة إلى الجميع.

وقد عاش التاجر حتى بلغ السابعة والسبعين من عمره. وقبل وفاته، أخبر سكرتيرته بأن تنشر إعلاناً تجارياً في الصحف مفاده أنه سيرحل قريباً إلى الجنة، ويرغب في أن يوصل معه رسائل شفهية من أولئك الذين يرغبون بالتواصل مع أفراد عائلاتهم المتوفين، وذلك مقابل مئة دولار أمريكي للرسالة الواحدة. وهكذا، جنى مئة ألف دولار أمريكي أخرى من أفراد العائلات المفجوعة. ولو أنه صمد بضعة أيام أخرى على فراش الموت لجنى المزيد. وقد كانت وصيته فريدة من نوعها أيضاً؛ حيث طلب في لحظاته الأخيرة من سكرتيرته أن تنشر إعلاناً آخر مفاده أن رجلاً مثقفاً مستعد لمشاركة ضريحه مع سيدة مثقفة، حيث تستطيع امرأة رفيعة المستوى أن تدفع خمسين ألف دولار أمريكي لترقد معه في الضريح نفسه بعد وفاتها.

وقد كتب أحد كبار المراسين مقالة عن الصفقة الناجحة التي عقدها التاجر قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وختم مقالته بالقول:

«الكثير من الناس يموتون كل سنة، لكن من منهم يصرّ على عقد الصفقات حتى آخر نفس؟! الآن فهمنا كيف أصبح مليارديراً».

أرجوك طلّقيه

جيانغ هويان

جلس وانغ كي إلى مكتبه وفتح كتاباً أمامه تحت المصباح، ثم التفت ونظر من النافذة إلى الغيوم الملبدة في السماء في الخارج، ورأى الشجيرات المزهرة الممتدة على طول الطريق. كان بإمكانه سماع الأصوات الخافتة المتقطعة الصادرة عن حفيف أوراق الأشجار، وقطرات المطر المتساقطة بغزارة على الأرض. كما سمع وانغ بو ولي يان اللذين كانا يتشاجران في غرفة الجلوس.

كان وانغ بو قد ضرب لي يان، فانتهزت هذه الأخيرة الفرصة لتبدأ بالصراخ، وبدت صرخاتها وسط سكون الليل كصوت بهيمة جريحة.

صرخت لي يان: «نعم، لقد ضربتها! لقد ضربتها! ماذا ستفعل بشأن ذلك؟ لا تعد إلى هذا المنزل إن كنت ستقوم بهذه الأمور... اذهب وعش مع تلك التافهة!».

فأجاب وانغ بو: «أتظنين أنني أريد العودة إليك؟ لولا ابننا لكنت قد طلقتك منذ زمن».

فما كان من وانغ كي إلا أن رمى كوباً من الخزف على أرضية غرفة نومه، فانتهى الشجار في غرفة الجلوس.

وفي اليوم التالي، ذهب وانغ كي لزيارة التافهة كما تدعوها لي يان.

كانت التافهة تدير متجراً صغيراً في شارع هادئ تبيع فيه قطع الزينة الكريستالية. وما إن فتح وانغ كي باب المتجر ودخل حتى اقتربت منه وحيته ظناً منها أنه زبون آخر، فابتسم وانغ كي قائلاً لها: «أنا ابن وانغ بو».

وحين رأى تعابير الذهول على وجهها اتسعت ابتسامته وهو يقول: «جئت إلى هنا للحديث معك... لا تقلقي... أمي من ذلك النوع من الناس... وأنا هنا للاعتذار بالنيابة عنها».

كانت التافهة تدعى زو يينغ، وتتكلم الصينية بلكنة جنوبية. وعلى الرغم من أنها ليست جميلة إلا أنها تتمتع بالشباب، وبشرتها ناعمة وفاتحة، لكن جبهتها مغطاة بكدمة واضحة. كما كانت ترتدي ثوباً تقليدياً وردي اللون يبرز جمال خصرها النحيل، وحين تنظر إلى عيني الناس باهتمام تبدو طفولية المظهر نوعاً ما.

في ذلك اليوم، تكلم وانغ كي معها لأكثر من ساعة، حيث أخبرته أن والدها قد توفي منذ زمن، وأن أمها عانت الكثير في تربية بناتها، كما أخبرته أنها أحبت وانغ بو لأنه كان لطيفاً معها وليس لأنه يملك المال. وكانت تظن أن وانغ بو يحبها أيضاً؛ فقد افتتح لها متجرها الصغير بأمواله. وادعت أن عاطفتها صادقة حياله.

استمرت زو يينغ بالكلام طوال الوقت، وبدا ناباها خلف شفتيها المتحركتين.

كان وانغ كي ينصت إلى ما تقوله مبتسماً، فيما جلس مقابلها محدّقاً إليها بغموض. وحين أنهت زو يينغ كلامها، جلست هناك بصمت غارقة في أحزانها.

كان متجر زو يينغ يقع مقابل مدرسة. وفي ذلك الوقت، كانت هناك دروس، ما جعل الشارع يبدو هادئاً وساكناً؛ باستثناء عصفورين أو ثلاثة راحت تحلّق مغردة بسعادة. وبعد فترة صمت طويلة، نهض وانغ كي وقال: «ينبغي لي أن أغادر الآن».

رفعت زو يينغ نظرها إلى وانغ كي كما لو أنها لم تفهم ما قاله، فانحنى لها، ثم خارج من المتجر. عندها، ركضت إلى باب المتجر، ونظرت إلى ظهره النحيل فيما كان يختفي عن ناظريها شيئاً فشيئاً. كان وانغ كي يحمل حقيبة على إحدى كتفيه وظهره النحيل منحنٍ قليلاً، فتذكرت فجأة أخاها الصغير في قريتها، وغمرتها موجة من الحزن جعلت قلبها ينفطر ألماً.

وبعد وقت ليس بطويل، انتهت الدروس في المدرسة، فامتلأ متجرها بالطالبات والطلاب، وسرعان ما انشغلت زو يينغ بزبائنها.

وبعد قليل، عاد الهدوء إلى متجرها تدريجياً. وحين تحققت من البضاعة قبل أن تغلق المتجر، تفاجأت حين وجدت أن حجراً أرجوانياً كريماً قد اختفى! كان الحجر باهظ الثمن؛ إذ يساوي أكثر من عشرة آلاف يوان، وهو أثمن قطعة في متجرها.

وحين عاد وانغ كي إلى المنزل، كان والداه يتشاجران مجدداً، ويردّدان العبارتين نفسيهما مراراً وتكراراً.

إذ كانت لي يوان تصرخ: «لا تعد إلى هذا المنزل مجدداً إن كنت ستقوم بمثل هذه الأمور... اذهب وعش مع تلك الساقطة!».

ليرد عليها وانغ بو: «أتظنين أنني أريد العودة؟ لولا ابننا...».

عندها، دخل وانغ كي غرفته، وصفق الباب خلفه بقوة فصمتا.

بعد فترة من الزمن، خضع وانغ كي لامتحان للدخول إلى مدرسة ثانوية رفيعة المستوى في مدينتهم. وسرعان ما تمّ الإعلان عن نتائج امتحان الدخول، حيث تم قبول وانغ كي في تلك المدرسة، فأصرّ على الإقامة في المسكن المخصص للطلاب في المدرسة.

في اليوم الأول، قام وانغ بو بإيصال وانغ كي، كما رافقته زو يينغ التي استمرت بالثرثرة طوال الطريق قائلة: «أشعر كما لو أنني أنا من سيذهب إلى المدرسة اليوم».

شغل وانغ بو وزو يينغ نفسيهما في ترتيب أغراض وانغ كي في الغرفة، فقال له أحد زملائه في الغرفة بإعجاب: «أشعر بالغيرة منك يا وانغ كي لأن لديك هذه الأخت المحبة».

عندها، ابتسم وانغ كي بهدوء وأجاب: «هذه حبيبة بابا».

فما كان من وانغ بو وزو يينغ إلا أن تبادلا النظرات وهما يشعران بالإحراج، ثم غادرا الغرفة من دون أن يتكلما مع بعضهما طوال الطريق. لكن، ما إن وصلا إلى مرأب السيارات حتى مدت زوي يينغ يدها إلى جيبها ثم صرخت: «أين محفظتي!؟».

وبعد مرور بعض الوقت، بدأ وانغ بو ولي يان يتشاجران مجدداً.

صرخت لي يان: «لقد عبثت تلك التافهة بعقلك! أتتهم ابننا بالسرقة الآن؟! أأنت بشر أم ماذا؟ هل حرضتك تلك العاهرة ضد ابنك أيضاً؟».

فما كان من وانغ بو إلا أن أخفض صوته قائلاً: «إنني أشتبه فقط...».

عندها، صرخت لي يان بصوت عالٍ: «مجرد اشتباه أمر مرفوض!».

وقبل رأس السنة الصينية، عاد وانغ كي إلى المنزل من أجل إجازة الشتاء.

وكان وانغ بو وزو يينغ على وشك الذهاب لرؤية بيتهما الجديد، فطلبا من وانغ كي الذهاب معهما قائلين: «نعلم أنك ستحب البيت الجديد. ويمكنك الإقامة معنا هناك إن أحببت».

فما كان من وانغ كي إلا أن أومأ مبتسماً، ثم توجه الثلاثة معاً إلى مكتب العقارات. وهناك، أخرج وانغ بو من جيبه المظروف الذي وضع فيه المال ليدفع الدفعة الأولى، وسرعان ما حدق إليه كما لو أن صاعقة قد ضربته. عندها، سحبت زوي يينغ المظروف المفتوح من يده، وألقت عليه نظرة لتجد فيه مجرد حزمة من الصحف المطوية بترتيب.

وحين عاد وانغ كي إلى المنزل، وجد أن أمه قد أعدت وجبة رائعة على الطاولة. كان من الواضح أنها تأنقت وارتدت بذلة وردية اللون أحاطت بجسدها الممشوق. عندها، حدق وانغ كي إلى أمه وهو يتذكر ثوب زوي يينغ وردي اللون وخصرها النحيل.

وبينما كانت لي يان تتناول طعامها، كانت عصوَا الطعام ترتطمان بالطبق من دون أن يتوقف فمها عن شتم وانغ بو وزو يينغ.

عندها، نظر وانغ كي إلى التجاعيد الخفيفة على جبهة أمه، وشعر بموجة من الحزن تعتصر قلبه.

وبعد قليل، توجه وانغ كي إلى غرفته، ثم خرج منها ويداه ممتلئتان بحجر كريم أرجواني اللون، ومحفظة وردية، ومبلغ ضخم من المال. وبدأ وجهه يرتعش وهو يحاول الابتسام، لكنه بدلاً من ذلك بكى وهو يقول: «أرجوك يا ماما، طلقيه».

عندها، نظرت لي يان إلى ابنها الباكي وقد فتحت عينيها على اتساعهما مندهشة.

القتل المغري

ليو وان لي

كان الصياد يصطاد في الجبال لعدة عقود حتى أصبح عجوزاً، وصارت جدران منزله مغطاة بجميع أنواع جلود الحيوانات. وقد جعلته العقود المتتالية من الصيد والقتل يتشرب رائحة الدم والبرودة؛ وهكذا أصبحت الحيوانات تهرب منه لتنجو بحياتها كلما شعرت بوجوده في الأرجاء.

وذات يوم، اقترب مهرجان الربيع وبدأ الثلج الخفيف بالتساقط، فقام الصياد بربط زجاجة الشراب بحزامه، وحمل بندقيته ومشى إلى الغابات الجبلية يتبعه كلبه. إذ كان في اليوم السابق قد نصب شركاً على الجبال، فانطلق الآن ليتحقق مما إذا كان قد اصطاد شيئاً.

فجأة، وقف كلبه ساكناً ثم بدأ ينبح.

وحين دفع الصياد الشجيرات جانباً، أدرك أن ذئباً قد وقع في شركه؛ إذ أطبق الفكان الحديديان على قائمته بقوة وصبغ دمه العشب حوله باللون الأحمر. غير أن ما فاجأ الصياد هو زوجة الذئب وصغيره الواقفان قربه. إذ وقفت الذئبة تلعق الدم الذي يسيل على قائمة زوجها الجريحة.

وقف الصياد حاملاً بندقيته، فحدق إليه الذئب الذكر مذعوراً، وبدأ جسده يرتعش.

صوّب الصياد بندقيته إلى الذئب الصغير عازماً على قتله أولاً ليحطم قلب والديه قبل أن ينهي عليها جميعاً، لكن الأم ركعت أمامه فجأة؛ كما لو أنها تتوسل إليه بعينين ملؤهما الدموع بأن يترك زوجها وصغيرها.

غير أنّ الصياد سخر من الذئبة، وضغط على الزناد فوقع الصغير وسط بركة من الدماء.

بعد ذلك، صوّب الصياد البندقية على الذئبة، غير أنها انطلقت مبتعدة عنه بسرعة وهي تعوي بصوت منخفض، ثم توقفت فوق تلة صغيرة، ورأت الصياد وهو يضرب الذئب الذكر بعصا خشبية حتّى الموت، فانفطر قلبها، وتبلل وجهها بالدموع، ثم رفعت رأسها إلى السماء وبدأت تعوي.

صبغت شمس الغروب الوادي باللون الأحمر، فحمل الصياد الذئب وصغيره وعاد بهما إلى بيته، بينما تبعته الذئبة من مسافة بعيدة.

وبعد أن سلخ جلد كل من الذئب وصغيره، علّق جلديهما خارج النافذة.

وفي كل ليلة، كانت الذئبة تعوي قرب الجلدين، ثم تهرب بسرعة ما إن يخرج الصياد. وراحت تكرر فعلتها عدة مرات كل ليلة ما جعل الصياد يعتزم اصطيادها وسلخ جلدها وهي حية لينفّس عن غضبه.

وفي إحدى الليالي، لم يسمع الصياد عواء الذئبة فشعر بالرحة. ولكن قبل أن يغفو، عوت الذئبة من مكان قريب؛ وكأنها تقف تحت نافذته. وحين فتح الصياد النافذة رآها واقفة هناك تنظر إلى عينيه نظرة ملؤها الكراهية، فما كان منه إلا أن رفع بندقيته وصرخ: «تباً لكِ! لقد أيقظتني كل ليلة... لا بد أن أقتلك الآن!».

عندها، نظرت الذئبة إلى فوهة بندقية الصياد، ثم انطلقت وهي تعرج، فقال الصياد: «آه... إذاً، أنت جريحة!».

ثمّ أنزل بندقيته وتناول عصاً خشبية؛ إذ كان يريد الإمساك بالذئبة وهي على قيد الحياة لأنه كان يعلم أن الوحوش تدر أرباحاً أكبر حين تكون على قيد الحياة.

ظلت الذئبة تعرج أمام الصياد هاربة، وراحت تسرع حين يقترب منها وتبطئ حين يبتعد عنها. وهكذا، ظلا يركضان فوق عدة تلال، من دون أن تمنح الذئبة الصياد الفرصة للإمساك بها.

وشيئاً فشيئاً بزغ الفجر، وراحت الشمس الحمراء تشرق ببطء من وراء التلال.

وبينما كان الصياد يلاحق الذئبة عبَرَ بضع تلال أخرى، وفقدَ إحساسه بالاتجاه في الغابة الكثيفة. فجأة، عوت الذئبة فتردد صدى عوائها بين المرتفعات.

وما هي إلا لحظات حتى ظهر مشهد مرعب أمام الصياد... إذ بدأ نمر شرس يمشي نحو الذئبة، ولكنها لم تهرب منه أو تظهر أية علامة تدل على الخوف، وإنما بدت كما لو أنها تبتسم

للصياد، ثم مشت مباشرة نحو النمر. عندها، انتبه الصياد إلى أن الذئبة لم تعد تعرج. وبقفزة واحدة عضّ النمر الذئبة من عنقها...

حاول الصياد المذعور الهرب، غير أنه ما إن التفت حتى رأى العديد من النمور تنظر إليه بنهم، فأدرك أنّ الذئبة قد قادته إلى النمور متعمّدةً لتنتقم منه لأنه قتل زوجها وصغيرها.

وبينما كان أحد النمور ينهش رقبة الصياد، وقبل أن يموت ظلّ يفكّر في ما حصل، ولم يفهم السبب الذي جعل الذئبة تغويه لتقتله مستخدمة حياتها كطعم.

ساذج

لي فوليانغ

كنت قد ترعرعت وسط عائلة يعمل أفرادها في السكك الحديدية. وقد اعتدت على الاستحمام في الحمام العام في مكتب السكك الحديدية الواسع والمريح، والمخصص لعمال السكك الحديدية وعائلاتهم المهملين عموماً. فالاستحمام بالنسبة لهم هو مجرد استحمام فحسب، بدون أي شيء خاص أو معقد، كما أن تكلفة استعمال الحمام معقولة.

في تلك اللحظة، كنت محاطاً بسحابة من البخار وأنا أدخل القسم الداخلي من الحمام، وأتلمس طريقي إلى حيث يوجد «الدوش». خلعت نظارتي ووضعتها على حافة المغسلة بحذر لئلا يدفعها أحد ما جانباً، ثم نظرت حولي ورأيت صبياً صغيراً يراقب كل حركة أقوم بها. حيث ثبّت عينيه عليّ ثم على نظارتي ثم على عينيّ مجدداً، فقرّبت رأسي منه لأراه بوضوح؛ إذ ظننتُ أنه يريد قول شيء ما، ولكنه لم يقل شيئاً.

وهكذا، بدأت بالاستحمام باستعمال الصابون والشامبو...

وحين فتحتُ عينيّ، وجدت الصبي الصغير يقف أمامي مباشرة، ويحدق إليّ من وراء بخار الماء ورغوة الصابون...

عندها، أخفضت رأسي نحوه مجدداً وسألته: «ماذا؟».

فهمس الصبي الصغير وكأنه يستجمع كل شجاعته على الرغم من أن صوته ظل غير مسموع: «أريد أن أدلّك على طريقة جيدة».

- ما هي؟

– إن غسلت كلا جانبي العدسة بالصابون ثم مسحتهما فلن يتجمع عليهما البخار.

إذاً، هذا ما كان الصبي يحاول إخباري به. وعلى الرغم من أنني كنت أعرف هذا السر منذ أن كنت في سنه ووجدته فاشلاً وغير عملي، إلا أنني تأثرت ببساطته وحماسته. ففي الحمامات العامة، يكون الجميع منشغلين، ولا أحد منهم ينتبه إلى نظارتي التي يغطيها الغبار، كما أن أحداً منهم لن يحاول مساعدة هذا البالغ الفاشل في حل مشكلة ثانوية كهذه.

لذا، حاولت أن أتظاهر بالسرور وبأنني تفاجأت، وقلت له متصنعاً الدهشة: «حقاً! أهذا يساعد؟ سأجرب ذلك حالما أستطيع... شكراً لك!».

فاستدار الصبي ومشى راضياً.

استطعت رؤية نفسي من خلال ذلك الصبي الصغير.

إذ كنت في ما مضى شخصاً متحمساً، ولكنني بدأت أفقد حماستي بسبب مصاعب الحياة وخيبات الأمل التي تسببها. وعلى الرغم من تعليمات زوجتي المتكررة، إلا أنني ما زلت لا أستطيع منع نفسي من قول ما أظن أنني أعرفه؛ تماماً كهذا الصبي الصغير.

فعلى سبيل المثال، كنت مرة في الحمام العام نفسه جالساً في الردهة لأنتعل حذائي، فرأيت امرأة شابة ترتدي ملابس أنيقة وشعرها يصل إلى كتفها تغادر الحمام وهي تقول للموظفة: «هذا غريب! أحد جوربَيّ الحريريين مفقود».

فعلقت الموظفة مستغربة: «أهذا معقول؟!».

وكنت قد رأيت ذلك الجورب الحريري معلقاً بشعرها من الخلف.

كان هناك الكثير من الناس في الردهة، وكانوا منشغلين بتغيير أحذيتهم، لذا لم يلاحظ أي منهم ذلك الجورب المعلق. ورحت أفكر حينها: هل سأسيء إليها إن أخبرتها بما عرفته؟! فقد يحرجها ذلك أمام الناس.

وهكذا، لم أتمكن من قول أي كلمة. وبعد أن عدت إلى المنزل سألت زوجتي: «ماذا كان ينبغي لي أن أفعل؟ أكان يجدر بي إخبارها؟».

فلم تجبني زوجتي، وإنما علقت قائلة: «منذ متى أصبح بصرك حاداً؟».

عندها، شعرت بالاستغراب أيضاً... لماذا عيناي ضعيفتا النظر تريان بوضوح أحياناً؟

وذات يوم، كانت حركة المرور الصباحية مزدحمة، ومرّت بي امرأة تقود دراجة جميلة. فجأة، لاحظت أن سحاب ثيابها الخلفي غير مرفوع بالكامل، وأنه مفتوح حتى الخصر؛ ما جعل ملابسها الداخلية واضحة للناس. عندها، نظرت يميناً وشمالاً، وحين أدركت أن أحداً لم يكن منتبهاً إلى ذلك، ترددت للحظة ثم أسرعت لأصل إليها. وما إن صارت دراجتي بمحاذاة دراجتها حتى همست لها: «سحابك مفتوح». ثم انطلقت مسرعاً.

ولم أجرؤ على الالتفات إلى الوراء لئلا تنعتني بالوغد، كما لم أذكر الحادثة لزوجتي بعد عودتي إلى المنزل لئلا تلومني على بصري الثاقب مجدداً.

كنت أعلم أنني لم أعد ذلك الصبي الصغير منذ زمن، فقد فقدت حقي في أن أكون «ساذجاً».

دليل الإنسانية

يو تشينغ

في القطار، حدقت مضيفة القطار الجذابة بالرجل متوسط العمر وقالت له بصوت مرتفع: «أرني تذكرتك!».

فسارع المسافر متوسط العمر للتفتيش في كل جيوبه حتى وجد التذكرة أخيراً. ولكنه أمسك بها غير راغب في إعطائها للمضيفة.

عندها، ابتسمت المضيفة بسخرية وقالت: «هذه التذكرة لطفل».

فاحمر وجه الرجل متوسط العمر وتمتم: «أليست تذاكر الأطفال بمثل ثمن تذاكر المعوّقين؟».

وبالفعل، كانت تذكرة الأطفال وتذكرة المعوّقين بالسعر نفسه؛ أي يبلغ ثمن التذكرة نصف سعر التذكرة العادية. وكانت المضيفة تعرف ذلك بالطبع، ولكنها نظرت إلى الرجل متوسط العمر من رأسه إلى أخمص قدميه وسألته: «وهل أنت معوّق؟».

- أنا كذلك.

- إذاً، أرِني البطاقة التي تثبت ذلك.

عندها، أصبح الرجل متوسط العمر عصبياً وقال: «لا أملك بطاقة... لقد طلبها مني بائع التذاكر أيضاً، ولهذا اشتريت تذكرة طفل».

فسخرت منه مضيفة القطار قائلة: «وكيف يمكنك إقناعي بأن لديك إعاقة إن لم تكن تملك تلك البطاقة؟».

وعلى الفور، خلع الرجل متوسط العمر حذاءه بصمت، ثم رفع ساق سرواله فبدت نصف قدمه مبتورة.

غير أن مضيفة القطار نظرت إلى قدمه ثم قالت: «أحتاج إلى رؤية البطاقة المختومة بختم هيئة المعوّقين».

عندها، نظر الرجل متوسط العمر إليها ببؤس وتوسّل قائلاً: «لقد رفضوا إعطائي بطاقة بما أنني لم أسجل للإقامة في المدينة. كما أنني كنت أعمل في مصنع خاص، وقد هرب المدير بعد حادثتي، ولم أكن أملك المال اللازم للحصول على تقييم للإصابة من المستشفى...

وحين لاحظ رئيس الطاقم في القطار ارتفاع صوتيهما، وأدرك أن هناك خلافاً ما، وجاء مستوضحاً حقيقة الأمر.

عندها، شرح الرجل متوسط العمر لرئيس الطاقم أنه معوّق، ولهذا اشترى تذكرة طفل بما أنها بمثل سعر تذكرة المعوّق.

فطرح عليه رئيس الطاقم السؤال نفسه: «أين بطاقة الإعاقة؟».

فكرّر الرجل متوسط العمر قوله إنه لا يحمل بطاقة، ولكنه أراه قدمه المبتورة.

ومن دون أن ينظر رئيس الطاقم إلى قدمه قال له: «نحن لا نعترف سوى بالأدلة المكتوبة، ولا شيء غيرها! لذا، أرني دليلاً رسمياً يثبت أنك معوّق قبل أن تتمتع بتخفيض الإعاقة، وإلاّ أسرع وادفع الفرق في السعر واحصل على بطاقة البالغين».

عندها، بحث الرجل متوسط العمر في جيوبه وأمتعته، ولكنه لم يجد سوى بضعة يوان لا تكفي لتسديد ثمن التذكرة، فتوسل إلى رئيس الطاقم قائلاً: «بعد بتر قدمي بإحدى الآلات لم أستطع العثور على عمل في المدينة. ومن دون تذكرة لا يمكنني العودة إلى المنزل. حتى إن هذه التذكرة التي يبلغ ثمنها نصف ثمن تذكرة البالغين تم شراؤها بالمال الذي جمعه أصدقائي القرويون... أرجوك، أرجوك ارحمني واسمح لي بالذهاب!».

غير أن رئيس الطاقم كان مصمماً: «هذا مستحيل!».

عندها، استغلت مضيفة القطار تلك الفرصة، وقالت لرئيس الطاقم مقترحة: «ما رأيك بمعاقبته على ذلك بتعبئة الفحم في القاطرة كمتطوع؟».

فما كان من رئيس الطاقم إلا أن فكّر في الاقتراح للحظات ثم وافق.

وكان هناك رجل عجوز يبدو كملاك يجلس مقابل الرجل متوسط العمل، وحين لم يعد بإمكانه احتمال الأمر أكثر، وقف ونظر إلى عينَي رئيس الطاقم وسأله: «هل أنت رجل؟!».

فنظر إليه رئيس الطاقم باستغراب وأجاب: «وبمَ يهمك إن كنت رجلاً أو لا!؟».

- فقط قل لي إن كنت رجلاً أو لا!
- بالطبع أنا رجل.
- كيف تثبت أنك رجل؟ أرِنا الدليل!

فانفجر جميع المسافرين بالضحك، وتلعثم رئيس الطاقم ثم قال متردداً: «أنا واقف هنا كرجل بالغ... هل من خطأ؟!».

غير أن الرجل العجوز هزّ رأسه نافياً وأجاب: «بناء على قواعدك، نحن لا نعترف سوى بالأدلة المكتوبة لا غير! أرِنا دليلاً يؤكد أنك رجل. ومن دون دليل كتابي يثبت ذلك أنت لست رجلاً».

عندها، صعق رئيس الطاقم ولم يستطع الرد.

فما كان من المضيفة إلا أن اقتربت لمساعدة رئيسها، وقالت للرجل العجوز: «أنا لست رجلاً... هيّا، ناقشني».

أشار الرجل العجوز إلى أنفها وقال: «أنت لست إنسانة».

فقالت المضيفة بغضب وسخرية: «انتبه إلى كلامك، وقل لي إن لم أكن إنسانة فماذا أنا إذاً؟».

أجاب الرجل العجوز ببرودة وهو مبتسم: «هل أنت إنسانة؟ حسناً، أرينا دليلاً مكتوباً يثبت إنسانيتك».

فانفجر الجميع بالضحك مجدداً.

شخص واحد فقط لم يضحك؛ وهو الرجل متوسط العمر ذو القدم المبتورة. فقد اكتفى بالتحديق إلى ما يحصل أمامه وقد اغرورقت عيناه بالدموع... من يدري ما كان يشعر به حينها؟ أهو الحزن أو الامتنان أو الكراهية؟!

وسادة من جلد الكلب

وانغ كوي شان

كان أبي في شبابه يعمل في مكان يقع قرب نهر هوايهي. وكان في برد الشتاء القارس معتاداً على القفز وسط المياه الجليدية للمساعدة في تنظيف الطمي، الأمر الذي أدى إلى إصابته بالروماتيزم في ساقيه اللتين صارتا تؤلمانه بشدة وخاصة خلال فصل الشتاء.

أما أنا فكان أول عمل مارسته هو التدريس في مدرسة ثانوية ريفية. وكان هناك مصنع للدباغة في بلدتنا، ولكنه لم يكن مصنعاً بكل ما للكلمة من معنى، وإنما مجرد ورشة صغيرة تضم سبعة إلى ثمانية عمال يعملون في ثلاث إلى خمس غرف، ويقومون غالباً بتهوية جلود الخراف أو الكلاب خارج الورشة؛ ما يجعلنا نشم الرائحة الواخزة من بعيد.

كنت أحب التنزه في أرجاء البلدة الصغيرة في أوقات فراغي. وفي إحدى المرات، بينما كنت أمشي بالقرب من المدبغة، رأيت بعض العمال يهتمّون بالجلود هناك. وبعد أن ألقيت التحية عليهم، وقفت جانباً، ورحت أتأمّلهم وهم يعملون، فسألني أحدهم – وكان في العقد الخامس من عمره – إن كنت أريد شراء شيء من مصنعهم. عندها، تذكرت أبي المصاب بالروماتيزم، وأخبرته أنني آمل أن أشتري وسادة من جلد الكلب لوالدَيّ العجوزين في المنزل، فقال لي العامل على الفور: «لا مشكلة... الكبار في السن يشعرون بالبرد دائماً، لذا إن وسادة من جلد الكلب ستبقي والديْك دافئين بالتأكيد».

ولأظهر امتناني، عرضت على كل من أولئك العمّال سيجارة. وبعد أن أشعل ذلك العامل سيجارته، سألني عن المكان الذي جئت منه، وعمّا أقوم به، وعن حال والدي، فرويت له كيف أصيب أبي بالروماتيزم بعد أن عمل حين كان شاباً في مشروع السيطرة على الفيضانات في نهر

هوايهي. وعند سماعه ما قلته تنهد العامل وقال: «يمكنني القول إنك ابن مخلص. وإن أردت نصيحتي، لا تشترِ الوسادة الآن».

وحين سألته عن السبب، نظر إلى باقي العمال ثم ابتسم قائلاً: «جلود الكلاب التي نجمعها حالياً صيفيّة؛ ما يعني أنها أقل تدفئة... لذا، انتظر حتى يحلّ البرد واشترِ جلد كلب سميكاً؛ فالجلود الشتوية تمنح عزلاً أفضل».

عند سماعي ذلك شعرت بالفضول، ورغبت في معرفة الفارق بين النوعين من الجلود. ولأعبر عن امتناني لصدقه، عرضت على كل منهم سيجارة أخرى فقبلوها، ولكنهم لم يدخنوها، وإنما وضعوها وراء آذانهم. ثم شرح لي العامل سبب وجود ذلك الاختلاف الكبير، حيث قال لي: «على الرغم من أن هذه الجلود تبدو بالنسبة للعين غير المدربة متماثلة، إلا أن الجلود الصيفية والشتوية تختلف بشكل كبير. فالفرو لدى الكلاب يتباعد في الصيف لأنها بحاجة إلى الرطوبة؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى الصوف لدى الأغنام. ولكن، ما إن يصبح الطقس بارداً حتى يتحول الفراء إلى فراء ناعم وغزير ليسمح بالحفاظ على الحرارة. أنت رجل مثقف، ويجب أن تكون على علم بالمثل القائل «انتبه من فرو الخريف»، ففرو الخريف يشير إلى الفرو الذي ينمو بعد نزول الصقيع في الخريف.

عندها، أخرجت دفتر مذكراتي لأكتب كلماته مباشرة، فضحك جميع العمال وقالوا: «تعال إلى هنا كل يوم إن كنت تريد كتابة ما نقوله، وسيمتلئ دفترك على الفور».

وفي ذلك الشتاء، اشتريت لأبي من المدبغة وسادة مصنوعة من جلدَي كلبين مرقطين. وبما أن مرتبي لم يكن يزيد عن أربعين يوان في الشهر، فقد كلفتني الوسادة ثلثي راتبي الشهري.

شعر أبي بالإثارة حين قدّمت له الوسادة، ووضعها على سريره في الليلة نفسها التي أعطيته إياها فيها. وحين سألته أمي عن رأيه بها، أجاب بسعادة: «إنها دافئة... دافئة حقاً».

فعلّقت أمي على ذلك بقولها: «من الرائع كيف يمكن للمال أن يشتري أشياء كثيرة. هذا برّ ابنك بك... ولماذا ننجب الأولاد؟ ليهتموا بنا حين نتقدم في السن».

فضحك أبي من أعماق قلبه.

ومنذ ذلك الحين، كلما كان الطقس جيداً، تقوم أمي كل بضعة أيام بإخراج الوسادة المصنوعة من جلد الكلب إلى الهواء الطلق. بصراحة لم تكن مضطرة إلى تهوية تلك الوسادة المضادة للرطوبة بكل ذلك الحذر، غير أنها كانت تفعل ذلك للتباهي؛ فأمي امرأة ريفية تحب

التباهي بالأشياء التي تملكها، وقد كان ذلك بالنسبة لي من أجمل الأمور في أمي، فهي تتصرف ببساطة كالأطفال أحياناً.

وبالطبع، كانت الوسادة المصنوعة من جلد الكلب تجذب انتباه جيراننا؛ حيث كانت بعض النساء يقتربن لينظرن إليها ويتلمّسنها، كما قامت إحدى النساء بإحضار وسادة مصنوعة من جلد الكلب أحضرها لها زوج ابنتها لتقارنها بوسادة أبي فوجدت أن وسادتها أقسى، وتبدو كطبق معدني رقيق. عندها، تلمست أمي وسادتها وضحكت قائلة: «وسادتك من الجلد الخام غير المدبوغ... انظري كم هي قاسية... ستبلى في الصيف».

فابتسمت المرأة محرجة، ثم مشت في طريقها. عندها، علّقت بعض النساء بالقول: «الصهر ليس مخلصاً كالابن».

فابتسمت أمي وقالت: «ألم تسمعن بمقولة: «الصهر يبقى صهراً»؟ من تعتمد على صهرها فلن تجد سوى الماء البارد لتشربه».

وبعد وفاة والدي، سمعت أن لي ليان أعطت الوسادة المصنوعة من جلد الكلب لوالديها. لي ليان هي زوجة أخي، لذا لم أستطع الاعتراض على ذلك القرار. والآن، لم تعد لدي أدنى فكرة عمن يملك تلك الوسادة.

اختبارات بديلة

سونغ يان شون

على الرغم من كل الأموال التي جناها المستثمر وانغ في عمله إلا أنه فشل في تعليم ابنه جيداً. إذ كان ابنه وانغ شياو ماو شيطاناً صغيراً لا يخاف أحداً في المدرسة، وقد رسب في جميع المواد. وفي أحد الأيام، رآني المستثمر وانغ وطلب مني تعليم ابنه فسألته: «ما المهارات الخاصة التي أتمتع بها لأصبح أستاذاً لابنك؟».

فأجاب: «سمعت أنك تسمح لطلابك بالتعبير عمّا يجول في خاطرهم، لذا صفك فعال دائماً ومفعم بالحيوية. كما سمعت أنك تسافر كثيراً إلى المناطق النائية معتمداً على مالك الخاص، ما يجعلني أدرك أنك لست مدرساً عادياً. وأنا متأكد من أن ابني سينصت إلى أستاذ مثلك».

«دعني أجرب».

وبعد سماعي بعض القصص عن وانغ شياو ماو من أبيه، قررت في البداية أن أُجرِي له اختباراً لشخصيته.

ولهذا السبب، قررت إثارة إعجابه في لقائنا الأول بمظهر غير اعتيادي. لذا، لم أغتسل أو أحلق ذقني، وارتديت سروالاً من الجينز المرقع، وانتعلت حذاء قديماً مكشوفاً. ربما أثّر مظهري هذا في الولد الذي كان يظن نفسه متمرداً؛ لأنني حين ناولته ورقة الاختبار ليجيب عن أسئلته لم يعترض، وإنما سألني: «ما عدد النقاط التي ينبغي لي الحصول عليها لأنجح في هذا الاختبار؟».

فأجبته: «صفر».

ظن أنه أخطأ السمع، فسألني مجدداً: «كم نقطة؟».

فكرّرت قولي: «صفر».

عندها، قال فرحاً: «جيد، فأنا لست واثقاً من أنه بإمكاني الحصول على مئة، ولكنني متأكد من أنه بإمكاني الحصول على صفر. عدني الآن بأنني إن حصلت على صفر في الاختبار فستستقيل مباشرة ولن تتراجع لاحقاً عمّا قلته».

فرددت بأسلوب جعلني أبدو وكأنني بوذا: «بلا ندم... بلا ندم».

السؤال الأول:

من كتب قصيدة «حلم في ليلة هادئة»؟ أ) لي باي ب) دو فو ج) باي جوي.

فأجاب وانغ شياو ماو: «الجميع بمن فيهم الطفل ذو الأعوام الثلاثة يعرف أن تلك القصيدة للي باي، لكنني لن أختار الإجابة الصحيحة».

واختار الإجابة «ب».

السؤال الثاني:

عاصمة الصين هي: أ) نان جينغ ب) بكين ج) تيان جين.

فابتسم وانغ شياو ماو، واختار الإجابة «أ» بدلاً من الإجابة الصحيحة «ب».

ثم ارتبك وانغ شياو ماو عندما وصل إلى السؤال الثالث:

– متى اندلعت ثورة تشين هاي؟ أ) 1901 ب) 1911 ج) 1922.

وتردد لوقت طويل ثم اختار «ب».

وبدا لي عندها أنه لن يحقق رغبته في الحصول على صفر بما أن ثورة تشين هاي قد اندلعت عام 1911.

وحين نظر إلى نتائج الاختبار من ثلاثين نقطة، بدا الاستياء على وجهه وسألني: «أيمكنني التحقق من بعض الكتب من أجل اختباري التالي؟».

– بالطبع، تحقق من كتبك. لكنّ الاختبار القادم سيكون بالتأكيد أكثر صعوبة من هذا الاختبار. أما زلت واثقاً من أنك ستحصل على صفر؟

- بالطبع!

انتهت أول جلسة تدريس لي على ما يرام، وقد شعرت أن وانغ شياو ماو قد وقع في مصيدتي. فلكي يختار الإجابات الخاطئة عمداً عليه أن يعرف الإجابات الصحيحة.

وهكذا، في الأسابيع التالية، بدأ وانغ شياو ماو يولي الكثير من الانتباه لكل اختبار بديل أعطيه إياه. إذ كان يفكر في كل سؤال ملياً، ويبحث في العديد من الكتب بلا كلل، حتى تمكن في النهاية من الحصول على نتيجة صفر في أحد الاختبارات. لكنه لم يشر إلى أنه عليّ الاستقالة، وإنما طلب مني راجياً أن أعطيه المزيد من الاختبارات لأنه يريد الحصول على درجة صفر مجدداً من دون التحقق من أي كتب.

وحين انتهت إجازة الصيف، أوقفت جميع الدروس الخصوصية بهدف التفرغ للتدريس في المدرسة. وذات يوم، تلقيت مكالمة هاتفية من المستثمر وانغ شكرني فيها، وأخبرني أن ابنه يحقّق تقدماً مثيراً في دراسته، ثم بدأ يمدحني بالقول إنني أفضل مدرس، فأجبته: «ابنك مختلف عن الآخرين. وأنا لم أفعل أي شيء سوى تعليمه بناء على مستواه، وإيجاد طريقة خاصة لحل المشكلة».

ندف ثلج خفيفة

لي زي شينغ

في بداية فصل الشتاء، حين كانت ندف الثلج الخفيفة تتساقط في الريف بهدوء كالحشرات الصيفية، جلست امرأة تدعى شياو شو في حانتها وهي تشعر بالكآبة، وراحت تحدّق عبر الباب الزجاجي إلى ندف الثلج الخفيفة المتساقطة مساءً والتي بدت واضحة تحت أضواء السيارات، وبدت شاردة في أفكارها. فغداً سيعود زوجها، بعد أن غادر للعمل في الخارج لخمس سنوات. كان يفترض بها أن تشعر بالإثارة بشأن ذلك، لكن تلك السنوات الخمس شهدت تغيرات كبيرة في أمور عديدة؛ ما دفع شياو شو لاتخاذ قرارها بالطلاق من زوجها. ورغم ذلك، كانت تجد صعوبة في طلب الطلاق. وكانت هي وفانغ غانغ قد عبّرا سابقاً عن شيء من نواياهما في رسالة أرسلاها إلى زوجها قبل شهر، ومعها مبلغ خمسمئة ألف يوان؛ وهو إجمالي المبلغ الذي أرسله لها زوجها من خارج البلاد خلال السنوات الخمس الماضية. وهكذا، ما إن يعود إلى البلد حتى تتمكن من إعادة المال إليه بالكامل. ومع ذلك، كان شعور بالضيق الشديد يعذّبها في هذه الأيام. إذ لطالما كانت ترى زوجها في أحلامها ينظر إليها بعينين حزينتين؛ ما دفعها غالباً للاستيقاظ وهي تشعر بالخوف، والعرق البارد يتصبب منها؛ من دون أن تتمكن من العودة إلى النوم مجدداً إلى أن تتشبث بصدر فانغ غانغ.

في ما مضى، قام وسيط بتعريف شياو شو على زوجها، وتم زواجهما ببساطة، حيث كانت شياو شو تظن دائماً أن الحياة تسير هكذا، وأن حياتهما الزوجية على ما يرام. لكن، سرعان ما انهارت شركتهما، وأصبحت الحياة صعبة بالنسبة إليهما، ولا سيما بعد أن فقدا كلاهما وظيفتيهما؛ ما جعل شياو شو تخاف من إنجاب طفل. عندها، اضطرت شياو شو إلى العمل كنادلة في حانة، حيث كانت تشعر بالإهانة تحت نظرات ضيوفها الباردة والبذيئة التي أشعرتها وكأنها تتعرى في

مكان عام. ثم قام زوجها وأربعة من زملائه في العمل باقتراض مبلغ كبير من المال، وتوقيع عقد عمل مدته خمس سنوات خارج البلاد.

ومنذ ذلك الحين، تغيرت حياة شياو شو كثيراً؛ إذ صارت تتلقى مبلغ عشرة آلاف يوان كل شهر من خارج البلاد. وبعد مرور عام، فتحت حانة خاصة بها، والتقت هناك فانغ غانغ المتحمس الذي بدأ يلاحقها بشغف ويشتري لها الزهور ويهديها الخواتم؛ إلا أن وجدت صعوبة في مقاومته. إذ كانت مثل شخص معتاد على المياه الفاترة ثم حصل فجأة على كأس من عصير الفواكه الطازجة، لذا افتتنت به على الفور.

فُتِح الباب الزجاجي للحانة، ودخل فانغ غانغ الطويل والقوي وهو يبعد ندف الثلج عن شعره. وعلى الفور، تصاعدت موجة دافئة إلى قلب شياو شو، وبدت لها الحانة التي كانت كئيبة منذ قليل أكثر دفئاً.

قال لها فانغ غانغ وهو يجلس بجانبها: «وجدت سانتانا لإيصالك إلى المطار غداً».

فهزت رأسها، وهمّت بقول شيء ما، غير أنها امتنعت عن ذلك.

فتابع فانغ غانغ كلامه: «لا تقلقي... من حقنا أن نسعى وراء سعادتنا... أنحن مخطئان في ذلك؟».

وضمّ فانغ غانغ شياو شو إلى صدره محاولاً مواساتها وقال: «لن نجرح مشاعر أحد... أليس كذلك؟».

وفي اليوم التالي، وصلت شياو شو مع فانغ غانغ إلى المطار في الوقت المحدد. إذ كان لي وي – وهو أحد زملاء زوجها – قد اتصل بها من الخارج، وأخبرها بموعد هبوط طائرتهم. فقد توقف زوجها عن الكتابة لها بعد أن أرسلت له تلك الرسالة؛ كما أنه لم يكن يتصل أو يكتب لها إلا في السنة الأولى من سفره.

فجأة، ازداد تدفق الناس في المطار، فتسارعت نبضات قلب شياو شو. وبعد بضع دقائق، رأت بيغ لي ولي وي وغيرهما يتجهون نحوها، فتنهدت شياو شو قائلة: «يبدون أكبر من ذي قبل».

وحين اقترب منها لي وي، ركّزت شياو شو نظرها على الصندوق الأسود الذي كان يحمله بيده، والذي كانت صورة زوجها تتوسطه. وخطر لها أن الصندوق يحتوي على رماد الجثة، ففقدت

وعيها بين ذراعي فانغ غانغ.

بعد عدة ساعات، استعادت شياو شو وعيها مجدداً، فوجدت نفسها مستلقية على سريرها في المنزل، بينما وقف لي وي وبيغ لي إلى جانبها. واختنق لي وي بالعبرات وهو يخبرها بما حصل.

فقد مرت السنة الأولى على ما يرام. ولكن في أحد الأيام، اشتعلت النيران في الورشة حيث يعملون بسبب خطأ فادح ارتكبه لي وي والآخرون. عندها، قام زوج شياو شو بدخول الورشة التي تحترق لإنقاذ إحدى الآلات، فوقع شيء معدني فوقه وشوّهه. وهكذا، تمكّن زوجها من إنقاذ الآلة التي لو تضررت في الحريق لتسبّب ذلك في فقدانهم وظائفهم جميعاً، ولاضطروا حينها إلى دفع ثمنها الباهظ، غير أن المقابل كان إصابة زوجها بالشلل حتى آخر عمره. وبعد ذلك، بدأ لي وي والآخرون بالعمل بمناوبات إضافية، واقتطعوا من أجورهم المبالغ التي كانوا يرسلونها إلى شياو شو خلال السنوات الأربع الماضية.

«في البداية، كان أخونا الكبير متفائلاً. وطوال الوقت، كان يحمل صورتك وينظر إليها، ولكننا لم نفهم سبب... سبب انتحاره قبل عودتنا!».

فتمتمت شياو شو مصدومة: «هل انتحر؟».

«أجل. فحين كنا في العمل يوماً قام بقطع أحد شرايينه، فراح الدم يتدفق في الأرجاء».

ثم أخرج لي وي صورة شياو شو وقدّمها إليها. وعلى الرغم من أن بقع الدم كانت قد تلاشت عن الصورة، إلا أن آثار بصمة إصبع كانت لا تزال واضحة عليها.

في الضاحية الشرقية من المدينة، تم شراء ضريح جديد في مقبرة عامة، ووقفت شياو شو وفانغ غانغ أمام الغرانيت الجديد؛ حيث تم وضع صورتَي زوجين شابين على حجر الضريح... كان الرجل هو زوج شياو شو، أما المرأة فهي شياو شو؛ حيث أصرت على وضع صورتها قرب صورة زوجها، وقالت إن شياو شو السابقة قد ماتت مع زوجها، وإنها ستصاحبه لأنها كانت الأمل الوحيد في حياته.

كانت ندف الثلج الخفيفة قد تساقطت بشكل متقطع خلال الأيام الثلاثة الماضية. ولكن خلال عودتهما، بدأ الثلج يتساقط بغزارة. طوال الطريق، ظلت شياو شو تحدّق من نافذة السيارة إلى ندف الثلج المتراقصة؛ فالثلج الأبيض والنقي تساقط في بداية الشتاء، ولكنه يحافظ على حيويته

ونقائه طالما أنه في الجو فقط، فما إن تلامس ندف الثلج الأرض حتى تذوب فوراً من دون أن تترك أي أثر.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظ فانغ غانغ على صوت صادر عن هاتفه المحمول. وحين ألقى نظرة عليه، وجد رسالة قصيرة من شياو شو جاء فيها:

«قررت مغادرة هذه المدينة وعدم العودة إليها... لا تبحث عني... كم تشبه ندف الثلج تلك الفرح... لن نتمكن أبداً من امتلاك جمالها سريع الزوال».

وفي الخارج، كانت ندف الثلج تتطاير وتتراقص بمرح تحت ضوء الشارع الذي سينطفئ قريباً، حيث بدت حيوية في الهواء، ولكنها ستذوب على الأرض المبللة التي أصبحت ضريحها الأبدي ما إن تلامسها.

قطع الحطب

تشاي جي تشينغ

أخبرني تاجر قطع أثرية مختص بشراء الأثاث الخشبي القديم وبيعه عمّا حصل معه يوماً. فقد عثر على خزانة ثمينة في قرية جبلية منعزلة، وبعد الموجة الأولى من الابتهاج الشديد لعثوره على تلك الخزانة، بدأ يفكر في كيفية حصوله عليها.

في البداية، تبادل الحديث مع مالك الخزانة. وبعد الكثير من الأعذار والمناورات الحذرة، تمكّن من تحويل محادثتهما إلى الخزانة الخشبية، وعرض على مالكها مبلغ ستمئة يوان ثمناً لها.

تفاجأ المالك من ذلك العرض المغري مقابل تلك القطعة القديمة من الأثاث التي يملكها؛ حيث إنه كان يعيش في قرية جبلية نائية، ولم يكن يعرف قيمة تلك الخزانة. نظر المالك إلى التاجر لوقت طويل؛ ما جعل قلب هذا الأخير يكاد يتوقف. وأخيراً، هز رأسه موافقاً فاطمأن قلب التاجر مجدداً.

لكن، سرعان ما ندم تاجر القطع الأثرية على عرضه حين وجد أن القروي قد وافق على أول عرض قدّمه له بدون أي مفاوضة، وبدأ يفكر في أنه كان بإمكانه عرض أربعمئة يوان بدلاً من ستمئة. عندها، حاول زيادة مكسبه المادي من تلك الصفقة من دون أن يثير شكوك المالك، فبدأ يتأمل منزل القروي بحثاً عمّا يمكن الاستفادة منه هناك.

وعلى الفور، رأى كرسياً خشبياً قذراً وقديماً فقال للمالك: «الخزانة متضررة للغاية، وقد لا يكون بالإمكان إصلاحها، وعندها ستتحول بكاملها إلى قطع حطب».

فتمتم القروي: «إن لم تكن راغباً بها فيمكنك عدم شرائها».

غير أن تاجر القطع الأثرية لوّح بيده بسخاء وقال: «لا، لا يمكنني التراجع عن كلمتي... ولكن، ما رأيك... بأن أحصل على هذا الكرسي أيضاً ضمن الصفقة؟».

شعر القروي بالارتباك من المبلغ الضخم الذي عرضه التاجر عليه مقابل قطعتَي الأثاث القديمتين، فأومأ له موافقاً بامتنان. عندها، ابتسم التاجر وقال له: «سأعود غداً صباحاً لأنقل الحطب».

وفي اليوم التالي، حين عاد التاجر إلى منزل القروي وقد أحضر معه سيارة لنقل الخزانة والكرسي الخشبيين، رأى كومة من الحطب أمام منزل القروي. وسارع القروي لإلقاء التحية عليه قائلاً: «فكرت في أنه بإمكاني مساعدتك، لذا حوّلت الخزانة والكرسي إلى قطع الحطب من أجلك».

وحين وصل التاجر في سرده ما حصل إلى هذه النقطة المشوّقة صمت عن الكلام، فسألتُه بفضول: «إذاً... ماذا حصل في النهاية؟».

عندها، مد يده بهدوء إلى رف كتب وتناول قطعة من الحطب، ففهمت على الفور ما حصل، وسألته مبتسماً: «أنقلت حمولة من الحطب دفعت ستمئة يوان ثمناً لها؟!».

«ليس ستمئة يوان فحسب، وإنما ألف يوان. ففي النهاية، أعطيته أربعمئة يوان إضافية كأجرة على تقطيعهما لي».

وأضاف بعد أن صمت لوقت إضافي: «في الحقيقة، يمكن اعتبار المبلغ الإضافي الذي دفعته له بمثابة أجرة له لأنه علّمني درساً مهماً؛ فقد علمني مضارّ الطمع».

الرومانسية الوهمية

زو ياو هوا

تعرّفت يانزي إلى حبيبها لأول مرة في غرفة دردشة على الإنترنت. فقد كانت حينها تشعر بالملل كثيراً، لذلك شاركت في الدردشة عبر الإنترنت لقتل الوقت. في البداية، كانت مرتابة من الحب والعواطف عن طريق المملكة الافتراضية؛ لأنها كانت تؤمن بما يقوله بيل غيتس: «عند الحديث مع الآخرين عبر الإنترنت، لا يمكنك معرفة ما إذا كان الشخص الجالس في الطرف الآخر كلباً أو لا». لكنها منذ أن تعرفت إلى حبيبها عبر الإنترنت أقرّت بأن الهواجس التي أشار إليها غيتس مجرّد آراء متحيزة، وسرعان ما بدأ تحفظها يتلاشى شيئاً فشيئاً.

كان قد أطلق على نفسه لقب وباء، ما يُظهر مدى كونه منفتحاً وطريفاً؛ وإلاّ فلِمَ سيقلل من شأن نفسه!؟ وبالتأكيد، بعد أن بدأت بالدردشة معه أثبت أنه وباء بالفعل، فتعليقاته الذكية جعلتها تضحك من أعماق قلبها.

وفجأة، بدأت تشعر بالندم لأنها لم تلتقِ شخصاً مثله من قبل.

وسرعان ما بدآ يدردشان عبر الإنترنت بناء على مواعيد مسبقة كلما سنحت لهما الفرصة. وحين اختفى من غرفة الدردشة لبضعة أيام شعرت بنوع من الاكتئاب. وكتبت له حين عاود الظهور: «أين كنت أيها المضحك؟».

فرد عليها الوباء بأنه كان لديه ضغط عمل في شركته؛ إذ كان يفاوض لعقد صفقة مع تاجر كوري، الأمر الذي شغله كثيراً. ولم تسنح له الفرصة للاتصال بالإنترنت خلال الأيام القليلة الماضية.

عندها، شعرت يانزي بالمزيد من الاحترام تجاهه؛ كالاحترام الذي يكنه الناس للأشخاص الناجحين.

وحين أدركا أنهما يقيمان في المدينة نفسها تطورت علاقتهما بسرعة واتفقا على اللقاء؛ إذ لا يمكن تجاهل القدر الذي جمع بينهما في هذا العالم الكبير!

وهكذا، مرّ الوقت بسرعة لا توصف.

وبعد فترة، أصبح من الطبيعي أن يرتبا لقاء يجمعهما شخصياً. وقبل الموعد المحدد، قامت يانزي بتصفيف شعرها، وارتدت أفضل ثيابها لتبدو فائقة الجمال. وبما أنها كانت تظن أنها ليست جميلة بما يكفي، فقد اهتمت بملابسها كثيراً لأنها كانت مهتمة بالوباء وراغبة في ترك انطباع إيجابي لديه.

ولم يكن الوباء مخيباً للآمال. إذ بدا لطيفاً وأنيقاً كما يكون جميع المستثمرين، وكانت ملابسه من ماركات شهيرة من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه. وكانت أول عبارة قالها عند رؤيته ليانزي: «أنت أجمل مما ظننت».

فاحمر وجه يانزي خجلاً وقالت: «حقاً! شكراً لك!».

«أوه... لا حاجة إلى شكري لأنني لم أقل شيئاً أكثر من الحقيقة».

كان ذكياً وفيلسوفاً وبارعاً في رواية القصص المضحكة.

جلسا في المقهى، وبدت الرومانسية كما لو أنها تشع منهما، فيما كانا يحتسيان النبيذ الأحمر ويتحدثان بسعادة.

ولتعزيز هذا الجو الغامض، وفي الوقت نفسه ليُبعدا نفسيهما عن السقوط في تفاهات الحياة، حاولا ألاّ يتطرقا إلى أي شيء يخصّ خلفيتيهما، وبدأت سعادتهما تزهر بصمت كما لو أنها وردة خجولة.

اتفقا على اللقاء مجدداً بعد أسبوع. وطوال ذلك الأسبوع الفاصل بين اللقاءين عانت يانزي كثيراً، وبدا لها كما لو أن ذلك الأسبوع لا نهاية له؛ على الرغم من أنهما استمرا بالدردشة يومياً عبر الإنترنت. وفي لقائهما الثاني، قام الوباء بدعوة يانزي إلى ماكدونالدز، ثم تجولا في أحد المنتزهات

لفترة طويلة. وبعد ذلك، اشترى الوباء خاتماً ليانزي؛ إذ كان سخياً بأمواله لدرجة أنه لم يساوم البائع عند دفعه ثمن الخاتم.

وفي لقائهما الثالث، اشترى الوباء ليانزي ثوباً باهظ الثمن. وبعد أن ارتدت يانزي الثوب تنهد قائلاً لها: «أنت جميلة للغاية يا يانزي!».

فعلّقت على كلامه قائلة بتواضع: «أنت لا تعرف سوى المبالغة».

غير أنها في الواقع كانت تشعر بأحاسيس لم تشعر بمثلها من قبل؛ فقد شعرت أنه بإمكانها ائتمانه على حياتها بالكامل. ونتيجة لذلك، وبسبب تصرفاته ومبادراته المفعمة بالحيوية، سمحت له يانزي في النهاية بانتهاك عذريتها.

ومع مرور الوقت، بدآ بمناقشة موضوع زفافهما.

وفي أمسية يوم سبت التقيا مجدداً في مكان محدد، فقال لها الوباء إنه رأى للتو دراجة نارية حمراء اللون أحبها كثيراً، وإنه يريد شراءها ليصطحبها في جولة، وليستخدمها في عمله. وطلب منها أن تلقي نظرة عليها لتعطيه رأيها بها.

فذهبت يانزي معه سعيدة.

كانت الدّراجة النارية جميلة جداً، وبدأت يانزي تتخيل شعورها وهي جالسة وراءه وقد أمسكت خصره بقوة فيما هو يقود الدراجة النارية بسرعة الرياح، وهي تصرخ وخصلات شعرها تتطاير مع الرياح كما لو أنها أزهار متفتحة.

كان ذلك كأحد المشاهد السينمائية التي رأتها في أحد الأفلام... بدا لها الأمر مثير للغاية!

ربت مالك متجر الدراجات النارية على كتف الوباء وشجّعه على شرائها قائلاً: «إن هذه الدراجة النارية مستوردة، وهي من النوع الآلي ولن تجد مثيلاً لها!».

عندها، نظر الوباء إلى الدراجة النارية ولمسها قائلاً: «أريد تجربتها في الخارج لأرى كيف هي فعلاً».

«تفضل».

فما كان من الوباء إلا أن ترك يانزي في المتجر وانطلق على متن الدراجة بسرعة كالسهم.

وهكذا، مر وقت طويل من دون أن يأتي الوباء، فبدأت يانزي تشعر بالقلق، وراحت تتساءل عمّا إذا كان قد تعرض لحادث. كما بدأ مالك المتجر بالتذمر أيضاً. وحين حان موعد إغلاق المتجر ما كان الوباء قد عاد بعد.

عندها، قالت يانزي لمالك المتجر وهي تشعر بالقلق: «دعني أذهب للبحث عنه».

غير أن مالك المتجر منعها من المغادرة واتصل بالشرطة.

وبعد أن شرح مالك المتجر لرجال الشرطة ما حصل، سأل أحد رجال الشرطة يانزي: «ما اسم صديقك؟ وأين يعمل؟».

فأخبرتهم يانزي أنها لا تعرف شيئاً عنه سوى أنه ملقّب بالوباء.

غير أنّ الشرطي لم يصدقها، وقال لها مستنكراً: «أتمزحين؟! تفضلي معنا يا آنستي إلى مركز الشرطة».

كانت يانزي لا تزال متمسكة بالآمال التي عقدتها على حبيبها، ولم تدرك إلا بعد وقت طويل أن الوباء كان مخادعاً، فغطّت وجهها بيديها، وأجهشت بالبكاء بمرارة.

تم إطلاق سراح يانزي بعد أن دفعت عائلتها الكفالة. إذ كانت تكلفة الدراجة النارية اثني عشر ألف يوان، لكن مالك المتجر كان رحيماً وقدّم تخفيضاً بقيمة اثني عشر بالمئة.

ومنذ ذلك اليوم، راحت يانزي تبحث عن الوباء عبر الإنترنت كل يوم، ولكنه كان قد اختفى إلى الأبد.

الإمساك بيدك بقوة

زونغ يو

تزايد الضجيج المنبعث من غرفة الجلوس أكثر فأكثر، فاختبأت في الغرفة المجاورة مستلقياً على السرير، وأنا أشعر بالتوتر كما لو أنني فأر. ومع تزايد أعداد الناس المجتمعين في غرفة الجلوس بدأت أشعر بالمزيد من الارتباك والتوتر.

كنا نقيم حفلات عيد ميلاد ابني عادة في ماكدونالدز أو كي أف سي أو أي مطعم آخر على الطراز الغربي. ولكن هذا العام انتقل مكان الحفل فجأة إلى منزلي (على الرغم من أن الطاولات والكراسي التي نستخدمها تبدو كتلك التي في مطعم ماكدونالدز). كنت أنوي البقاء بعيداً، واختلاق عذرٍ ما لأعود بعد انتهاء الحفل. لكن بعد التفكير في الأمر ملياً لم أجد أي ملجأ مناسب. ففي السنوات الماضية، لم أزر أياً من زملائي أو أصدقائي في منازلهم، كما أنه ليس لدي الكثير من الأصدقاء. ففي هذه الأيام، إن كنت لا تستمتع بلعب الورق فمن الصعب أن تجد الكثير من الأصدقاء.

كان هناك أمر واحد يجثم على صدري خلال السنوات الثلاثين الماضية من دون أن أذكره لأحد؛ حتى لزوجتي.

ففي عيد ميلادي الخامس عشر خلال السنة الأخيرة من المدرسة الإعدادية، قدّمت تقريراً إلى فرع رابطة الشباب حول طموحاتنا نحن الشباب لنكون صالحين. كانت تلك تبدو فكرة جيدة بالكامل، لكنني وكما أذكر كنت غامضاً في جانبين على الأقل؛ وهما أن أمين سر الفرع في مدرستنا كان فتاة – جميلة للغاية – وقد قمت بتسليمها التقرير مباشرة... لا يبدو أن هناك أية مشكلة حتى الآن، أليس كذلك؟ لكنْ حصل خطأ ما في السطر الأخير من التقرير:

مع خالص تمنياتي! الإمساك بيدك بقوة!

حينها، قام المدرس المسؤول عن صفنا (وهو رجل في العقد الثالث من عمره) بقراءة التقرير أمام جميع الرفاق، وتحدّث عن الأمر بطريقة جعلته يبدو كما لو أن ما قمت به أمر فاحش وخطير. وبعد ذلك، أمرني بانتقاد نفسي أمام الجميع، ثم رفض كل انتقاداتي لكونها غير صادقة برأيه، وطلب مني الوقوف على طاولة بينغ بونغ إسمنتية وقراءة انتقادي لنفسي على مسامع تلامذة المدرسة المكونة من ثلاثة صفوف كلهم، ثم حذّرني من أنه في حال وجد أن «اعترافي بالجريمة» ليس جيداً بما فيه الكفاية فستقوم المدرسة بتسليمي للشرطة؛ الأمر الذي أخافني حتى الموت فبلّلت سروالي وأنا واقف على الطاولة (لا إرادياً)...

ومن وراء الباب، ارتفعت أصوات الضحك مجدداً.

يبدو أن حفلة عيد ميلاد ابني لم تبدأ بعد، حيث كانوا لا يزالون ينتظرون أحداً ما، ثم وصل الضيف المنتظر الذي بدا من صوته فتاة...

– آسفة... آسفة... لقد تأخرت كثيراً. لكن، لماذا انتظرتموني؟! انظروا كم تبدون سخفاء! لقد أشعرتموني بالذنب والإحراج والسوء.

– بدونك يا أمينة سر فرع رابطة الشباب من سيجرؤ على البدء بتناول الطعام؟ من سيملك الجرأة؟

– إن لم تأتِ حبيبة بينغ فان فمن سيجرؤ على البدء... آه... بطلة الفيلم دائماً آخر من يظهر! هههههه!

– ما الهدية التي أحضرتها لبينغ فان يا شياو تشينغ؟ اعترفي... لا يمكنك إخفاء الأمر عنا.

– أنا آخر من وصل، وبالتالي سأقبل العقوبة، وأعتذر من نجم هذه الحفلة. ولهذا السبب، سأعطيك يا بينغ فان هدية ذات قيمة.

– واو... واو... واو!

وصدح صوت الصراخ والضحك.

– أنت محظوظ يا بينغ فان، فلا شيء يضاهي هذه الهدية! أريد هدية كهذه في عيد ميلادي أيضاً.

– لا مشكلة... أعدك.

– هل أعطيت بينغ فان فقط هذه الهدية؟ أم هناك من حصل على هدية مماثلة منك؟ وكم هدية مماثلة تنوين تقديمها؟

– إنه سر، ولا يوجد ما أعترف به. لكن بما أنكم جميعاً متشوقون لمعرفة الإجابة، سأفصح عن جزء بسيط منه... بينغ فان ليس الأول، ولن يكون الأخير... أهذا يكفي؟

– ههههه! وووووو! واو!

وبدأ الجميع يمزحون ويضحكون ويتكلمون ويصفقّون ويصرخون في الوقت نفسه. ومن دون أن أنتبه إلى الوقت، أدركت فجأة أن الهدوء قد عمّ غرفة الجلوس، وكأن الشباب قد غادروا للرقص في مكان ما. الحمد لله! وأخيراً أصبحت حراً؛ كسجين يتم إطلاق سراحه.

وفي غرفة الجلوس، كانت زوجتي تنظف الطاولات والكراسي بسعادة، وتعلق قائلة إن الاحتفال في ماكدونالدز أفضل، لأنها حينها لن تضطر إلاّ إلى وضع القمامة في كيس كبير، ولن تقوم بالعمل المضني في المطبخ من طبخ وغسل وتنظيف...

مددت رأسي من غرفتي، وقلت لها: «هيه... سمعت أن فتاة قد أعطت ابننا هدية قيمة. هل رأيتها؟ ما هي؟ أتمنى ألا تكون باهظة الثمن، فهما ما زالا صغيرين...».

وحين سمعت زوجتي تساؤلاتي، ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها وقالت:

– تلك الفتاة هي أمينة سر فرع رابطة الشباب في صفهم. يا لها من فتاة جميلة! احزر ما هي الهدية التي قدّمتها لابننا؟

– ما هي؟

– أعرف أنك لن تستطيع التخمين، لذا سأخبرك.

وبينما كانت تتكلم، اقتربت مني وقبّلتني على خدي.

فدفعتها جانباً وقلت لها: «ما الهدية التي أعطتها لابننا؟ أتمنى ألا تكون باهظة الثمن...».

عندها، ظهرت تعابير الاستياء على وجهها وقالت: «أوه... كم أنت سخيف! لقد أخبرتك ولكنك ما زلت تسأل».

أريد أن أكون قدوة لك

ليو تشين

كان ذلك أكثر يوم في حياتها لا يمكنها أن تنساه. ففي ذلك الصباح، حين ذهبا لاستلام المساعدات الحكومية للعائلات الفقيرة كان الجو مشمساً. كانت العائلة بكاملها قد استيقظت باكراً. وبعد تناول الفطور، ارتدت هي وابنها أفضل ملابسهما ثم خرجا من المنزل بينما كان زوجها يوصيها مراراً وتكراراً: «انتبها على الطريق».

اتجها إلى مجلس الشؤون المدنية.

كانت غرفة الاجتماعات في مجلس الشؤون المدنية مكتظة بالكثير من الريفيين القادمين لتلقي المساعدات المخصصة للعائلات الفقيرة. كما كان هناك الكثير من الصحفيين الذين ينتظرون بحماسة لنقل الحدث.

اصطفت مع العديد من الناس، واستلمت النقود من مسؤولي الحكومة بينما كانت عدسات الكاميرات مركزة عليهم وأضواؤها تومض في وجوههم باستمرار. في تلك اللحظة، شعرت بوخزة لا يمكن تفسيرها، فأخفضت رأسها بلا وعي متمنية الهرب من الغرفة بسرعة. لكن بعض الصحفيين طلبوا منها أن ترفع النقود أمام وابل من أضواء الكاميرات التي أعمت بصرها.

فجأة، تذكرت مشهداً مماثلاً؛ حيث كانت محاطة بعدد لا يحصى من الكاميرات التي أعمت بصرها أيضاً، غير أنها في ذلك الحين كانت واقفة بكل فخر، وقد رفعت رأسها عالياً، وأضاءت ابتسامة مشرقة وجهها وهي تحمل الشهادة الحمراء المشرّفة لأنها العاملة النموذجية.

وحين لم يعد بإمكانها حبس دموعها، سحبت ابنها من يده، وخرجت من بوابة مجلس الشؤون المدنية وهي تشعر بمزيج من الخزي والأسى والحزن العميق على قدرها.

كانت قد بدأت بالعمل في سن الثامنة عشرة، وحين بلغت الثامنة والعشرين تم اعتبارها العاملة النموذجية، وفي سن الخامسة والثلاثين تم فصلها حين أفلس المصنع، فقامت هي وزوجها بافتتاح متجر صغير. لكن في أحد الأيام، بينما كانا ذاهبين لشراء البضاعة للمتجر، تعرّضا لحادث على الطريق، فأصبح زوجها مقعداً على كرسي متحرك، فيما كُسِرت إحدى ساقيها. وعلى الرغم من نجاتهما من الموت، إلا أن ظروفهما العائلية تدهورت بشكل كارثي بعد ذلك الحادث، وأصبحا يعتمدان على المساعدات الحكومية المخصصة للعائلات الفقيرة.

كانت المساعدة بقيمة ثلاثمئة وثمانين يوان شهرياً، وتوجّب عليها أن تحاول توزيعها على ثلاث وجبات لعائلتها يومياً، بالإضافة إلى دفع فواتير الماء والكهرباء والغاز، وشراء كتب ابنها المدرسية وأدوية زوجها الأساسية...

شعرت بالاختناق من قسوة الحياة. وفيما كانت تنظر إلى زوجها المقعد وابنها الذي لم يبلغ العاشرة من عمره بعد، شعرت بالرغبة في شراء سم فئران ومزجه مع الرز عند طهوه...

وحين فقدت كل آمالها، أخبرها أحد الموظفين في مجلس الحي أنهم أضافوا عائلتها إلى قائمة المجموعة الأولى من العائلات منخفضة الدخل لتلقي مساعدات إضافية. ومنذ ذلك الشهر فصاعداً ستتلقى عائلتها ثلاثمئة يوان بالإضافة إلى المبلغ الذي كانوا يحصلون عليه سابقاً.

في طريقهما إلى المنزل مسحت دموعها بصمت، بينما شد ابنها ذراعها وسألها متجهماً: «أصبحنا نملك نقوداً الآن يا ماما... فهل ستطهين لي اللحم؟».

عندها، نظرت إلى وجه ابنها الجميل وشعرت بالأسى. فعلى الرغم من محاولاتها الجاهدة لادخار بعض المال لشراء اللحم له كل أسبوع، إلا أن الطفل لا يزال بحاجة إلى المزيد من الغذاء. فقطعة اللحم الصغيرة التي تشتريها له لا تكفيه.

قادت ابنها نحو سوق الطعام وهي تحسب في ذهنها الطريقة الفضلى لصرف مبلغ ثلاثمئة يوان الموجود في جيبها. وقفت عند الجزّار، وأشارت إلى أرخص قطعة لحم قائلة: «أعطني أوقية من ذلك اللحم».

فتوسل إليها ابنها ببؤس: «هذا قليل للغاية يا ماما».

فاصطكّت أسنانها ثم قالت: «حسناً، أعطني أوقية ونصف الأوقية».

وأخفضت رأسها لمواساة ابنها: «سأشتري لك بعض البطاطا لأطبخها مع اللحم، وسأضيف إليها الثوم الأخضر المفروم ليصبح الطبق شهياً».

حملت قطعة اللحم وعادا إلى المنزل، لكن ابنها لم يكن راضياً، وقال لها منزعجاً: «لقد اشتريت قطعة صغيرة... لماذا لم تشتري قطعة كبيرة لنطبخ قدراً كبيرة من اللحم ونستمتع بوجبة شهية؟!».

فابتسمت له مجيبة: «إن أنفقنا كل نقودنا هذا الشهر فماذا سنأكل في الشهر القادم؟».

عندها، رفع ابنها رأسه متسائلاً: «ألن نحصل على المال في الشهر القادم أيضاً؟ إن أنفقنا أموالنا هذا الشهر فستحصلين على المزيد من المال في الشهر القادم».

تفاجأت لدى سماعها ملاحظة ابنها، وشعرت بانقباض في قلبها فجأة، ولم تستطع أن تنبس بحرف. فهي لم تكن تتخيل أن ابنها سيفكر بهذه الطريقة؛ فبسبب الصعوبات المتزايدة أصبح بإمكانها عدم العمل بجد وأن تظل مرتاحة ومعتمدة على مساعدة الآخرين! هل سيظل ابنها طيلة حياته معتمداً على المساعدات والعمل منخفض الدخل!؟

لم يغمض لها جفن تلك الليلة، وظلت ترى النقود الجديدة على الطاولة، بينما راحت عبارة ابنها تطن في أذنها مراراً وتكراراً، فقالت لنفسها: «يمكنني أن أعمل، ولديّ القدرة على القيام بذلك. فكل المكافآت والشهادات التي حصلت عليها سابقاً نتجت عن عملي الجاد، فلماذا لم أعد أعمل بجد؟ ألأن ساقي عرجاء؟ ما زالت لدي يدان سليمتان وسأستخدمهما لإطعام عائلتي وتربية ابني! لا يمكنني ترك ابني يعيش حياته معتمداً على المساعدات...».

بعد أسبوع، فتحت كشكاً صغيراً لبيع الزلابية والحساء في ركن في سوق الطعام. ولم يكن طعامها شهياً فحسب، وإنما كان طازجاً ونظيفاً أيضاً. وبعد عام، افتتحت مطعماً صغيراً لتناول الفطور يتسع لثلاث طاولات صغيرة. حيث كانت تنهض عند الساعة الثانية من بعد منتصف الليل لتبدأ العمل، وكان الناس الذاهبون إلى أعمالهم باكراً يقصدون مطعمها لتناول الفطور على مدار العام.

وبعد ثلاث سنوات، امتلكت مطعماً يتّسع لسبع طاولات.

ثمّ بعد بضع سنوات، افتتحت مطعمها الكبير في شارع تجاري مزدهر، حيث كان بالإمكان إقامة جميع أنواع المآدب في قاعته الكبيرة.

واليوم، صارت تنضمّ إلى أعضاء مجلس الحي لزيارة العائلات منخفضة الدخل، ولتقديم الطعام والمال في المهرجانات والعطلات. وبالإضافة إلى تحيتها الدافئة للجموع، كانت تضيف العبارة التالية: «لدي فرص عمل في مطعمي... فهل أنتم مهتمون بذلك؟».

وبالطبع، ترعرع ابنها وأصبح شاباً سليم الجسد ومفعماً بالنشاط كالآخرين في مثل سنه. لكنّ الفرق الوحيد بينه وبينهم هو أنه يعمل في مطعم أمه في كل عطلات الصيف والشتاء منذ أن دخل المدرسة الثانوية، وصار يقوم بالعمل نفسه كالموظفين الآخرين في مطعمها، ويتقاضى الأجر نفسه.

ولم ينسَ قطّ ما حدث حين كان في العاشرة من عمره. ولا يرجع ذلك إلى ذاكرته القوية، وإنما لأن أمه ظلت تخبره بما حصل في ذلك اليوم وبما قاله لها. وبعد تذكيره بذلك اليوم كانت تضيف في كل مرة: «لا أريدك أن تكبر وتصبح شخصاً يعيش حياته معتمداً على إحسان الآخرين. ولهذا يا بني أريد أن أكون قدوة لك».

وذات مرة قال لها: «أكثر ما أتذكره في الواقع هو شيء آخر. فبعد أن ذهبتِ لبيع الزلابية والحساء لأول مرة، عدتِ إلى المنزل في وقت متأخر، ولكنك أتيت إليّ ما إن دخلت المنزل قبل أن تغسلي يديك حتى، ووضعت أمامي ورقة نقدية من فئة خمسة يوان وقلت لي بشكل جدي: لقد جنت ماما بعض المال يا بني... لقد كسبتُ هذه النقود من كدّ جبيني وليس من المساعدات التي يعطينا إياها الناس...».

وهكذا، حين يتذكّر الشاب الذي يبلغ طوله 1.8 متر هذا الأمر تحمرّ عيناه فوراً، وتتلألأ فيهما الدموع.

28 يوليو 1976

يوان بينغ فا

ما إن دخلت المنزل بعد العودة من العمل حتى قالت لي زوجتي غاضبة: «كيف استطعت فعل ذلك؟! أتقيم علاقة غرامية من وراء ظهري؟ مع حبيبتك يان من تانغ شان!».

تفاجأت بالكامل من هجومها المفاجئ، فابتسمت لها مجيباً: «لا تسخري مني، فأنا لا أملك الجرأة للقيام بذلك. وإن كنت تذكرين، حين كنا نتواعد أنت التي قمت بالخطوة الأولى».

لكن زوجتي كانت جادة تماماً، وصاحت قائلة: «لا تتظاهر بالبراءة... ليست لديك الجرأة! الشهوة تمنح الرجل جرأة كبيرة!».

وحين رأيت مدى انزعاجها، أدركت أنّ هناك مشكلة فعلاً فسألتها بسرعة: «ما الذي حصل؟».

عندها، رمتني زوجتي بورقة، ففتحتها على الفور وقرأت ما كُتِب فيها. وقد جاء فيها ما يلي:

«عزيزي،

لا بد أن القدر هو الذي جعلنا نلتقي وسط رحلتينا الوحيدتين، لكنك أنت من خلّصني من وحدتي وأظهر لي حلاوة ودفئاً لا ينتهيان ولا يمكن نسيانهما. لذا، إن كنت لا تزال راغباً في التواصل معي، فاكتب لي على العنوان التالي:

201–1 البناء رقم 2، الطريق رقم 4، منطقة نان كاي في مدينة تانغ شان، مقاطعة هيبي.

مع خالص حبي

يان»

عندما قرأت تلك الكلمات وجدتها مضحكة ومزعجة في الوقت نفسه فسألت زوجتي: «من أي سلة قمامة أخرجت هذه الورقة؟».

– ما كنت لأستجوبك لو وجدتها في القمامة، لكنني وجدتها في كتابك.

– كتابي! أي كتاب؟

– الكتاب الذي يحمل العنوان «علاقات خارج الزواج» للكاتب لي من تايوان.

– هذا غير ممكن.

– بالطبع، هذا غير ممكن، ولم أتوقعه من زوجي المحب والصادق، ولكنه حصل! لكن، كيف ستفسر لي الأمر؟

– لا يمكنني تفسيره. لكن على الرغم من عدم قدرتي على تفسير ما كُتِب في هذه الورقة، إلا أنه يمكنني أن أقسم لك وأؤكد أنه إن كانت لدي حبيبة سرية فأنا إذاً لست رجلاً، وإنما مجرد كلب أو دجاجة أو بطة أو حصان أو ثور أو كومة من النفايات أو أي شيء تافه آخر!

عندها، لم تستطع زوجتي منع الابتسامة من الارتسام على وجهها، لكن ابتسامتها بدت لي باردة وهي تقول: «لا يهمني ما أنت عليه، ولكنني أريد معرفة من تكون يان من تانغ شان».

فما كان مني إلا أن التزمت الصمت، غير أنها أعلنت بتصميم: «سأذهب إلى تانغ شان غداً، وسأقصد ذلك العنوان للبحث عن تلك المرأة التي تدعى يان».

ظننت أنها تبالغ، فلم أعر كلامها أي اهتمام.

وفي اليوم التالي، توجّهت إلى العمل كالمعتاد. وحين عدت إلى المنزل لتناول الغداء، وجدت رسالة تركتها لي زوجتي على مكتبي تخبرني فيها أنها غادرت إلى تانغ شان للبحث عن تلك المرأة المدعوة يان.

عندها شعرت بالغضب، وقلقت لدى رؤيتي تلك الرسالة... يا للنساء! يا للنساء!

لكن، عندما فكّرت في الأمر ملياً أدركت أن رحلة زوجتي قد تكون أمراً حسناً. فحين ستتعقب تلك المرأة المدعوة يان والمقيمة في تانغ شان ستتلاشى شكوكها تجاهي بالتأكيد... أليس

كذلك؟

إلا أنني لم أتخيل أنني في الصباح التالي لمغادرة زوجتي إلى تانغ شان سأُصدَم بخبر سمعته في نشرة الأخبار وجاء فيه:

«عند الساعة 3:40 من بعد منتصف الليل، ضرب زلزال قوي منطقة تانغ شان في مقاطعة هيبي الشرقية. وبلغت قوة الزلزال 7.8 درجات على مقياس ريختر، أي أنه ما يعادل قوة أربعمئة قنبلة نووية سقطت على هيروشيما وانفجرت تحت سطح الأرض بعمق ستة عشر كيلومتراً».

عندها، تصبّب مني عرق بارد، وأدركت على الفور أن زوجتي الجميلة والحبيبة ربما لقيت حتفها بسبب الزلزال؛ لأنها وفقاً لخطتها كان من المفترض أن تكون في تانغ شان في تلك الليلة.

وعلى الفور، أدرت وجهي باتجاه تانغ شان، وذرفت دموع الأسى؛ رغم أنني نادراً ما كنت أبكي.

وبعد ذلك حصلت على إجازة من عملي، واستعددت للتوجه إلى تانغ شان. وعندها، لاحظت أن عينَي زميلي شياو زانغ محمرتان، وبدا لي كما لو أنه يبكي هو أيضاً فسألته: «أتبكي؟».

عندها، هز رأسه قائلاً: «هناك فتاة أحبها تقيم في تلك المدينة حيث ضرب الزلزال».

– هل تدعى يان؟

– نعم! هل...

– هل كتبت لك رسالة؟

– نعم!

– تباً! كيف وصلت تلك الرسالة إلى كتابي؟

– أوه يا إلهي! لقد استعرت كتابك يوماً.

حينها اتضحت لي حقيقة ما حصل، فأمسكت بخناق شياو زانغ وصرخت في وجهه: «أيها الكلب، أعد لي زوجتي!».

...

لم تعد زوجتي ووفقاً للتقرير الذي وضعته الحكومة، فقد أضحت زوجتي واحدة من أصل 242,769 ضحية لقوا حتفهم في زلزال تانغ شان.

لقد توفيت في 28 يوليو 1976.

شراء كعك مبخر عبر الإنترنت

وويي ليانغ مين

عند حوالي الساعة السادسة مساء، طلبت مني زوجتي الذهاب لشراء الكعك المبخر بقيمة يوان واحد. ولكنني حينها كنت مشغولاً بالعمل على جهاز الكمبيوتر، فسألتها إن كانت ترغب في تجربة الشراء عبر الإنترنت. ولأنها من محبّي الإنترنت، جلست إلى جانبي أمام شاشة الكمبيوتر بسعادة، لنبدأ بالتسوق عبر الإنترنت.

في البداية، حدّدت موقعاً إلكترونياً يدعى «كعك مبخر بدون سبب» متخصص ببيع الكعك المبخر، واسمه الصيني يمكن تفسيره ببساطة بما يلي: «المرء ليس بحاجة إلى سبب ليحب الكعك المبخر».

وبما أنه يجدر بك قبل شراء الأشياء عبر الإنترنت التسجيل لتصبح عضواً في الموقع، جعلت اسمي «خاطف الكعك بست أصابع»، ثم اخترت كلمة سر، وأدخلت عنوان بريدي الإلكتروني واسمي الحقيقي ورقم بطاقتي الشخصية وعنوان المنزل ورمز المنطقة ورقم الهاتف ليتم التسجيل بنجاح.

أشارت زوجتي إلى شاشة الكمبيوتر لتذكرني بضرورة ألا أشعر بالحماسة الزائدة، فنظرت إلى صفحة الموقع الإلكتروني، ووجدت أنه لا يمكنني تفعيل حسابي إلا برقم سيتم إرساله إلى هاتفي المحمول. وحين رنّ هاتفي، ظهر الرقم مع رسالة جاء فيها:

«أهلاً بالعضو الجديد بيننا في نادي الكعك المبخر بدون سبب. الرجاء استخدام الرقم 1818918 لتفعيل حسابك. منذ الآن فصاعداً يمكنك الاستمتاع بخدمة الرسائل القصيرة الخاصة بموقعنا بقيمة 10 يوان شهرياً».

عندها، بدأت زوجتي تتذمر قائلة إننا وقبل أن نشم رائحة الكعك المبخر فقدنا من المال ما يكفي لشراء خمسين كعكة مبخرة، فواسيتها بالقول: «على الرغم من أن عملية التسجيل تبدو رتيبة، والسعر يبدو باهظاً قليلاً، إلا أننا منذ الآن فصاعداً سنستمتع بالراحة؛ فالاستفادة من التطور ليس مجانياً».

قمت بتفعيل الحساب باستعمال الرقم الذي تم إرساله إلى هاتفي المحمول، فظهرت صورة كعك مبخر شهي أمامنا على الشاشة.

تضمنت القائمة مجموعة متنوعة من الكعك المبخر واللفائف المبخرة وغيرها من الأطعمة، فضغطت على صنف «الكعك المبخر»، وعلى الفور ظهرت أمامي قائمة فرعية، حيث طلب مني الاختيار بين «الطراز الأمريكي» أو «الطراز الأوروبي» أو «الطراز الصيني».

فاخترت «الطراز الصيني».

ثم طلب مني الاختيار بين «آلية الصنع» و«يدوية الصنع» فقمت بالاختيار.

وبعد ذلك، طلب مني الاختيار بين «مستديرة» و«مربعة» فاخترت.

وهكذا، بدأت معدتانا تقرقران بصوت مرتفع.

ثم طلب مني الاختيار بين «يوان واحد لأربع كعكات» أو «يوان واحد لخمس كعكات» فاخترت.

وأخيراً، ظهرت صفحة جديدة قيل فيها:

«تهانينا! أصبحت كعكاتك في سلة التسوق».

اضغط هنا للاختيار بين «البريد الجوي» و«التسليم العادي». وبما أنني لا أريد تناول كعك مبخر قديم، ضغطت على أيقونة الخيار الثاني، فظهر أمامي سطر على الشاشة:

«تكلفة البريد الجوي 50 يوان، أي أن التكلفة الإجمالية 51 يوان... الرجاء التأكيد».

فضغطت على زر التأكيد لتقترب الكعكات خطوة أخرى من فمي. فعلى الرغم من أنها باهظة الثمن إلا أنه علينا دفع مثل هذا السعر كي يصل كل شيء إلينا ونحن في البيت... أليس كذلك؟

ظهر سطر آخر على الشاشة:

«الرجاء اختيار طريقة الدفع».

فاخترت الدفع من خلال حسابي المصرفي، وظهرت لي رسالة فورية:

«الرجاء إدخال رقم بطاقتك المصرفية وكلمة السر».

عندها، حذّرتني زوجتي من ذكر معلومات شخصية في المواقع الافتراضية، فقلت لها إن الطريقة الأخرى هي النزول إلى المصرف لإتمام الدفع، فاختارت زوجتي الخيار الثاني. وبينما كنت أنزل الدرج متجهاً إلى المصرف، توقفت في مكاني ثم صعدت مجدداً وقلت لها: «نحن في منتصف الليل... دعينا نتناول المهلبية بالأرز».

ثلج كثيف

غو شوي رونغ

ما إن حل موسم هطول الثلج الخفيف حتى بدأت العائلات في قرية وانغ جيا بتحضير اللحم المملح؛ حيث كانت كل عائلة تقوم بتمليح ما لا يقل عن فخذ ورأس وحوالي عشرة كيلوغرامات من الأضلاع، في حين تضيف العائلات الميسورة بعض سمك الرنكة أيضاً. أمّا العائلات التي لا تقوم بتحضير اللحم المملح فهي العائلات الفقيرة. وبعد تمليح اللحم ونقعه في وعاء كبير لحوالي خمسة عشر يوماً، كان القرويون يعلقون لحمهم في الهواء ليجفّ، وليظهروا المكانة الاقتصادية لكل عائلة؛ حيث يظهر الفخر أو الإحراج على وجوههم. والجميع في قرية وانغ جيا يهتمون بهذا الطقس السنوي.

كان وعاء عائلة وانغ شياو لين كبيراً للغاية، ولكنه لم يكن يحتوي في ذلك الحين إلاّ على رأس وضلعين في أسفل الوعاء. والمحرج أكثر في هذا الأمر هو أن هذه الأجزاء الضئيلة قد أرسلها والد وانغ شياو لين الذي يعمل في مصنع للبلاستيك في مدينة تياندي، ويكسب أجراً شهرياً. عندها، بدأ وانغ شياو لين يفكّر في كيفية تمكنه من مواجهة عائلته والقرية بكاملها من دون أن يحضر إلى المنزل فخذاً على الأقل؟!

في الواقع، كان وانغ شياو لين قد اشترى فخذاً كبيرة تزن حوالي عشرة كيلوغرامات، لكن تلك الفخذ الشهية تم إرسالها إلى منزل مدير المصنع قبل ظهر اليوم نفسه. فأي مغفل هو ذاك الذي لا يرسل إلى مديره شيئاً في العطلات والمناسبات الخاصة!؟ فإن لم يساعدك ذلك الأمر في الحصول على ترقية، فعلى الأقل سيؤمّن لك الحصول على راحة البال بالتأكيد.

وفي ذلك اليوم، لم يستطع وانغ شياو لين جمع المبلغ اللازم لشراء فخذ لعائلته، والتي يتراوح ثمنها ما بين مئة ومئة وخمسين يوان. ولكن في اليوم التالي، أحضر كل من وانغ شياو لين وأبوه فخذاً إلى البيت، ففرحت والدة شياو لين كثيراً، ولكنها سرعان ما تضايقت حين أدركت أنهما اشتريا الشيء نفسه، وطلبت منهما إخبار بعضهما بما ينويان شراءه مستقبلاً. عندها، قال الأب إنه ظن أن وانغ شياو لين لن يشتري شيئاً وقرر عدم الاعتماد على ابنه. كما أخبر وانغ شياو لين والديه أنه لم يشترِ الفخذ، وإنما أهداه إياها متدرّب في المصنع أصرّ على حصوله عليها.

عندها، قامت الأم بتمليح الفخذين الأحمرين ونقعهما، ثم علّقتهما تحت خميلة وانغ شياو لين. وحين مرّ القرويون بالمكان، لم يستطيعوا كبت إعجابهم، وسألوها عن السبب الذي دفع العائلة إلى شراء فخذين. عندها، أخفضت والدة شياو لين صوتها، وهمست بفخر قائلة إن الفخذ الثانية هدية من متدرب لدى وانغ شياو لين. ومع مرور الوقت، نضجت الفخذ المملحة، ووصل خبر الهدية التي حصل عليها وانغ شياو لين إلى مسامع الجميع. بعد ذلك، حين كان وانغ شياو لين يعود من عمله كان يحسّ بالعيون كلّها مسمرة على ظهره.

وفي السنة التالية، حين بدأ القرويون بتحضير زلابية الأرز لمهرجان قارب التنين، كانوا جميعاً ما زالوا يتحدثون عن عائلة وانغ شياو لين قائلين إنها قد استخدمت الفخذ المملحة لتحضير الزلابية؛ لأن الهدية التي أرسلها المتدرب لدى وانغ شياو لين لم تنتهِ بعد.

وهكذا، مضى الخريف وجاء الربيع، ثم عاد موسم الثلج الخفيف مجدداً. وحين زار وانغ شياو لين مدير مصنعه في منزله مجدداً وأخذ معه فخذاً كهدية، التقى هناك لي شياو غانغ الذي يعمل في ورشة ضغط القوالب في مصنعهم. ونظراً إلى أنهما صديقان مقربان فقد خرجا من منزل المدير معاً، وذهبا لاحتساء الشراب في مقهى صغير يقع غرب جسر تياندي ليُفصحا عن مكنونات صدريهما. وحين أصبحا ثملين، توصلا إلى اتفاقية ذكية. ففي موسم الثلج الخفيف التالي سيقوم كل منهما بشراء هدية، وسيتبادلان الهديتين عند جسر تياندي، ثم سيذهب كل منهما إلى قرية الآخر لتقديم الهدية إليه؛ الأمر الذي سيفرح قلوب ذويهما وسيشعرهم بالسعادة والفخر والرضى وسط نظرات الإعجاب من جيرانهم، كما سيشعرهما هما أيضاً بأنهما شخصان مميزان في قريتيهما.

كانت قرية وانغ شياو لين تقع غرب مدينة تياندي، في حين تقع قرية لي شياو غانغ في الشرق؛ ما يعني أن المسافة بين القريتين ذهاباً وإياباً كانت تقارب عشرة إلى خمسة عشر كيلومتراً. وحين قاد وانغ شياو لين دراجته إلى قرية لي شياو سأل كل من مرّ به في الطريق عن موقع منزل السيد لي، حيث كان يشرح للجميع أنه يقصد «السيد لي شياو غانغ الذي يعمل في مصنع

البلاستيك في مدينة تياندي». أرشد القرويون وانغ شياو لين إلى كوخ متواضع، ولم يدرك والدا لي شياو غانغ أنهما حصلا على هدية حتى كرر كلامه عدة مرات، فشعرا بالحماسة والخجل، وانشغلا بطهي أفضل طعام للضيف... ونظراً إلى كونه غير مضطر إلى أن يكون مؤدباً، تناول وانغ شياو لين ملء وعاء كبير من الطعام مع خمس بيضات. وحين رأى الجيران الفضوليين حوله، بدأ يتخيل بسعادة ما يحصل في منزله في تلك اللحظة، كما تخيّل الحماسة العظيمة التي ستبدو على وجهَي والديه. لكن، بالطبع سيكون والداه أكثر خبرة، ولن يُظهرا حماستهما الشديدة كوالدي لي شياو غانغ. غير أنهما بالطبع – وبما أنهما غير مستعدين لهذه المفاجأة – سيتوتران حين ينالان تلك الهدية باهظة الثمن.

وحين عاد وانغ شياو لين إلى منزله، اندفعت والدته لتخبره بما حصل.

«لقد زارنا اليوم لي شياو غانغ الذي يعمل في مصنعك. وقد جاء على متن دراجته لإهدائنا سمكة رنكة كبيرة موضوعة في كيس. لا أدري لماذا لم توضع السمكة في كيس سميك بما فيه الكفاية! فقد ثُقِب الكيس، ووقعت السمكة في الطريق، ولم يدرك لي شياو غانغ ذلك حتى وصل إلى بابنا؛ الأمر الذي أصابه بالإحراج والإحباط، وراح يعتذر منا مراراً وتكراراً. يا له من شاب مثير للشفقة! لقد بذلنا قصارى جهدنا لمواساته، وأخبرناه أنه مؤدب للغاية لتقديمه مثل هذه الهدية، وشكرناه على نواياه الطيبة. ولكن حين تراه غداً في المصنع عليك أن تشكره مجدداً».

عندها، تسمّر وانغ شياو لين في مكانه غاضباً، ثم راح يشتم لي شياو غانغ قائلاً: «تباً له! إنه غبي ولا يمكنه فعل شيء على أتم وجه! في السنة القادمة سأفصله!».

الفرس ذات العرف الأحمر

شين بينغ

ذات يوم، اختفت الفرس ذات العرف الأحمر، ومرّت عدة ساعات قبل أن تعود إلى الإسطبل. وحين عادت، كان العرق يتصبب منها كما لو أنها خرجت من الماء للتو.

وفي اليوم التالي، غابت الفرس ذات العرف الأحمر عن المنزل مجدداً، ولم تظهر طوال الليل. لذا، ما إن طلع الصباح حتى خرج الراعي للبحث عنها، فرآها واقفة في أعلى تلة وهي تصهل وتنظر إلى الشمس المشرقة. عندها، ركض الراعي إليها، ووجدها مبتلة كلّياً للمرة الثانية، فسحبها عائداً إلى القطيع، وضربها بالسوط. لكن عند الغروب، مزقت الفرس لجامها وهربت مجدداً تاركة القطيع، ما أجبر الراعي على اللحاق بها للتحقق مما إذا كان هناك خطب ما.

حين تركت الفرس ذات العرف الأحمر القطيع وركضت وحيدة نحو التلة وراء المرعى المعشب، كانت الشمس تهبط في الأفق الغربي، فبدا جسدها تحت أشعة الشمس الحمراء وقت الغروب لامعاً كلفافة من القصب المتلألئ، فيما بدا عرفها الأحمر الطويل الذي يغطي رقبتها الجميلة وهي تقفز نحو الأعلى وتنزل نحو الأسفل كألسنة اللهب المشتعلة.

تبع الراعي الفرس وتعقّبها من بعيد على صهوة حصانه. وما إن ظهر رأسها على التلة حتى أوقف حصانه، إذ جعله المشهد الذي ظهر أمام عينيه يتجمد في مكانه مصدوماً.

فقد كان هناك ذئبان!

أحاط الذئبان بالفرس من الجانبين، وبدآ يدوران حولها بانتظار الفرصة المناسبة للهجوم، لكن الفرس الشجاعة راحت تضرب الأرض بحوافرها، واستمرت بتغيير وقفتها لتجنب كل محاولة

يقوم بها أي من الذئبين، وفيما كانت تمد عنقها نحو الأعلى راح عرفها الطويل الأحمر يتحرّك، فبدا كراية تخفق وسط معركة.

فجأة، تغيّر المشهد، حيث قفز أحد الذئبين وانقضّ على عنقها من أحد الجانبين، فيما قفز الآخر وانقضّ على بطنها من الجانب الآخر. لكن الفرس الهادئة والثابتة انحرفت جانباً ملوحة بعرفها الطويل، فرمت الذئب الأول على الأرض وجعلته يتدحرج على الرمال، ثم ركلت بقائمتيها الخلفيتين فطار الذئب الثاني على ارتفاع عدة أمتار.

تدحرج الذئبان على الأرض، غير أنهما لم يستسلما وشنا هجوماً آخر. أما الراعي فأدار حصانه وهرب مسرعاً وهو يدعو في سرّه لكي تتمكن فرسه من النجاة من الهجوم.

وبعد مرور وقت، عادت الفرس إلى قطيعها سليمة، وبدت فخورة بنفسها كما لو أنها جنرال منتصر. وراحت تمرح وسط القطيع، وتلعب مع بقية الخيول وكأنها تتباهى بانتصارها وتمكّنِها من حماية القطيع.

لكنّ الراعي سارع إلى ربطها بحبل، وضربها بالسوط وهو يوبخها قائلاً: «أتتباهين أيتها الوغدة؟! أتتحدين الموت؟».

وبعد العقاب القاسي، قام بإطعامها بعض التبن.

وفي اليوم التالي، حبس الراعي الفرس في زريبة لمنعها من الهرب. ومع هبوط الغسق، بدأ عواء الذئاب يتردد في الأفق، وبدأت الفرس تضطرب، وراحت تصهل وهي تضرب معلفها بجنون. وفي ذلك الحين، كان الراعي في منزله يتناول الشراب، فأزعجه صوتها، واندفع إلى الزريبة آخذاً سوطه معه وهو على استعداد لتأديبها مجدداً. لكن الفرس تراجعت إلى الوراء وركلت بقوة، فلم يستطع صاحبها الاقتراب منها. وفي النهاية، تمكن الراعي من ضربها بالسوط ضربتين من الطرف الآخر، غير أنّها لوّحت بعرفها وقفزت عالياً، فانقلب الراعي على ظهره.

عندها، قال الراعي منزعجاً: «آه... إنه عرفك! إذاً، عرفك هو الذي يجعلك مغرورة إلى هذه الدرجة!».

وسرعان ما نهض غاضباً، وركض إلى المنزل، ثم عاد أدراجه حاملاً مقصاً حاداً، وقفز على المعلف وقص عرف الفرس الطويل ثم قال لها: «لنرَ الآن إن كنتِ ما زلت راغبة في الخروج والتعرّض للمشاكل مجدداً!».

وطوال تلك الليلة، لم يتوقف عواء الذئاب وصهيل الخيول. غير أن الراعي لم يجرؤ على الخروج من منزله لرؤية ما يحصل، ولكنه كان واثقاً من أن الفرس لن تهرب مجدداً، لأنها بحسب رأيه لم تعد تجرؤ على القيام بذلك بعد أن فقدت عرفها الطويل. وما إن بزغ الفجر حتى خرج الراعي من بيته، فهاله المشهد الذي رآه؛ إذ كانت الزريبة فارغة بعد أن مزقت الفرس لجامها بأسنانها وهربت.

خرج الراعي للبحث عن فرسه مجدداً، وتوجّه فوراً إلى التلة على أمل أن يجدها هناك. وفيما كان حصانه يصعد التلة، كان يتوقع أن يرى فرسه تقاتل الذئبين بشجاعة، ولكنه لم يجد سوى الدم على العشب. عندها، صرخ الراعي حين أدرك حقيقة ما حصل، وبدأ يرتجف من أعلى رأسه وحتّى أخمص قدميه.

ومن بعيد، تعالى عواء الذئاب بفخر.

زوجة أخي السابع كانت جارتي

هوانغ وين

لا أذكر أخي السابع إطلاقاً، فقد كنت طفلاً حين توفّي. وكل ما أعرفه عنه هو بعض الملاحظات التي سمعتها ممن هم أكبر مني سناً. فقد قيل لي إنه كان رجلاً مقتدراً، ولكن حياته انتهت سريعاً؛ إذ توفّي حين كنت في الثانية من عمري، تاركاً وراءه زوجة جميلة. شعرت بالأسف حيال المرأة الشابة سيئة الحظ التي كان الأقارب يحاولون إيجاد زوج جديد لها، ولكنها رفضت كل تلك العروض قائلة: «لن أخون زوجي المتوفّى؛ فعليّ تربية طفلينا مهما كانت الظروف».

وفي تلك السنوات كان الطعام قليلاً، ما جعل زوجة أخي السابع تعاني كثيراً لدى محاولتها تأمين الطعام لطفليها الصغيرين بمفردها؛ اعتماداً على دخلها المتدني من العمل في الوحدة الإدارية. وهكذا، بدأت النضارة تتلاشى من وجهها الجميل، وغالباً ما كان صراخ طفليها يتعالى بسبب الجوع.

وفي أحد الأيام، رأى أحدهم زوجة أخي السابع وهي تسرق ذرة حلوة من الحقل الجماعي، فتم عقد اجتماع في القرية لإدانتها، ثم فُرِضت عليها عقوبة لثلاثة أيام، حيث قام بعض القرويين عديمو الرحمة بتعليق حبل تتدلى منه الأحذية المهترئة حول عنقها لإذلالها بشكل علني. وفي اليوم الرابع لم تستطع النهوض من السرير، وظل طفلاها الصغيران يبكيان بمرارة بجانب سريرها، فطهت أمي قدراً من المهلبية وأخذته إليها، وبذلت قصارى جهدها للتخفيف عنها. لكن زوجة أخي السابع ظلت صامتة وعيناها تنظران ببلاهة. شعرت أمي بالصدمة حين رأت أنها غير قادرة على البكاء، فذكرت لها أخي السابع وطفليهما المسكينين. عندها، تنهّدت وقالت لأمي: «اذهبي يا خالتي إلى منزلك... سأكون على ما يرام».

وبعد أن نهضت من السرير، استمرت زوجة أخي بالسرقة سراً أو علانية. كما سرقت أي نوع من الطعام كانت تجده، سواء أكان الملفوف أو اللفت أو القمح أو الذرة. وحين كان الناس يرونها أثناء السرقة ما كانوا يقولون لها شيئاً؛ إذ كانوا يعرفون كم يصعب على أرملة شابة أن تطعم طفلين بمفردها. لذا، كانوا يغضون الطرف عما يرونه.

وهكذا، أصبحت «اليدان الطويلتان» لزوجة أخي السابع سراً معروفاً في قريتنا؛ إذ كانت تمسك بأي شيء تصل إليه يداها وتخبئه في جيوبها أو تحت إبطها؛ سواء أكان ملكية عامة أو خاصة، وفي أي وقت وأي مكان.

وقبل بضع سنوات، عندما تزوجت أختي، طلبت عائلتنا من نجار يدعى شياو زاو من مقاطعة جيانغ سو صنع الأثاث للعروس. وحين زارت زوجة أخي السابع أمي للحديث معها، سرقت بيضة من قن الدجاج أثناء خروجها. وصادف أن رآها شياو زاو وهي تسرق البيضة، فأخبر أمي بذلك عند الغداء. عندها، ابتسمت أمي وقالت له: «لا تهتمّ... فهي هكذا».

وبعد أن تحسّنت حياة الناس وكبر ابناها وتزوّج ابنها شياو زو، تحسّنت ظروف زوجة أخي السابع المعيشية عما كانت عليه من قبل، ولكنها لم تستطع الإقلاع عن عادتها السيئة تلك؛ ما جعل شياو زو وزوجته يتشاجران معها دائماً بسبب السرقة، ولكن من دون أن يستطيع أحد تقويم سلوكها. ولحسن الحظ، لم تكن زوجة أخي السابع بخيلة؛ فلدى ذهابي للّعب في منزلها حين كنت طفلاً كانت تقدّم لي المكسرات والحلوى. كما أن علاقاتها مع جيرانها جيدة؛ إذ كانت تمدّ لهم يد العون في الخياطة والترقيع، فأحبها جميع من في القرية.

لكنها لم تستمتع بحياة الرخاء إلا لبضعة أيام؛ فقد مرضت وازداد وضعها سوءاً شيئاً فشيئاً حتى دخلت في غيبوبة. عندها، طلب ابنها شياو زو من الطبيب أن يعالجها في المنزل. وبعد أن فحصها الطبيب، طلب من شياو زو شراء بعض الأدوية من الصيدلية في المدينة. وهكذا، لم يستطع شياو زو العودة إلى المنزل مع الدواء حتى حلّ منتصف الليل. وبينما كان الطبيب يستعد لإعطاء زوجة أخي السابع حقنة في الوريد، لاحظ أن عبوة الدواء الضرورية لعلاجها مفقودة. عندها، قال شياو زو إنه متأكد من أنه وضع العبوة في الكيس، وتساءل عن كيفية اختفائها. ولكن، بما أنه لم يكن لديه أي بديل آخر، اندفع شياو زو قاصداً المدينة لشراء عبوة دواء أخرى. لكنّ زوجة أخي السابع لفظت أنفاسها الأخيرة قبل عودة شياو زو إلى المنزل. عندها، بدأ شياو زو يوبّخ نفسه، حتى إنه قام بصفع وجهه، فيما حاول الجميع التخفيف عنه ومواساته، وبدأوا بالترتيب لجنازة أمه.

وحين رفعت خالتي الثانية الغطاء عن زوجة أخي السابع لتساعد في تغيير ملابسها، رأت يدَ زوجة أخي السابع تقبض بقوة على عبوة دواء تبيّن في ما بعد أنها عبوة الدواء المفقودة. عندها، تنهد الجميع متأسّفين، وقالت أمي بحزن: «عادتها السيئة تلك كانت السبب في موتها!».

تصليح الأعضاء

زو هونغ

لو لم أكن مشغولاً في المنزل لذهبت إلى مكتبي أيام الأحد لأفتح النوافذ، وأتنشق الهواء المنعش، أو أروي الأزهار في الأحواض.

وفي يوم الأحد ذاك، كان الطقس صحواً، وكنت في حالة مزاجية ممتازة، لذا استطعت الإنصات بصبر إلى ما يقوله الدكتور وي الذي تسلل إلى مكتبي وبدأ يشرح لي نظريته الجديدة. كان الدكتور وي شخصية مرموقة. فقد درس خارج البلاد، وحقق نتائج باهرة في أبحاثه عن الأورام، كما أظهر تعاطفاً كبيراً مع مرضاه؛ إذ كان يشعر بالأسى كلما فشل في إنقاذ حياة أحدهم. وقد ظلّ دائماً متمسكاً برأيه؛ وهو أن التلوّث البيئي هو السبب في ارتفاع معدلات الإصابة بالسرطان في هذه الأيام. لذا، انضم إلى المتطوعين الذين كانوا يعملون على حماية البيئة، حيث أمضى أوقات فراغه في مناشدة الناس للعمل على الحد من التلوث البيئي.

وهكذا، بعد أن نظر الدكتور وي بعصبية إلى الممر وراءه، أغلق باب مكتبي، ثم اقترب مني وأمسك بيدي قائلاً بغموض: «سأخبرك بأمر رائع! لقد توصّلت أخيراً إلى اكتشاف عظيم أثناء قيامي ببحثي المتعلق بحماية البيئة. غير أنني بحاجة ماسة إلى دعمك».

فقلت له: «أرجوك، اجلس وأخبرني كيف أستطيع مساعدتك».

عندها، جلس الدكتور وي على الأريكة، وبدأ بشرح ما توصل إليه قائلاً: «معظمنا نحن الصينيين تنقصنا القدرة على التفكير العكسي. ولكنني واحد من بين عدد قليل من الأشخاص القادرين على القيام بذلك في بلدنا. ورغم أنني فقدت الثقة في القدرة على تعزيز قضية حماية البيئة،

إلا أنني وجدت أملاً جديداً يتمثّل في تحسين الجودة البشرية؛ إذ يمكننا إصلاح أعضائنا بما يتيح لها التكيّف مع البيئة. أتعرف ممّا يتكون الهواء؟».

وصمت كما لو أنه ينتظر جوابي، فأجبت: «إنه يتكون من النيتروجين بنسبة ثمانية وسبعين بالمئة، والأوكسجين بنسبة واحد وعشرين بالمئة...».

- إذاً، ممَّ سيتكوّن بعد عشر أو عشرين أو حتى مئة سنة من الآن؟

- ذلك ربما...

غير أن الدكتور وي لم يسمح لي بالتفكير في ذلك وأكمل: «إن استمر البشر في التسبب في انبعاث غازات النفايات كما يحصل الآن، فسيصبح الهواء عما قريب مزيجاً من الكلورين وثنائي أكسيد السلفور وأحادي أكسيد الكربون إلى جانب القليل من الأوكسجين. لكن، بعد أن نُصلِح أعضاءنا سيشعر البشر بالراحة إن تنفّسوا ثنائيّ أكسيد السلفور، وسيأتيهم الإلهام لدى تنشقهم أحادي أكسيد الكربون. وهكذا، ستصبح غازات النفايات الصناعية كنزاً. كما يجب علينا إصلاح جهازنا البولي ليتكيّف مع المياه الملوثة، حيث سيصبح شرب الماء مع المعادن الثقيلة من المشروبات الساخنة المفضلة في السوق. وعندها، سيصبح بإمكانك أن تقول للبائعة في المتجر: «أعطيني يا آنستي زجاجة من شراب الزئبق!»، وستصبح المشروبات ذات المعادن الثقيلة جزءاً لا يتجزأ من حياتنا! وعندها، أتوقّع أن تتمكن المخلّفات الناجمة عن صناعة الورق في المعامل من تلبية حاجات السوق».

كنت أنصت إلى الدكتور وي باهتمام كبير، من دون أن أتمكن من منع نفسي من النظر إلى المادة المترسبة في أسفل كوبي.

وتابع الدكتور كلامه قائلاً: «كما يجب إصلاح أعضاء الجهاز الهضمي. فالديوكسين والأصبغة تسببت بالكثير من الكوارث في تاريخنا، ولكنها ستصبح منكهات غير مؤذية في المستقبل القريب؛ حيث ستتمكن المعدة البشرية من هضم بقايا الكيماويات الزراعية التي ستظل عالقة في الخضار، وستصبح تلك الكيماويات مفيدة لبعض الوظائف الذكورية لدى الرجال. هذا من دون أن ننسى إصلاح أعضاء جهاز السمع؛ حيث ستتوفر لدينا العديد من القنوات لنختار من بينها ما نرغب في سماعه في المستقبل، وهكذا سيصبح بإمكاننا النوم بعمق بجانب أضخم المصانع. كما يمكننا أيضاً إغلاق القنوات في آذاننا لئلا نسمع الإعلانات التي تُذاع عبر الراديو في الحافلة. وبالإضافة إلى ذلك، يمكننا تنظيم درجة حرارة الجسم، ورفع درجة حرارته الطبيعية إلى أربعين درجة

مئوية لنشعر بالراحة؛ حتى حين ترتفع درجة الحرارة على سطح الأرض إلى تسعٍ وثلاثين درجة. وهكذا، سيصبح غدنا واعداً. وكل عوامل التلوث المؤذية في الوقت الحاضر ستصبح كنوزاً في حياتنا مستقبلاً. وبالطبع، إلى جانب العمل في المجالات التي ذكرتها للتو كباحث طبي، سأكمل عملي في إصلاح أعضاء بشرية أخرى للمساعدة في تطوير المجال الروحي للبشرية. فعلى سبيل المثال، يمكننا تغيير حاسة الشم لدى الإنسان لتتناسب مع جميع الروائح، كما يمكننا إصلاح الجهاز العصبي والقلب والكبد... أوه، نعم... أتعرف أهمية إصلاح الكبد؟ سيساعدك إصلاحه على الاستمتاع باحتساء الكحول من دون أن تواجه أي مشاكل».

بدا لي الدكتور وي فرحاً ومنتشياً وهو يعرض مخططاته؛ حيث مدّ يده وربّت على كتفي عدة مرات. وأخيراً، قال بثقة: «انظر، سأحل المشاكل البيئية العالمية».

وفي تلك اللحظة، قُرع الباب، واندفع إلى الغرفة أطباء يعملون في المستشفى وقالوا لي: «نحن آسفون يا سيدي المدير، فقد تسلل إلى مكتبك من دون أن ننتبه».

وبينما كانوا يُخرِجون الدكتور وي من مكتبي، التفت إليّ وانحنى لي باحترام فقلت للأطباء: «اهتموا جيداً بهذا المريض غير العادي المصاب بمرض نفسي، فهو خبير في حماية البيئة».

الحقيقة

وانغ وي

في مأدبة الغداء المخصصة للمّ شمّل طلاب مدرستنا القدامى، بدا لي أن قدرة الجميع على تحمّل الكحول قد تطوّرت على الرغم من تضاؤل طولنا. وبينما كنا نربّت على ظهور بعضنا بعضاً، رآني الجميع – أنا رئيس قسم في البلدية – أفرط في تناول الشراب، وكانوا يعتبرونني شخصاً ناجحاً. وحين شعرت بالغثيان، أدركت أنه يجدر بي المغادرة باكراً كيلا أتقيأ أمام الجميع. لذا، همست للنادلة قائلاً إنني سأغادر باكراً، وهربت على عجلة.

كنت أعلم أنه لا يزال هناك وقت قبل أن يفتح المكتب أبوابه، ولكنّني كنت أشعر بتعب ونعاسٍ شديدين؛ الأمر الذي جعلني ألغي احتمال العودة إلى المنزل لأن الوقت لن يكفي الآن للذهاب إلى المنزل والعودة إلى المكتب مجدداً. فقد كنت معتاداً على أخذ قيلولة بعد الغداء يومياً. وبما أنني لم آخذ القيلولة التي اعتدت عليها اليوم، لذا شعرت بنعاس شديد. ورغم أنني لم أكن أحبّذ النوم في المكتب لأن ذلك سيسبب لي بعض المشاكل، إلا أنني بعد التفكير في الأمر مليّاً قرّرت النوم في غرفة مكتبي قليلاً لأستعيد نشاطي؛ حيث إن أحد المكاتب الثلاثة في القسم كان مخصصاً لي.

سحبت المفتاح من جيبي لأفتح باب مكتبي، ولكنني لم أستطع فتحه. وحين تحققت من المفتاح وجدته هو نفسه، فأدخلته في القفل مجدداً. وبينما كنت أدير المفتاح في القفل سمعت أصواتاً تصدر من وراء الباب فانزعجت، وبدأت أتساءل عمن دخل مكتبي مستغلاًّ فرصة غيابي. ما لم...

وبطبيعة الحال، يكون الشخص الثمل بطيئاً في ردة فعله. لذا، بينما كنت أبذل قصارى جهدي لمعرفة من دخل مكتبي وكيفية دخوله، فُتِح الباب من الداخل، ووقف ليو دي عند الباب وسألني: «لماذا أتيت باكراً يا رئيس القسم؟».

دخلت المكتب من دون أن أجيبه. ولكن، قبل أن أنفّس عن غضبي أدركت أنني دخلت مكتباً آخر في القسم وليس مكتبي. وما إن رأتني آي شياو حتى نهضت عن الأريكة قائلة: «صباح الخير يا رئيس القسم!».

ألقيت نظرة سريعة عليها وهي تحدثني، فوجدت وجهها محمراً وشعرها مشعّثاً. لم أكن قد رأيت شعرها مفروداً من قبل، إذ كانت تربطه دائماً كذيل حصان. وعندها، خطر ببالي أنها تبدو جميلة للغاية بشعرها المشعّث.

استعدت توازني على الفور واعتذرت قائلاً: «أكملا... ما كنتما تفعلانه».

وغادرت على الفور وأنا أشعر بالارتباك. لكن، بينما كنت على وشك النوم في مكتبي، نقر ليو دي على بابي ودخل، ثم قال لي: «لقد أتيت إلى العمل باكراً يا رئيس القسم».

فأخبرته أنني كنت أحضر غداء لمّ شمل مع زملائي في المدرسة، وأنني قد غادرت باكراً لأنني أصبحت ثملاً.

– من الفرص النادرة بالنسبة لزملاء المدرسة القدامى أن يجتمعوا مجدداً... فلماذا غادرت باكراً؟

– كانوا يشربون نخبي، لكن قدرتي على تحمل الكحول محدودة نوعاً ما، لهذا غادرت باكراً قبل أن أبدو كمغفل.

عندها، سألني ليو دي: «إن كنت قد غادرت باكراً فلم لم تعد إلى منزلك؟».

– لدي اجتماع هذا المساء، وأنا لا أريد أن أتأخر في المجيء؛ إذ إن الوقت لم يعد لصالحي.

– هل قام أحد ما بإبلاغك بشيء ما؟

عندها، حان دوري لأسأله: «ما الذي سيبلغونني إياه؟».

– ألا تعرف؟! إذاً، لماذا حاولت فتح بابنا؟

– لقد كنت ثملاً يا ليو دي، ولم أفعل ذلك بشكل متعمّد. فعلى الرغم من أنني رئيس القسم، إلا أنّني لن أحشر أنفي في حياتك الخاصة.

– أنت تعرف يا رئيس القسم أن الدائرة الرسمية تراجع أدائي في العمل في الوقت الحالي. لذا، أرجوك ألا تخبر الآخرين بما رأيته. في الواقع، نحن لم نفعل شيئاً خاطئاً؛ فآي شياو مستاءة من والدة زوجها وكنت أحاول مواساتها.

– لا تقلق، لن أخبر أحداً بأي شيء. ويمكنك أن تعتبر أنني لم أرَ شيئاً.

وفي المساء عدت إلى المنزل، وما إن أنهيت عشائي حتى قرع الباب. وعلى الفور، عرفت أن الزّائر هو ليو دي؛ بما أننا لم ننهِ حديثنا في الصباح بسبب اضطراري إلى المغادرة لحضور الاجتماع.

قال ليو دي ما إن فتحت الباب: «إذاً، أنت في المنزل يا سيدي رئيس القسم!».

– نعم، أنا في المنزل... لكن، لماذا أحضرت لي هدية؟! فأنا لا ينقصني أي شيء في المنزل.

– أنا لم أزرك ولا حتى في العطلات. لذا، أرجوك ألا تستاء مني يا رئيس القسم.

– لا تهتمّ. فنحن عائلة كبيرة، والحياة ليست سهلة بالنسبة إلى الجميع.

في تلك اللحظة، خرجت زوجتي من المطبخ، وحيّت ليو دي وهي تجفف يديها قائلة: «أي ريح هذه التي جاءت بك!؟ فأنت نادراً ما تزورنا في المنزل».

عندها، ابتسم ليو دي مرتبكاً، فأشرت لها بيدي لتدخل غرفة النوم.

فسألني ليو دي: «هل أخبرتها بما حصل اليوم؟».

– ولماذا سأخبرها؟!

– لقد بدت لي ساخرة.

– وما أدراني ما تفكر فيه الزوجات؟!

– نحن لم نفعل شيئاً يا رئيس القسم.

– ألم أطمئنك يا ليو دي؟ هل من الجيد بالنسبة لك أن أتظاهر بأنني لا أعرف شيئاً؟

– ولماذا ستتظاهر بأنك لا تعرف شيئاً؟ فأنت تعرف كل شيء... أليس كذلك؟

– حسناً... حسناً... اطمئن، لن أقول شيئاً لأي كان؛ حتى لو كنت أعرف. هذا السرّ سيظلّ بيني وبينك فقط.

– آسف يا رئيس القسم لأنني خيبت آمالك في الماضي. ولكنني سأفعل كل ما تريده مني منذ الآن فصاعداً.

– لا حاجة إلى ذلك يا ليو دي. استمر فقط بالاهتمام بمديرنا؛ فهو الذي سيقرر إن كنت ستنال ترقية في وظيفتك أو لا.

– بصراحة، نحن لم نفعل شيئاً على الإطلاق. فزوج آي شياو مسافر في رحلة عمل طوال العام، وقد وبّختها والدة زوجها لعدم قيامها بأعباء المنزل وتشاجرتا، وكنت أحاول تهدئتها.

– أيناسبك أن أقول لك إنني متأكد من أنكما لم تفعلا شيئاً؟

– حسناً... إذاً سأغادر يا رئيس القسم.

– خذ هديتك معك.

– لا أستطيع. إن لم تقبل هديتي فهذا يعني أنك تزدريني.

– حسناً... حسناً... وداعاً إذاً.

وفي صباح اليوم التالي، ما إن أنهيت ترتيب مكتبي حتى فتح ليو دي الباب ودخل قائلاً: «كلما فكرت في الأمر أكثر يا رئيس القسم شعرت بالضيق أكثر فأكثر».

– ما المشكلة الآن؟

– لقد قلت لنا البارحة «أكملا ما كنتما تفعلانه»، فما الذي كنت تقصده؟

– كنت ثملاً حينها، ولا أذكر ما قلته.

– لم أستطع النوم طوال الليل وأنا أفكر في كلماتك. فقد ظننت أنك تقصد شيئاً ما بتلك الملاحظة التي قلتها البارحة. لا بد أن أحداً ما قد أبلغك بأمرنا فأتيت لتمسك بنا.

– أيمكنك التخفيف من حساسيتك المفرطة يا ليو دي؟ فما حصل البارحة كان محض صدفة.

– لا بد أن هناك مؤامرة تحاك ضدنا يا رئيس القسم، وأنا أريد أن أعرف من يقف خلفها.

– ماذا؟!

– لا بد أنك أكثر من يعرف من هو المسؤول عن ذلك. لذا أرجوك أن تذكر اسمه.

عندها، لم أعد أستطيع السيطرة على أعصابي، فضربت على الطاولة قائلاً: «ذلك الأمر بينكما، وهو لا يعنيني، ولا أريد التدخل في مشاكلكما، كما لا أريد معرفة حقيقة ما يجري بينك وبين آي شياو».

– اسمح لي يا رئيس القسم أن أثبت لك براءتي!

ثم رمى نفسه وارتطم بالجدار وراء باب مكتبي. وحين ركضت لأمسك به، كان الدم يسيل من وجهه وقد فقد وعيه.

رعب عند منتصف الليل

لي زانهوي

كان الظلام قد هبط، فيما الرياح تعصف في الخارج، والرعد يدوّي بقوة من بعيد.

وحين اختفى صوت الرعد، تعالى صوت بكاء امرأة حزينة ونشيجها.

كانت كتفا يينغ زي ترتعشان بقوة، فيما دموعها تبلل وسادتها.

فقبل ثلاث ساعات، تم إدخال زوج يينغ زي إلى المشرحة في المستشفى.

وقبل خمس ساعات، تم وضع زوجها على طاولة العمليات، حيث خضع لعملية تمّت بسلاسة ونجاح، لكنه لم يستيقظ من التخدير.

وقبل ست ساعات، تم نقل زوجها بحالة إسعافية إلى المستشفى؛ حيث كان يعاني من التهاب حاد في الزائدة الدودية.

لم تستطع يينغ زي تقبل الوقائع.

أهو مجرد كابوس؟!

مدت يدها لا إرادياً وتحسست السرير إلى جانبها فوجدته فارغاً وبارداً.

لا، إنه ليس مجرد كابوس ستصحو منه قريباً.

فجأة، دوى الرعد في السماء المظلمة مجدداً، وسرعان ما بدأت الأمطار تهطل بغزارة.

وفي تلك اللحظة، رنّ الهاتف، فقفزت من سريرها، ورأت الرقم يضيء على شاشة الهاتف.

كان الرقم مألوفاً بالنسبة إليها. إنه... رقم هاتف زوجها المحمول!

رفعت السماعة رغماً عنها، فسمعت صوتاً مألوفاً وصل إليها عبر الهاتف: «هيه، يينغ زي! هل نمت؟ أعرف أنك لم تنامي بعد».

– أهذا أنت يا جون؟! أين أنت الآن؟ لماذا لم تعد إلى المنزل؟! لقد تأخر الوقت.

– لا أعرف أين أنا. فأنا في مكان مظلم وبارد، وصوت الرعد في الخارج مدوٍ... إنني أشعر بالوحدة والخوف هنا.

عندها، سرت رعشة في جسدها، وشعرت بالرعب.

ففي تلك اللحظة فقط أدركت أنه ميت. عندها، قالت بصوت مرتجف: «لا يا جون... لا تخفني... فأنت قد متّ!».

«عمّ تتكلمين؟! أنا حي وبخير... لماذا تقولين إنني ميت؟ كيف سأتصل بك لو كنت ميتاً؟! انتظريني وسأعود إلى المنزل بحلول الغد».

ثم سمعت صوت «توت توت» صادراً من سماعة هاتفها.

لمع البرق مجدداً في السماء حالكة السواد، وأضاء غرفتها عبر النافذة، كما أضاء الغرض الموجود على طاولة المكتب.

إنه... الهاتف المحمول! هاتف زوجها المحمول!

هذا... هاتف زوجها المحمول الذي أحضرته معها من المستشفى إلى المنزل!

وفجأة، بدأت تسمع صوت طنين في رأسها، ثم شعرت بأن الجو في الغرفة غريب.

حاولت تهدئة نفسها، ثم اندفعت خارجة من المنزل بشجاعة فائقة.

هطل المطر عليها بغزارة، غير أنها لم تكترث لذلك، وركضت إلى المستشفى وهي بحالة أشبه بالجنون.

وما إن رأت الطبيب المناوب حتى شدّته بجنون، ودخلا مشرحة المستشفى معاً.

أشعلا الضوء، فتوهج النور على وجه زوجها المسالم. لكنّ وجهه بدا خالياً من تعابير اللطف المعتادة.

إنه كابوس بالتأكيد!

وفي اليوم التالي، قرّر الأطباء تشريح جثة جون، فقطع المشرط اللامع القطب التي تم إجراؤها لجون فوق الجرح أثناء العملية.

وفجأة، صدر صوت من حنجرة جون، وصرخ قائلاً: «آهٍ، هذا مؤلم للغاية! أيها الأطباء الأغبياء! لقد تلاشى تأثير المخدّر... ألم تنتهِ العملية بعد؟!».

ميزان الجار

فانغ غوان شينغ

كانت قرية شيان غاو بعيدة عن سوق الريف. لذا، كان من غير الممكن بالنسبة إلى العائلات المقيمة فيها – والبالغ عددها مئة عائلة – أن تذهب للتسوق هناك. ولهذا السبب، قام تشين لاو هي – وهو رجل ماكر يسكن في القرية – بافتتاح متجر صغير في الطرف الشرقي منها ليبيع بعض البضائع؛ كالسجائر والمشروبات والسكاكر وغيرها... ولكنه كان يعمد إلى الغش في تجارته، إذ راح ينقص من وزن السلع التي يبيعها قليلاً ليكسب المزيد من المال. وبما أن معظم القرويين كانوا فلاحين بسطاء وسُذّج لم ينتبه أحد لخدع تشين لاو هي.

وفي منتصف ديسمبر، دخل شيون العجوز – وهو جار تشين لاو هي – المتجر لشراء بعض الأغراض الضرورية لمأدبة زفاف ابنه الأكبر. وبينما كان يتحدث مع تشين لاو هي قال: «سأذبح أكبر خنزير لدينا الليلة. وبعد طهي الأطباق لمأدبة زفاف ابني وعشاء ليلة رأس السنة، أظن أنه سيبقى لديّ ما لا يقل عن خمسة عشر كلغ من اللحم. لذا، إن كنت ترغب فبإمكاني أن أبيعك اللحم الزائد بسعر عشرة يوان للكيلو».

فكّر تشين لاو هي في العرض، ووجد أنه عرض جيد فقبله على الفور، ثم سارع إلى دفع ثمن خمسة عشر كلغ من اللحم لشيون العجوز كيلا يغير رأيه.

وفي صباح اليوم التالي، أرسل شيون العجوز اللحم إلى تشين لاو هي بحسب الاتفاق بينهما. وما إن استلمه التاجر حتى شعر بوجود خطأ ما؛ فهو يبيع البضائع ويشتريها منذ سنوات، ما جعل يديه مدربتين على القياس كما لو أنهما ميزان. وهكذا، حين يحمل غرضاً ما بيديه يمكنه

على الفور معرفة وزنه. لذا، كان متأكداً من أن اللحم الذي أعطاه إياه شيون وزنه أقل من خمسة عشر كلغ.

لم يشأ تشين لاو هي وزن اللحم أمام جاره العجوز، ولكن ما إن غادر شيون حتى أخرج تشين لاو هي الميزان ووزن اللحم، فوجد أنه لا يزن سوى اثني عشر كلغ، أي أنه ينقص ثلاثة كلغ.

عندها، غضب تشين لاو هي من شيون العجوز الطماع. فكيف يمكنه إنقاص كل هذه الكمية من اللحم؟! ثم أمسك بقطعة اللحم ليأخذها إلى شيون العجوز ويطالبه بتفسير لسلوكه هذا. ولكنه ما إن وصل إلى الباب حتّى تردد؛ فهما جاران مقربان منذ سنوات، ويريان بعضهما كل يوم تقريباً، وسيظلان يعيشان بالقرب من بعضهما حتى لو تشاجرا على كمية اللحم الناقص. كما أن شيون العجوز معروف بأنه شخص طيب، ومن غير الممكن أن يقوم بمثل هذه الخدعة. لذا، قرر شين لاو هي أن يستعير ميزان شيون العجوز؛ فربما سيكتشف المشكلة حينها. وإن كانت المشكلة لها علاقة بميزان شيون، فسيخبره بذلك، وسيطلب منه أن يعطيه الكيلوغرامات الثلاثة من اللحم التي دفع له ثمنها مسبقاً.

وهكذا، بعد أن اتخذ تشين لاو هي قراره، توجّه إلى منزل شيون المجاور، وطلب منه استعارة ميزانه. لكنّ شيون سأله مستغرباً: «ولماذا سأشتري ميزاناً للبيت؟!».

عندها، تفاجأ تشين لاو هي من إجابة شيون، وقال له بعد فترة صمت طويلة: «ألا تملك ميزاناً في البيت!؟ إذاً، كيف قمت بوزن اللحم الذي أعطيتني إياه منذ قليل؟».

فضحك شيون العجوز وقال: «لقد وزنت اللحم بالتأكيد، ولكنني لم أزنه باستعمال الميزان».

عندها، ارتبك تشين لاو هي أكثر. فما الذي استخدمه شيون لوزن اللحم إن لم يكن قد استعمل الميزان!؟

في تلك اللحظة، دخل ابن شيون العجوز الصغير الذي كان طالباً في المدرسة الثانوية المنزل حاملاً حقيبته المدرسية، ثم أخرج عموداً خشبياً وقال باعتزاز مجيباً عن سؤال تشين لاو هي: «لقد استخدمت هذا العمود لوزن اللحم. كان الوقت منتصف الليل حين انتهينا من ذبح الخنزير، فطلب مني أبي أن أستعير الميزان من متجرك، لكنني حين وصلت إلى هناك كنت قد أطفأت النور، فلم أرغب في إيقاظك في تلك الساعة المتأخرة. وكنا قد تعلّمنا مؤخراً في مادة الفيزياء في المدرسة عن التوازن، لذا استخدمت هذا العمود كميزان منزلي الصنع. انظر، لقد اشترى أبي

خمسة كلغ من السكر المطحون من متجرك البارحة... أليس كذلك؟ لذا، أخذت هذا العمود وربطت حبلاً في منتصفه، ثم قمت بتعليق كيس السكر في أحد طرفي العمود واللحم في الطرف الآخر، بينما أمسكته من الحبل المربوط في منتصفه. وهكذا، حين أصبح العمود الخشبي مستقيماً أدركت أن اللحم يساوي خمسة كلغ؛ لأن استواء العمود يعني أن الأغراض على جانبيه لديهما الوزن نفسه... أليس كذلك؟ وقد اضطررت إلى تكرار العملية ثلاث مرات لأحصل على خمسة عشر كلغ من اللحم. طريقتي دقيقة للغاية يا عمي لاو هي... ويمكنك أن تزين اللحم في متجرك باستعمال الميزان... وأنا متأكد من أنه سيزن خمسة عشر كلغ».

عندها، تفاجأ تشين لاو هي كثيراً، غير أنه بذل قصارى جهده ليظهر ما يشبه الابتسامة على وجهه، ثم أجاب: «إنه يزن خمسة عشر كلغ بالطبع... ميزانك دقيق... دقيق للغاية...».

ولم يقل شيئاً عن الكيلوغرامات الثلاثة الناقصة، وإنما أخفض رأسه وعاد إلى متجره.

ومنذ ذلك الحين، امتنع تشين لاو هي عن التلاعب بوزن السلع، وما عاد يغشّ أحداً. إذ تعلّم أنّ الآخرين سيعاملونه كما يختار أن يعاملهم.

مصمّم المشروع الخارق

رو رونغ تشينغ

في هذه الأيام، إنّ القيام بعمل ما أصعب بكثير مما كان عليه سابقاً. انظروا فقط إلى مصنع الملابس الذي أديره. فعلى الرغم من أنني لا أستطيع القول إنني حقّقت نجاحاً كبيراً، إلا أنه كان في ما مضى يسير بسلاسة، ولم أواجه سابقاً أي عقبات كبيرة كما يحصل معي الآن. فلسبب غير معروف هذه الأيام، لم يعد أحد يشتري منتجاتي من الملابس بالجملة، مهما قدمت من عروض جذّابة؛ وخاصة تلك السترات الجلدية البالغ عددها ألفي سترة، والتي عرضت بيع الواحدة منها بمئتي يوان. وقد أدى ذلك في النهاية إلى تركي إياها مرمية في مخزني من دون أن أستفيد منها.

ونظراً إلى كوني مالك المصنع، كان ذلك المأزق يؤرقني، حيث بدأ التوازن بين الدخل والنفقات يختل، وتجمدت أملاكي كأسهم خاسرة. لذا، بدأت أتساءل عن كيفية تمكّني من الاستمرار في صنع الملابس.

وبينما كنت أعاني بشدة من فقدان الشهية والأرق، وأفكّر في الانتحار، سألني أحد الأصدقاء: «هل طلبت المساعدة من فان داكسين؟».

«ومن هو فان داكسين؟».

فضحك صديقي وقال: «لم أكن أعرف أنك جاهل ولا تعرف شيئاً مما يحصل حالياً! ألا تعرف فان داكسين؟! لا عجب إذاً في أنك فشلت في بيع منتجاتك. دعني أخبرك من هو فان داكسين. إنه أفضل مستشار في المشاريع الكبرى، وقد أنقذ بنصائحه العديد من الشركات».

عندها، بدأت أتساءل في سرّي وأنا أشعر بشيء من الحماسة: ترى، هل يستطيع مستشار خارق إنقاذ مصنعي الذي يوشك على الإفلاس؟!

ونزولاً عند نصيحة صديقي، قرّرت الذهاب لزيارة ذلك المستشار في العنوان الذي أعطاني إياه.

حين وصلت، كان فان داكسين – أو سيد الأفكار – جالساً خلف مكتبه الصغير والأنيق على كرسي من الجلد الطبيعي. وما إن دخلت حتّى تمطّط متثائباً، ثم سألني: «أنت هنا لطلب نصيحتي، أليس كذلك؟ ينبغي أن أكون صريحاً معك، فخدماتي مدفوعة، ما يعني أنه عليك شراء أفكاري».

«بالطبع... بالطبع».

وأومأت له باحترام، ثم قدّمت له سيجارة فاخرة.

استمتع فان داكسين بتدخين السيجارة التي قدمتها له، وسرعان ما أحاطت به سحابة من الدخان وهو ينصت إلى البلاء الذي حل بي. وقبل أن أنهي قصتي، أطفأ السيجارة في منفضة السجائر وقال لي: «لا حاجة لكي تكمل، فلدي حل رائع لمشكلتك».

ثم أمسك قلمه وكتب شيئاً على قطعة ورق، وبعد ذلك أعطاني الملاحظة قائلاً: «هذه تكلفة فكرتي... وعليك أن تدفع لي أجرتي قبل أن أخبرك بها».

وعلى الورقة كان قد كتب الرقم «2888». بصراحة، كان المبلغ أكبر من توقعاتي بكثير، لكن ومن دون أي تردد قمت بعد ألفين وثمانمئة وثمانية وثمانين يوان، ثم أعطيته إياها. وكما يقول المثل: إن استأثرت بأطفالك كثيراً فلن تتمكن من صيد الذئاب. فللتخلص من البضائع المكدسة في مخزني والبالغة قيمتها مليون يوان تقريباً، كان لا بد لي من التضحية.

بعد ذلك، أعلن سيد الأفكار عن فكرته المثيرة قائلاً: «اذهب وابحث عن بائع جملة ممن سبق لك التعامل معهم، وأرسل إليه جميع السترات الجلدية من دون أن تقول له شيئاً. لكنّ أهمّ ما في هذه الخطة هو أن تضع مئة وخمسين سترة في كل حاوية، وأن تكتب على كل منها أنها تحتوي على 100 سترة فقط».

كدت أقفز من مقعدي متعجباً، وسألته مستنكراً حلّه هذا: «ماذا؟! أتقصد أنه يجب عليّ أن أعطيه خمسين سترة مجاناً في كل حاوية؟!».

«لا تتسرع في الوصول إلى نتائج... اسمعني جيداً حتى النهاية. أفضل ما في فكرتي هو أنك ستستعيد تكلفة السترات المئة والخمسين التي ستضعها في الحاوية من السعر الذي ستحدده لكل سترة. فعلى سبيل المثال، إن كنت تنوي تحديد سعر كل سترة بمئتين وخمسين يوان، فاكتب على الورقة المرفقة أن ثمن السترة الواحدة هو 375 يوان. وهكذا، في بادئ الأمر سيظنّ المشتري أن السعر الذي تعرضه مرتفع جداً. ولكنه حين يدرك أنك أعطيته خمسين سترة إضافية في كل حاوية، لن يتمكن من رفض «العرض المجاني» الذي تقدمه له، وسيتناول الطعم. وخلال أقل من عشرة أيام، ستسمع بالتأكيد ما ترغب في سماعه...».

غادرت مكتب المستشار العظيم بعد أن عبّرت له عن خالص امتناني؛ وكنت مقتنعاً بأنه يستحق شهرته مئة بالمئة... يا لها من فكرة رائعة! وهكذا، اتبعت نصيحته، وشحنت جميع السترات الجلدية، وجميع القمصان والسراويل القصيرة والملابس الأخرى المكدسة في مخزني إلى أحد تجّار الجملة الذين أتعامل معهم بعد أن نفّذت ما اقترحه عليّ المستشار حرفياً. وبعد فترة وجيزة، تلقّيت الردّ الذي كنت أنتظره. لكنني ما إن قرأته حتّى كدت أنفجر غيظاً، ورحت أشتم بغضب ذلك «المستشار المعتوه» وفكرته الغبية التي سببت لي الخسارة. فقد تمت إعادة شحن الحاويات كلها وإرسالها إليّ. ولكن، بدلاً من احتواء كل منها على مئة وخمسين سترة، صار عدد الستر في كل منها مئة سترة؛ تماماً كما هو مكتوب على إيصال التسليم... مئة بالضبط...

قصة زوجين

زو رينكونغ

كان الزوجان المهاجران يعملان في المدينة نفسها. أما الرجل فيعمل في موقع بناء، فيما المرأة خادمة لدى عائلة ثرية. وكانت المرأة مهتمة بعملها للغاية؛ لأنها تعرف الكثير من النساء في هذه المدينة اللواتي لا يمكنهن العثور على عمل في هذه الأيام. فهي تعمل لدى عائلة ثرية، حيث يمكنها استخدام الكثير من الأدوات المنزلية الحديثة كموقد الغاز، وغسالة الأطباق، والبراد، وسخان المياه... رغم أنها لم تكن قد رأت أياً من هذه الأدوات من قبل. وقد أخفت عن الأسرة التي تعمل لديها أن زوجها يعمل في المدينة نفسها؛ إذ كانت تعرف أن سكان المدن يقلقون من أتفه الأمور. لذا، كانت تتعمد الاتصال به هاتفياً حين لا يكون هناك أحد في المنزل.

كان الرجل يكدّ في العمل طوال النهار بين القضبان المدعمة والحجارة الإسمنتية، وكذلك خلال العطلات. وكل يوم، بعد انتهاء دوام العمل، كان باقي العمال يتحدثون عن النساء، ويروون قصصاً جنسية مثيرة، فتحمر عيناه وتتسارع نبضات قلبه.

وفي أحد الأيام، اتصل الرجل برقم هاتف المنزل حيث تعمل زوجته، وسألها: «هل أنت وحدك في المنزل؟».

- مممم.

- أريد الحضور لرؤيتك.

- لا.

- أريد الحضور لرؤيتك.

– لا يمكنك؛ لأن رب الأسرة التي أعمل لديها يصرّ دائماً على عدم حضور أصدقائي إلى المنزل.

– لكن، لا يوجد أحد في المنزل!

– أُمِرتُ بعدم السماح لأيّ من أصدقائي بزيارتي حتّى حين يكون المنزل فارغاً.

ثم أنهت زوجته الاتصال بسرعة.

وفي اليوم التالي، اتصل الرجل بزوجته مجدداً وسألها: «هل تقيمين في الطابق السابع؟».

– أجل.

– أريد الحضور لرؤيتك مباشرة.

– لا... إذ لا يوجد أحد في المنزل.

– أعرف أنه لا يوجد أحد هناك؛ فأنا أقف الآن أمام المبنى.

– لا يمكنني استقبالك حتى إن كنت عند الباب.

وكان صوت المرأة صارماً.

بعد شيء من التردد، أنهت المرأة الاتصال رغماً عنها.

بعد قليل، رنّ جرس الباب، وحين فتحته وجدت زوجها يقف عند باب الشقة وينظر إليها بإعجاب، فقالت له: «لا يمكنك الدخول!».

غير أنّ الرجل تمكّن من الدخول، وابتسم لها ابتسامة ذات مغزى.

فقالت له زوجته: «غادر الآن!».

– لقد اشتقت إليك كثيراً.

– سيعود رب عملي عما قريب.

– أعرف أن الزوجين يذهبان إلى العمل خلال النهار، وأنهما لن يعودا الآن.

–   إن لم تغادر فسأطلب النجدة.

–   ماذا ستطلبين!؟ أنا زوجك!

وهجم الرجل على المرأة وشدها إلى الأريكة قائلاً: «لِمَ لا يمكنني القيام بعلاقة حميمة مع زوجتي؟».

ووضع الرجل فمه على فم زوجته، ومد يده ليخلع سرواله، بينما راحت المرأة تصارع بقوة وهي تشرح له أن رب عملها سيعود بعد قليل.

غير أن زوجها قال: «لا يهمني. أنت زوجتي!».

وفي تلك اللحظة، فتح الباب من الخارج، ووقف رب الأسرة عند المدخل مذهولاً، بينما شحب وجه العاملة وزوجها، وبدا الجو كما لو أنه قد تجمد أيضاً. فجأة، بدا أن فكرة ما قد خطرت ببال رب الأسرة، إذ قفز كالأسد الغاضب وراح يصرخ قائلاً: «وغد! لص! أمسكوا باللص...».

فشاركت المرأة رب عملها بالصراخ قائلة: «أمسكوا باللص».

وسرعان ما انهار الرجل تحت لكمات رب الأسرة وركلات جيرانه الذين اندفعوا لمساعدته، ثم اتصل أحدهم بالشرطة فجاءت، وتم اقتياده إلى المخفر. حاول الرجل فتح فمه لشرح الموضوع ولكنه لم يستطع التفوه بحرف.

عندها، أشار رب الأسرة إلى أنه محظوظ جدّاً لعودته إلى المنزل في هذا الوقت بعد أن نسي غرضاً ما.

–   هل آذاك ذلك الوغد؟ اللصوص والأوغاد كثيرون هذه الأيام. في المرة القادمة، لا تفتحي الباب لأحد بدون أن تتأكدي من هويته.

شعرت المرأة بإحراج شديد وتلعثمت، بينما كان ذهنها لا يزال مشوّشاً. فكل شيء قد حدث بسرعة كبيرة، وهي لا تزال تشعر بالارتباك مما حصل معها.

وقبل أن يعود رب الأسرة إلى عمله، حذّر المرأة قائلاً لها إنه عليها أن تتعلم من ذلك الدرس، وألا تفتح الباب لأي شخص غريب.

ظلت المرأة واقفة أمام النافذة، وراحت تحدّق إلى الخارج محتارة، ولم تعرف ماذا تقول أو تفعل.

وفي تلك الليلة، لم يغمض لها جفن؛ فقد كانت تشعر برغبة ملحة تحثّها على التوجه إلى مركز الشرطة لتشرح القصة، ولكنها أدركت أيضاً أنها كلما حاولت أن تقول شيئاً أصبح الموضوع أكثر سوءاً؛ وخاصة إن وصلت هذه القصة المحرجة إلى مسامع أهالي قريتهما؛ فعندها سيسخر منهما الجميع. ثم بدأت تفكّر في زوجها، وتساءلت عمّا يفعله وما يحصل له في هذا الوقت. وسرعان ما بدأت دموعها تسيل على وجهها، فتنهدت بحرقة قائلة: «يا له من أحمق!».

ورفعت نظرها إلى السماء، وتأملت القمر الذي كان هلالاً أصفر حينها، وبدا لها كما لو أنه يبكي أيضاً.

زوجتي تريد أن تكون حبيبتي

تيان شياو يونغ

أشك في أن تكون زوجتي قد قرأت مدونتي من وراء ظهري. فعلى الرغم من أنني أتبع إجراءات أمنية مشددة لحماية مدونتي، إلاّ أن مصادرتها لجميع أموالي المدخرة بلا استثناء أقنعني أنه بإمكانها أن تصل إلى مدوّنتي الإلكترونية أيضاً.

حين كتبت مدونتي مؤخراً تحدّثت عن الحبيبة الخيالية التي أحلم بها، والتي يحلم بها أي رجل آخر في متوسط العمر. فمنذ وقت طويل وأنا أحلم بأن تكون لدي حبيبة شابة وجذابة ومثيرة وماهرة في إذابة قلبي. كما كتبت في مدونتي عن انزعاجي من زوجتي الذابلة ذات الوجه الطويل والنحيل.

وسواء أكان ذلك محض مصادفة أو لا، في اليوم التالي غيّرت زوجتي تعابير وجهها، ورسمت عليه ابتسامة لطيفة وقالت: «أصبحت حياتنا معاً مملة، فأنا زوجتك منذ زمن! لِمَ لا نتظاهر بأننا حبيبان ونعيش متعة هذه التجربة؟ وإن كنت قد فشلت كزوجة لك فقد أنجح كحبيبة».

وبالفعل، كانت حياتنا الزوجية رتيبة منذ فترة، لذا أشعرني اقتراح زوجتي ببعض الانتعاش، فاقترحت عليها أن تؤدي ذلك الدور في بعض الأحيان. ولكنها أصرت على أن تؤديه طوال الوقت، فأومأت لها موافقاً وأنا أخفي حماستي.

في ذلك المساء، اتصلت بي زوجتي وأخبرتني عن مطعم ذي طراز غربي افتتح حديثاً بالقرب من الساحة، وقد قيل لها إنه رومانسي وأنيق ومناسب للعشاق. في الواقع، كنت أشعر بالضجر من الوجبات الروتينية التي تطهوها زوجتي في المنزل... من كان يتخيل أنها ستصبح شديدة الملاحظة حين ستبدأ بتمثيل دور الحبيبة. اندفعت بحماسة إلى موعدنا، وتفاجأت بزوجتي

التي كانت قد غيرت شكلها بالكامل؛ من رأسها وحتى أخمص قدميها. حيث صبغت شعرها باللون الأحمر، وحوّلت تسريحة ذيل الحصان التي تفضّلها إلى خصل مجعدة، ووضعت مساحيق تجميل خفيفة، وارتدت فستاناً باهظ الثمن. وحين رأت نظرات الذهول في عينيّ ابتسمت لي ابتسامة عذبة، ثم همست في أذني:

«انظر إليّ. أتظن أن لدي القدرة على أن أكون حبيبة جيدة؟».

وبعد انتهاء وجبة العشاء، بينما كانت مخيلتي تقفز وأنا أحلم بكيفية مغازلتها، ظهرت النادلة في وقت غير مناسب وقالت:

«فاتورتك يا سيدي».

حين نظرت إلى الفاتورة، وقرأت المبلغ المدوّن عليها، والبالغ ثمانمئة وثمانية وتسعين يوان ثمناً للوجبة شعرت ببعض الدوار. وبسبب عادتنا القديمة، أشرت إلى زوجتي موضّحاً للنادلة أنها هي التي ستدفع الفاتورة. لكن زوجتي سألتني مستنكرة: «أي رجل هذا الذي يطلب من حبيبته أن تدفع ثمن وجبتهما؟».

وفي الصباح التالي، حين استيقظت من نومي، وجدت نفسي نائماً وحدي على السرير، فيما الغرفة فارغة... آه... صحيح... زوجتي تريد أن تكون حبيبة طوال الوقت، ولهذا لن يكون من المنطقي أن تظل معي على الدوام. ولهذا السبب، نامت البارحة في غرفة نومنا، وطلبت مني النوم في غرفة الضيوف. شعرت بالجوع، فنهضت وذهبت للجلوس إلى الطاولة، وأمسكت بالصحيفة لأقرأها، فيما كنت أنتظر من زوجتي أن تضع الحليب والبيض المقلي على الطاولة أمامي كما كانت تفعل كل يوم. غير أنني انتظرت مطوّلاً فيما ظلت جالسة في مكانها، وهي تضع مساحيق التجميل على وجهها. عندها، نظرت إليها بانزعاج وسألتها: «لماذا لا تعدين طعام الفطور؟».

فنخرت ببرودة وأجابت: «تلك وظيفة الزوجة».

وخلال جزء من الثانية، ابتسمت لي ابتسامة حلوة ثم مدت يدها، فسألتها عمّا تقصده، وأجابتني: «ألا يفترض بالرجل أن يدفع لحبيبته ثمن ملابسها وأدوات تجميلها؟ افتح محفظتك يا حبيبي... لقد كلّفني ذلك ألفي يوان».

وهكذا، بعد أن أصبحت زوجتي حبيبتي، لم يعد عشائي جاهزاً على الطاولة في اليوم الثاني والثالث. وبعد أن بدّلت دورها، لم تعد تنجز الأعمال المنزلية أيضاً. وحين نهضت من نومي في

صباح اليوم الرابع، لم أجد أي قميص أو جوارب نظيفة لأرتديها، وأغلقت زوجتي أنفها وهي تمسك بجواربي المتسخة بأطراف أصابعها وسألتني: «هل يجب على حبيبتك غسل جواربك المتسخة؟!».

أرادت زوجتي المتحولة إلى حبيبتي أن تذهب للتسوق. وبعد أن غازلتني قليلاً، أخرجتُ بطاقة الائتمان، ثم انتظرتها في المنزل بعصبية. وبعد فترة من الزمن، بدأت الرسائل النصية ترد إلى هاتفي المحمول الواحدة تلو الأخرى:

«لقد أنفقت ألفَي يوان للتو في متجر كذا وكذا»... «لقد أنفقت خمسة آلاف يوان في متحر كذا وكذا».

يا لها من حبيبة قاسية القلب! أتريد تجاوز حدودي الائتمانية وإصابتي بالإفلاس؟ حدقت بغضب إلى زوجتي حين عادت إلى المنزل وهي تتمتم سعيدة وتحمل أكياساً كبيرة وصغيرة، غير أنها حين لاحظت غضبي وبّختني قائلة:

«ألا تحب أن تكون لديك حبيبة؟ كيف تظنّ أن الحبيبة ستطور مهاراتها وجمالها وذوقها؟ ألن تفعل ذلك لأنها تملك المال ووقت الفراغ؟ الحبيبة ليست مطالبة بخدمة الرجل وتحضير وجباته؛ إذ يجب أن تكون متفرغة طوال النهار لتبدو جميلة وممتعة لاحقاً... كما أنها غير مضطرة إلى العيش مع الرجل طوال حياتها، فلماذا سيشعر بالأسى حين ينفق أمواله عليها؟ لقد بقيت زوجة لك لعشر سنوات، لكن جميع الهدايا التي اشتريتها لي لم تصل قيمتها إلى ألف يوان. والآن، بعد أن أصبحت حبيبتك، أنفقت أكثر من عشرة آلاف يوان خلال بضعة أيام... آه... إنني أفضّل أن أكون حبيبتك! فأنا أشعر بسعادة غامرة هذه الأيام».

وبعد أن استمتعت زوجتي بحياة الحبيبة لأكثر من شهر، ظلت تواقة للاستمرار بدورها الجديد. غير أنني لم أعد أحتمل ذلك الوضع. فبعد أن أصبحت زوجتي حبيبتي، صار منزلنا متّسخاً وفوضوياً؛ فلا أحد يغسل الملابس المتسخة، ولا أحد يطهو الوجبات، وأصبحت غرفة الجلوس مليئة بالفوضى، والمكان النظيف الوحيد في البيت كله هو غرفة نومها؛ على الرغم من أنها لم تسمح لي بدخولها سوى ثلاث مرات. وخلال الشهر الذي أصبحت فيه زوجتي حبيبتي، أنفقتْ عشرين ألف يوان من بطاقة الائتمان، وحين تلقيت فاتورة المصرف شحب لوني، واغرورقت عيناي بالدموع، وأدركت أن الثمن الذي يدفعه الرجل لتكون لديه «حبيبة» باهظ، ولا سيما بالنسبة إلى رجل عادي مثلي.

عندها، طفح الكيل، فقمت بانتقاد نفسي أمام زوجتي بعد أن ذكرت لها كل عيوبي، وأدنت الرجل الذي ينسى نفسه، وقلت إن من يأكل من الطبق وعينه على القدر ليس رجلاً، ثم تعهدت بمعاملتها ككنز، وأخبرتها أنني سأتوقف عن الحلم بحبيبة. فكرت زوجتي بالأمر مطولاً، وفي النهاية وافقت على العودة إلى دورها الأصلي كزوجة.

وبينما كنت أتناول وجبة الفطور التي أعدتها زوجتي، رحت أذرف دموع الفرح، فعلقت قائلة: «إن إنفاق عشرين ألف يوان لقتل تخيلات الرجل بشأن الحبيبة أمر يستحق العناء».

جريمة قتل بسيطة

لو وي يون

بعد أن أنهت هوانغ لي دراستها الثانوية، بدأت بالعمل في صالون تجميل، وكانت وظيفتها الاعتناء بأقدام الزبائن.

وكان هناك شاب يقصد صالون التجميل كثيراً للعناية بقدميه. وفي كل مرة يختار هوانغ لي لتهتم به؛ حتى إن اضطر للانتظار. وبعد فترة من الزمن، بدأ ذلك الشاب بلفت انتباه هوانغ لي؛ فهو يتمتع بالصحة والقوة، ويزيد طوله على 1.7 م، ويحمل على خصره دائماً خنجراً موضوعاً في غمد ولافت للنظر. وفي أحد الأيام، حين لم يعد بإمكانها السيطرة على فضولها، سألت هوانغ لي الشاب: «لماذا تختارني لأخدمك في كل مرة؟».

فأجاب الشاب بصراحة: «لأنني أحبك».

ما جعل هوانغ لي تحمر خجلاً وتشعر بالسعادة. وسرعان ما أصبح الاثنان صديقين حميمين. وذات يومٍ، بينما كانت هوانغ لي تدلّك ظهر الشاب، لامس صدرها الممتلئ وجهه، فما كان منه إلا أن مد يده وداعبه. عندها، ابتسمت هوانغ لي من دون أن تظهر أي انزعاج، ما شجع الرجل أكثر، فمدّ يده إلى قميصها. غير أنها ثنت جسدها مبتعدة، وعدّلت ملابسها قائلة: «هذه قلعة عسكرية، ولا يُسمح للكسالى بدخولها».

فسألها الشاب وهو يشعر بخيبة أمل: «أتعتبرينني كسولاً؟».

أجابت هوانغ لي بخبث: «علي أن أرى كيف تتصرف».

«أرغب بدعوتك الليلة إلى العشاء».

وفي تلك الأمسية، بعد أن شرب الشاب كأسين من الكحول في مطعم صغير، بدأ يعبر عن مشاعره تجاه هوانغ لي.

– لقد وقعت في حبك من النظرة الأولى، وطالما أنك مستعدة لتكوني حبيبتي، فسأضحّي بكل شيء من أجلك.

– أنت لا تجيد سوى الكلام.

عندها، بدأ الشاب يشعر بالقلق وقال: «أنا أعني ما أقوله. وإن كنت أكذب فلأَمُتْ بصاعقة...».

غير أنّ هوانغ لي قاطعت كلامه، ثمّ اقترحت عليه قائلة: «لنذهب إلى البوابة الشرقية للعب البلياردو».

«حسناً!».

وهكذا، أمسكا بيدَي بعضهما طوال الطريق كأي عاشقين. وحين وصلا إلى ملعب البلياردو المفتوح في الهواء الطلق الذي يقع عند البوابة الشرقية، وقفت هوانغ لي في الملعب ونظرت حولها، بينما وقف الشاب محدقاً إلى الفراغ. وفجأة، شعر بهوانغ لي تنكزه بإصبعها، ثم أشارت إلى شاب آخر يقف على مسافة منهما وهو يحاول إصابة الكرة، وقالت: «اسمه تانغ وانغ، وهو يزعجني عادة. وقد حاول في إحدى المرات أن...».

عندها، وجد الشاب الفرصة جيدة ليثبت صدقه، فأطبق قبضته بغضب وقال: «تباً له... سألقنه درساً!».

لم تحاول هوانغ لي إثناءه عمّا ينوي القيام به، بل راحت تنظر إليه فيما كان يتّجه نحو الشّاب بسرعة ويسحب العصا من يده ويقول له: «هل اسمك تانغ وانغ؟».

– نعم.

وعلى الفور، لكم الشابُ تانغ وانغ على وجهه بقوة وهو يصرخ قائلاً: «سأضربك!».

شعر تانغ وانغ بالألم من قوّة الضربة التي شوّهت وجهه، فقال للشاب غاضباً: «تباً لك... كيف تجرؤ على ضربي! سأمزقك إرباً!».

وهكذا، بدأ الشّابّان يتصارعان بقسوة. وبعد قليل، تبيّن أن الشاب أضعف من تانغ وانغ الذي دفعه على الأرض خلال بضع دقائق، ولكمه لكمتين قويتين. فما كان من الشاب إلا أن مدّ يده إلى خصره وسحب خنجره وطعن تانغ وانغ عدة مرات إلى أن وقع هذا الأخير على الأرض كحيوان جريح. وبعد ذلك، قفز الشاب واقفاً، وصرخ قائلاً: «هيّا بسرعة، اهربي يا هوانغ لي!». ثمّ لاذ بالفرار.

غير أن هوانغ لي كانت قد غادرت منذ فترة. وهكذا، لفظ تانغ وانغ أنفاسه الأخيرة قبل أن تصل سيارة الإسعاف.

وفي اليوم التالي، اعتقلت الشرطة الشاب لارتكابه جريمة قتل بدم بارد. وحين سأل الشرطي الذي يتولّى التحقيق هوانغ لي عن دورها في القضية، أجابت: «لقد جلب المشاكل لنفسه. إذ كان ينبغي له أن يعرف أنه حين يقتل شخصاً ما فسيدفع حياته ثمناً لذلك أيضاً».

عملية شراء عبر الإنترنت

جينغ يوان

بينما كنت جالساً خلف طاولة مكتبي يوماً وقد وضعت ساقاً على أخرى، اصطدمت ركبتي بفلاش يو أس بي مدرجة في الكمبيوتر بجانبي... عندها، لم تعد هذه الأداة الدقيقة تحفظ الملفات؛ رغم أنها بدت لي بحالة جيدة وبدون أي كسور. وحين أخذتها إلى البائع أخبرني أنها تعطلت ولا يمكن إصلاحها. وبما أنني لا أستطيع العمل بدون يو أس بي عرفت أنه يجب عليّ شراء واحدة جديدة. لذا، اخترت واحدة بسعة 128 ميغا بايت، غير أنها كانت باهظة الثمن، إذ يبلغ ثمنها خمسة وثمانين يوان. أدركت حينها أنني أواجه مشكلة، فالمبلغ كبير ولا يمكنني دفعه. وبعد التفكير في الأمر، قررت تأجيل عملية الشراء ريثما أتناقش مع زوجتي بشأن ميزانية عائلتنا.

حين عدت إلى المكتب، وجدت عدداً من زملائي يحيطون بمكتب شياو وو، فانضممت إليهم لأعرف ما يحصل. وتبيّن لي أن شياو وو «وهو خبير الكمبيوتر» قد اشترى جهاز أم بي 4 الذي يمكّنه من الاستماع إلى الموسيقى أو مشاهدة الأفلام عن طريق الإنترنت، ولم يكلّفه هذا الجهاز سوى ثلاثمئة وخمسين يوان؛ أي أقل بمئة وخمسين يوان على الأقل من السعر الذي يباع به في المتجر.

يا لها من صفقة عظيمة! وفي تلك اللحظة، بدأت أتساءل في سرّي: لماذا لا أشتري فلاش يو أس بي عبر الإنترنت؟ وما كان منّي إلاّ أن عرضت على شياو وو كوباً من الشاي الفاخر، ثم طلبت منه أن يعلمني كيفية الحصول على أفضل العروض عبر الإنترنت.

وهكذا، اتبعت الخطوات نفسها، وبدأت أبحث عبر بالإنترنت... يا إلهي! ما كنت أدري كم هو عالم مليء بالعجائب حتى رأيته بعينيّ... إذ إنّ ما لا يقل عن عشرين مليون نوع من البضائع

كان مدرجاً للبيع عبر الإنترنت! فكل ما يمكنك التفكير فيه ستجده هناك. ركزت بحثي على المواقع التي تقدّم أفضل الأسعار لليو أس بي بسعة 128 ميغا بايت، فكانت النتيجة خيارات كثيرة. يا له من عالم جديد أكتشفه مصادفة! ركزت انتباهي على يو أس بي من نوع سوني بسعة 128 ميغا بايت وصل سعرها إلى ثمانية وعشرين يوان خلال الدقائق الثلاثين الأخيرة من المزاد.

شعرت كما لو أنني وجدت كنزاً على الطريق. وعلى الفور، قمت بالتسجيل، وتقدمت بطلب خدمة مصرفية عبر الإنترنت. وبعد أن نقلت ثلاثين يوان من حسابي المصرفي، تم السماح لي بالمشاركة في المزاد، فشعرت أنني مليونير محاط بحارسين شخصيين. وهكذا، بدأت أزايد على يو أس بي بسعة 128 ميغا بايت. وحين عرض أحدهم تسعة وعشرين يوان ثمناً لها، رفعت عرضي إلى ثلاثين يوان. وسرعان ما انتهى وقت المزاد من دون أن يجرؤ أحد على تقديم عرض أعلى، فاشتريتها بثلاثين يوان. هاه! تمكنت من شراء يو أس بي بثلاثين يوان رغم أن سعرها في السوق خمسة وثمانين يوان... يا لها من صفقة رائعة! عندها، انتشى قلبي طرباً، وشعرت بسعادة غامرة وكأنني اشتريت أرضاً سعرها مليون يوان بمبلغ زهيد من المال.

وفي صباح اليوم الرابع، أوصل ساعي البريد إلى مكتبي اليو أس بي التي اشتريتها عبر الإنترنت، ففتحت الطرد بحماسة كبيرة. وعلى الرغم من أنها لم تبدُ لي جميلة كما تخيلتها، إلا أنها من شركة سوني، وسعتها 128 ميغا بايت. أدخلت اليو أس بي الجديدة في جهاز الحاسب لأحفظ ملفاتي عليها... لا مشكلة! ابتهجت مجدداً... يا لها من صفقة جيدة بثلاثين يوان فقط. وعلى الفور، أكدت دفع ثلاثين يوان من حسابي للبائع.

وعند عودتي إلى المنزل، أخذت اليو أس بي معي لأريها لزوجتي، لكنها تذمرت وعلقت بازدراء:

«هممم! الغالي ثمنه معه... انتبه، فربّما تم خداعك».

«هذا غير ممكن! فقد جربتها في مكتبي... إنها ذات سعة كبيرة أيضاً».

وعلى الفور، قمت بتشغيل جهاز حاسبي المحمول، وأدخلت اليو أس بي الجديدة في المكان المخصص لها ببطء.

وقبل أن أتمكن من تأنيب زوجتي على هرائها حول البضائع الرخيصة، لم يظهر جهاز حاسبي المحمول أي دلالة على تعرفه على الأداة. عندها، قمت بإعادة تشغيله عدة مرات، ولكنه

رغم ذلك لم يتعرف عليها. وعندها أدركت أن جهاز الحاسب المحمول غير قادر على قراءتها، فسارعت للبحث عبر الإنترنت عن برنامج لحلّ المشكلة، وحمّلت البرنامج على جهاز حاسبي المحمول. لكن حاسبي المحمول ظلّ عاجزاً عن التعرف عليها. وكان سبب حاجتي إلى اليو أس بي هو قراءة المقالات وكتابتها في مكتبي ومنزلي، وإن لم أستطع استخدامها على حاسبي المحمول في المنزل فهذا يعني أنها بلا فائدة بالنسبة لي. وعلى الفور، شعرت بخيبة أمل كبيرة.

وفي اليوم التالي، أخذتها معي إلى المكتب، وجرّبتها على عدة كمبيوترات فعملت بشكل جيد عليها كلها. وهكذا، اضطررت إلى طلب المساعدة من «خبير الكمبيوتر» مجدداً، فقال لي شياو وو إن هذا يعني أن جهاز حاسبي المحمول قديم جداً، ومصنوع خارج البلاد، وأن اليو أس بي التي اشتريتها أقل مرتبة منه من ناحية الجودة لذا لا يتم التعرف عليها إلا بواسطة كمبيوتر عادي، وأنهى شرحه بالقول: «وإلا ما كنت لتجدها بهذا السعر الزهيد... أليس كذلك؟».

– والآن، ماذا ينبغي لي أن أفعل؟! إذ لا يمكنني رميها في القمامة... وعلى الرغم من أنها عديمة الفائدة بالنسبة لي إلا أن الآخرين قد يحتاجون إليها.

فضحك شياو وو ونصحني: «بعها مجدداً من حيث اشتريتها... فليس هناك شيء لا يمكنك شراؤه عبر الإنترنت، مما يعني أنه لا يوجد شيء لا يمكنك بيعه عبر الإنترنت أيضاً».

وقد كان محقاً في ما قاله... إذ لا ينبغي لي أن أقلق من كيفية التخلص منها طالما أنها لا تزال تعمل.

وهكذا، قدّمت لشياو وو كوب شاي فاخر آخر لأتعلم منه قاعدة البيع عبر الإنترنت.

ثمّ اتصلت بالإنترنت، وسجلت نفسي على الفور باسم «متجر حر»، ووضعت اليو أس بي في «متجري الحر». وبما أنني لم أكن أريد تحمل خسارة كبيرة وضعت سعرها المبدئي ثلاثين يوان خلال خمسة أيام. وحين تذكرت أن البائع الأصلي باعني الأداة بدون فرض رسوم على التوصيل ظننت أنه بإمكاني أيضاً تغطية كلفة النقل بدلاً عن الشاري. ولأظهر نواياي الطيبة، كتبت أنه يمكن لجميع أجهزة الكمبيوتر التعرف عليها باستثناء أنواع محددة من أجهزة الحاسب المحمول، ثم وضعت رقم هاتفي المحمول أيضاً.

وحين أدركت أنني افتتحت متجراً للتو وأصبحت مالك متجر صغير بدون رسوم شعرت بسعادة غامرة.

مرت عدّة أيام، ورحت خلالها أتابع متجري عبر الإنترنت ما إن أجلس وراء كمبيوتري. وعلى الرغم من أنني استمررت بإعادة تفعيل صفحتي الإلكترونية كل بضع دقائق، إلا أن أحداً لم يقدم أي سعر، كما أن عدداً قليلاً فقط من الأشخاص زاروا «متجري الحر». وهكذا، مرت خمسة أيام من دون أن يحاول أحد شراء اليو أس بي.

عندها، بدأت أشعر بخيبة أمل؛ فأنا أمتلك متجراً لأول مرة في حياتي، غير أنني فشلت في بيع هذه الأداة فقط.. وبدأت أتساءل عمّا إذا كان يجدر بي إغلاق متجري واعتبار ما حصل فشلاً ذريعاً. ولكنّ شياو وو جاء للتحقق مما حصل معي، وحين عرف أن أحداً لم يرغب في شرائها هزّ رأسه قائلاً لي: «يا لك من سخيف! لقد أخفت الناس حين كتبت قائلاً إن بعض الحواسب المحمولة لا يمكنها قراءتها... حسناً... سأقدّم لك اقتراحاً آخر... لِمَ لا تخفض سعرها إلى عشرة يوان، وتضع عشرين يوان كرسوم توصيل؟ وحين يعلق أحد في فخّ سعرك المنخفض، يمكنك توصيل الأداة له بالبريد العادي بيوانيْن اثنين فقط، وستحتفظ بما تبقى من مال. وإن عرض عليك أحد ما اثني عشر يوان أو أكثر ثمناً لها فستجني بعض الأرباح».

آه... يا لي من غبي! كيف لم تخطر ببالي مثل هذه الفكرة الرائعة؟ وعلى الفور، قدمت كوب شاي فاخر لشياو وو، واتبعت نصيحته، ثم وضعت حدّاً أقصى للمزايدة مدته خمسة أيام.

وبالفعل، نجحت الخطة! فقد قام مئة شخص على الأقل برؤية بضاعتي في ذلك اليوم. وفي اليوم التالي، تقدم أحدهم بعرض لشرائها بمبلغ أحد عشر يوان! وفي اليوم الثالث، تقدم أحدهم بعرض لشرائها بمبلغ اثني عشر يوان؛ فشعرت بسعادة غامرة... وأخيراً، لم أخسر شيئاً في أول صفقة تجارية إلكترونية قمت بها. وفي الدقيقة الأخيرة من اليوم الخامس حصلت معجزة، حيث قام شخص يدعى «ثلاثة صغيرة» بعرض خمسة عشر يوان ثمناً لها! كدت أقفز من مقعدي فرحاً... فبما أنه دفع خمسة عشر يوان ثمناً لها بالإضافة إلى عشرين يوان ثمناً لأجرة توصيلها، فهذا يعني أن المبلغ كله الذي دفعه هو خمسة وثلاثون يوان. وبعد أن أنفق يوانين اثنين فقط لإرسالها عبر البريد العادي سأربح ثلاثة يوان بدلاً من أن أخسر المال.

يا إلهي، الثراء ليس صعباً... أليس كذلك؟!

وفي تلك اللحظة، تلقيت رسالة نصية على هاتفي المحمول، وشعرت بالذهول ما إن فتحتها: «أنا ثلاثة الصغير الذي اشترى اليو أس بي للتو... وبما أنني أقيم في هذه المدينة أيضاً، فسآتي

لأخذها من منزلك بهدف توفير رسوم التوصيل المسجلة. سآتي هذا المساء إلى منزلك مع مبلغ خمسة عشر يوان لنكمل الصفقة».

كدت أفقد وعيي... فقد ظننت أنني سأجني بعض الأرباح من تكاليف التوصيل، ولم يخطر ببالي أنني سأواجه شخصاً من المدينة ذاتها! وبما أنني كنت مشغولاً للغاية في تلك الفترة، فقد بعت اليو أس بي عبر الإنترنت بخمسة عشر يوان؛ ما يعني أنني فشلت في استعادة رأس مالي.

تنهدت متحسّراً... غير أنني قلت لنفسي إنه يجدر بي الاستمرار بعملي التجاري الإلكتروني رغم خسارتي في صفقتي الأولى. أدخلت الأداة في جهاز الكمبيوتر في المكتب لأجربها للمرة الأخيرة؛ إذ يجب ألا تسبب أي مشاكل عندما يأتي المشتري.

وعند الظهيرة، أنهيت غدائي في قاعة الطعام في الشركة، ثم عدت إلى مكتبي، ورفعت قدميّ فوق الطاولة لأخذ قيلولة قصيرة. لكن، لسوء الحظ، اصطدم حذائي بشيء ما فاستيقظت فزعاً، وقفزت من مقعدي... آه، لا! اليو أس بي!

شغلت الكمبيوتر وجربتها مجدداً... يا إلهي! لقد تعطّلت. ورغم أنه لم يبدُ عليها أن شيئاً فيها قد انكسر، إلا أنها ظلت ترفض حفظ أي ملفات.

وعلى الفور، سارعت إلى متجر كمبيوتر، واشتريت واحدة جديدة بنقودي التي تبلغ خمسة وثمانين يوان.

وحين سلمت اليو أس بي الجديدة التي كلفتني خمسة وثمانين يوان للمشتري وتسلمت مبلغ خمسة عشر يوان، تنهدت بعمق. فقد انتهت تلك الصفقة الإلكترونية أخيراً.

الطلاق

دينغ هونغ وي

في ذلك الربيع، حين كان وو تونغ في الثلاثين من عمره، قرر أن يطلّق زوجته؛ رغم أنّ علاقته معها كانت جيدة نوعاً ما في ما مضى.

ففي ذلك الربيع نفسه، علم بخيانة زوجته له.

وفي ذلك المساء، اتصل وو تونغ بزوجته ليخبرها أنه سيبقى في مكتبه حتى وقت متأخر لإنجاز تقرير. إذ كان وو تونغ كاتباً ماهراً، ولهذا السبب كان رئيس القسم يكلفه بكتابة جميع أنواع التقارير. لم يكن العمل في المكتب ملحاً، ولكنه لم يكن يفضل تأجيل أعماله. ولهذا، غالباً ما كان وو تونغ يقوم بكتابة التقارير لرئيسه في ساعات إضافية بعد انتهاء الدوام، وأحياناً كان يظل في العمل طوال الليل.

في تلك الأمسية، مضى عمله بسلاسة، فأنهى كتابة التقرير في تمام الساعة العاشرة مساء؛ رغم أنه توقع ألا ينهيه قبل الساعة الثانية من بعد منتصف الليل. وبعد أن رتب الأغراض في مكتبه، نزل على الدرج ليعود إلى منزله. ولكنه حين توجّه إلى المرأب تحت الأرض ليستقلّ دراجته الجديدة لم يجدها في مكانها المعتاد. وبعد عدة سنوات، ظلّ وو تونغ يظن أن سرقة دراجته كانت نذير سوء في ما يخصّ كل مشاكله الزوجية التي ظهرت لاحقاً.

من دون وجود الدراجة، توجّب على وو تونغ الذهاب إلى المنزل مشياً.

كان منزل وو تونغ من الطراز القديم، وكان مؤلّفاً من ثلاث غرف. وحين انعطف وو تونغ عند ناصية الشارع باتجاه منزله وجد جميع نوافذ المنزل مظلمة، فبدأ يتساءل عن سبب خلود زوجته

إلى الفراش في ذلك الوقت الباكر. وفجأة، رأى باب منزله يُفتَح جزئياً، ثم خرج من منزله شخص ما وأغلق الباب وراءه بألفة كبيرة، وراح يمشي الهوينا باتجاه الشارع الرئيس، وسرعان ما ابتلعه ظلام الليل.

حاول وو تونغ معرفة هوية ذلك الشخص، وظنّ أنه يبدو كرئيس زوجته.

عندها، بدأ رأس وو تونغ يطنّ؛ كما لو أن آلاف البعوض تسللت إلى دماغه. وشعر كما لو أنه سقط في هاوية سحيقة.

كان هناك شيء واحد واضح بالنسبة إلى وو تونغ حينها... فزواجه السعيد قد انتهى.

لم يدخل وو تونغ منزله تلك الليلة، وإنما عاد إلى مكتبه واستلقى على الأريكة طوال الليل. ولكنه لم يستطع النوم وهو يفكر بكلمة واحدة ظلت تتردد في رأسه: «الطلاق»، وراح يقول لنفسه:

«سأطلقها! لن أتخلى عن رجولتي! أول ما سأفعله غداً هو رفع دعوى طلاق!».

لكن، مع بداية بزوغ الفجر بدأ تصميم وو تونغ على الطلاق يلين.

فقد كانت الهيئة التي يعمل فيها ستُعيّن رئيساً جديداً للقسم، وسيتم الإعلان عن القرار خلال بضعة أشهر. وكان رئيس الهيئة قد ألمح إلى أن وو تونغ من أفضل المرشحين للمنصب. لذا، إن شغل نفسه بمعركة الطلاق فهذا بالتأكيد سيؤثر على مستقبله في الهيئة، ولهذا من الأفضل الانتظار بضعة أشهر حتى يتضح موضوع الترقية.

وبعد مرور بضعة أشهر، تمت ترقية وو تونغ كرئيس للقسم، ولكنه كان يعرف ما سيفترضه الآخرون إن طرح قضية الطلاق مباشرة بعد ترقيته، لذا قرر الانتظار بضعة أشهر أخرى. مرت بضعة أشهر، وأصبح منصبه كرئيس قسم مضموناً؛ ما جعله يشعر بأنه مستعد للبدء بالطلاق. لكن زوجته حامل في الشهر الثامن وعلى وشك الولادة! فتنهد وو تونغ وقرر أن ينتظر حتى ولادة الطفل.

ولد طفلهما وكان صبياً. وما واسى وو تونغ هو أن ملامح الطفل كانت تشبه ملامحه بشكل كبير.

وحين صار عمر ابنهما سنة، بدأت فكرة الطلاق تسيطر على وو تونغ مجدداً، ولكنه كلما نظر إلى ابنه شعر بالتردد... ماذا سيحصل لهذا الصبي الصغير في حال تطلقا؟ بالطبع، لن

تسمح له زوجته بحضانة ابنهما، وفي الوقت نفسه لم يكن يستطيع التخلي عنه... من الأفضل الانتظار قليلاً.

استمر الانتظار لفترة طويلة، كانت خلالها فكرة الطلاق تؤرقه، ولكنه ظل يؤجل الطلاق المرة تلو الأخرى. فحين بدأ ابنهما بالذهاب إلى المدرسة، قلق من أن يؤثر الطلاق على دراسة ابنهما، فقرر الانتظار حتى يدخل ابنهما الجامعة. وحين دخل ابنهما الجامعة، فكر وو تونغ في أن عليه الانتظار حتى يتخرج ابنهما من الجامعة ويبدأ بالعمل. كانت الرغبة بالطلاق تعذب وو تونغ؛ كما لو أن هناك أسناناً تنهش قلبه. واستمرّ الأمر على تلك الحال لأكثر من ثلاثين عاماً؛ حيث كان يقول لنفسه: «إما الطلاق وإما سأفقد صوابي».

وكان غالباً ما يركض كالمجانين إلى حقل مفتوح، حيث يسقط ثم ينهض ليركض مجدداً إلى أن يصاب بإرهاق شديد، فيستلقي على الأرض وكأنه ميت. وفي بعض الأحيان، كان يصرخ مراراً وتكراراً: «أريد الطلاق...».

نسي كم مرة ابتلّ بالمطر من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه.

وبما أن ابنهما تخرج من الجامعة الآن وبدأ بالعمل، شعر وو تونغ أنه مستعد لطلب الطلاق من زوجته... ها قد حان الوقت أخيراً! لكن، خلافاً لتوقعاته، مرضت زوجته، وصدم الجميع لدى سماعهم تشخيص الطبيب لمرضها، وقوله إنها في «المرحلة الأخيرة من سرطان الكبد».

شعر وو تونغ بالذهول، غير أنه سارع بأخذ زوجته إلى المستشفى، حيث تدهورت حالتها خلال بضعة أشهر.

وفي اليوم الذي لفظت فيه زوجته أنفاسها الأخيرة، كان قد تجمّع في غرفتها الأقارب والأصدقاء، فقالت لهم زوجته بوهن: «اسمحوا لي ببضع كلمات مع زوجي على انفراد».

وهكذا، غادر الجميع الغرفة، فيما بقي وو تونغ إلى جانب سرير زوجته، وانحنى ليسمعها وهي تهمس بصوت يكاد لا يسمع: «شكراً... لاهتمامك... بي. أنا... سعيدة للغاية».

وظهرت ابتسامة صغيرة على وجهها وهي تقول تلك الكلمات، لكن وو تونغ سحب قطعة ورق من جيبه وقال لها: «هذه اتفاقية الطلاق. لقد وقّعتها بالنيابة عن كلينا، ولست بحاجة إلا إلى وضع بصمتك عليها...».

عندها، اتسعت عينا زوجته من هول الصدمة، وتجمدت الابتسامة على وجهها، ثم رفعت يدها ببطء لتضع بصمتها على الورقة، لكن يدها هوت فجأة...

تلعثم وو تونغ قليلاً ثم انفجر باكياً، بينما اندفع الأقارب والأصدقاء إلى الغرفة حين سمعوا بكاءه، وحاولوا مواساته. ولكنه راح يبكي بمرارة أكثر من الجميع...

وبعد أن انتهى الدفن، أخرج وو تونغ اتفاقية الطلاق من جيبه ومزقها إرباً، ثم رمى القطع عالياً إلى السماء.

وفي تلك اللحظة، وعلى جانب طريق غير بعيد عنه، رأى وو تونغ دراجة جديدة تلمع تحت الشمس، شكلها مماثل تماماً للدراجة التي فقدها في ذلك الربيع حين بلغ الثلاثين من عمره.

لكن، أيعقل أن تكون دراجته؟! لقد فقد دراجته منذ ثلاثين عاماً تقريباً... وحتى إن وجدها اليوم فستكون مكسورة ومعطلة بالتأكيد.

مظلة تانغ جياسي

غاو هونغ

في ضواحي مدينة تشينغ دو يوجد مكان يدعى تانغ جياسي، وهناك يتداول أهالي المنطقة كثيراً عبارة «استبدال مظلات تانغ جياسي». وإن كنت راغباً في معرفة ما تعنيه هذه العبارة، فعليك أن تسمح لي بإخبارك هذه القصيرة المثيرة الكامنة وراءها.

في قديم الزمان، كان هناك تاجر يدير أعماله بدقة. وظلّ يفعل ذلك لسنوات عديدة إلى أن ادخر ثروة ضخمة. وعندها، قرر التقاعد والاستراحة في منزله بعد أن تقدم به العمر. فبعد حياة أمضى نصفها في التجول والعمل الشاق، بدأ يخطط للعودة إلى بلدته الأم والبقاء مع عائلته وشراء أرض ومنزل جميل، والاستقرار في حياة الرخاء في السنوات الأخيرة من حياته.

لكن البلد في ذلك الحين كان في حالة اضطراب. وقد تكون الرحلة إلى بلدته الأم بالنسبة لمن هم في مثل سنه طويلة ومحفوفة بالمخاطر. وبسبب خوفه على المبلغ الكبير من المال الذي سيحمله معه طوال الرحلة، ارتدى ثوباً رمادياً طويلاً، وزوجاً من الأحذية القماشية، وتنكّر كمسافر عادي يجابه مشاقّ الطريق. لكنّ المشكلة الوحيدة التي ظلت تواجهه هي كيفية إخفائه مدخرات حياته حتى يصل إلى وجهته بأمان. حينها، لم تكن هناك أي شبكات بريدية حديثة، لذا ما كان بإمكان التاجر إرسال أمواله عبر البريد. وفي الوقت نفسه، لم يكن بإمكانه إخفاء الفضة الثقيلة التي سينقلها معه خلال الرحلة.

وهكذا، استبدل التاجر كل ثروته ببعض المجوهرات وحجارة الجاد الثمينة، ثم طلب من حرفيّ أن يصنع له مظلة من القماش الشفاف والمضاد للماء مع مقبض معقوف من الخيزران، ثم قام بتجويف الخيزران السميك بنفسه، ووضع الكنز داخل مقبض المظلة، وبعد ذلك أحكم إغلاق

نهاية المقبض بالشمع الأصفر لتبدو المظلة عادية للغاية. وبعد الكثير من التحضير الحذر لرحلته، بدا التاجر كمسافر مسكين، وما كان بإمكان أحد أن يتوقع إخفاءه ثروة هائلة بمظلته البسيطة. وهكذا، انطلق التاجر في رحلته حاملاً على كتفه كيساً، وممسكاً بيده المظلة.

كانت الخطة عظيمة بالطبع! وهكذا، سافر التاجر بأمان لعدة أيام. وحين رأى أن الطريق المؤدي إلى بلدته يتسع، وأنه يقترب من وجهته يوماً تلو الآخر لم يعد يستطيع إخفاء حماسته.

وفي أحد الأيام، وصل التاجر إلى البلدة المدعوة تانغ جياسي عند الظهيرة. وحين رأى البلدة الصغيرة بمنازلها الهادئة وسكانها المحليين المهذبين توجّه إلى مطعم صغير للنودلز، وطلب وعاء من النودلز. حيث كان يخطط لإكمال رحلته بعد تناول الطعام. كان مالك المطعم يزين النودلز بسبعة أو ثمانية أنواع من المنكهات الحمراء والخضراء، بالإضافة إلى مكونات غنية بالروائح. وبما أن التاجر كان جائعاً جداً، بدأ على الفور يلتهم النودلز بنهم. وبعد أن شبع شعر بالنعاس. ولحسن الحظ، كان مطعم النودلز الصغير هادئاً، ولم يكن فيه سوى ثلاثة أو أربعة زبائن. لذا، وضع التاجر رأسه على ذراعيه، وأخذ قيلولة قصيرة على الطاولة.

وبعد فترة من الزمن، شعر التاجر بنسيم الهواء المنعش يداعب وجهه، فاستيقظ من نومه، ورفع بصره، ووجد أن الجميع قد غادروا المطعم، وأن المطر يتساقط في الخارج. مسح التاجر وجنتيه و... يا إلهي... لقد اختفت المظلة! وعلى الفور، بدأ العرق البارد يتصبب منه؛ فالمظلة تحتوي على ثروته كلها التي جمعها طوال حياته!

لكنّ التاجر ظل متماسكاً وهادئاً، وبدأ يفكر في ما يمكن أن يكون قد حصل وهو نائم. فالكيس الذي يحتوي على نقود سفره لا يزال موجوداً في مكانه؛ ما يعني أنه لم تتم سرقة مظلته بشكل متعمّد، وربما يكون أحد زبائن المطعم قد أخذها حين رأى المطر في الخارج فيما كان هو نائماً بعمق... نعم... لا بد أن أحد زبائن المطعم قد أخذ المظلة حين هطلت الأمطار.

وبعد أن قام التاجر بعد ما بقي معه من مال وفكّر في وضعه قليلاً، عرف ما يجدر به فعله.

لذا، نادى مالك المطعم، وأخبره أنه أحب بلدتهم الرائعة وقرر الاستقرار فيها واستئجار دكّان صغير ليتمكن من كسب قوت يومه... ثم سأل مالك المطعم إن كان بإمكانه أن يساعده في إيجاد مكان ليقيم فيه في البلدة.

كان مالك المطعم رجلاً طيباً، وليتمكن من مساعدة التاجر سأله عن نوع التجارة التي سيقوم بها، وعن مساحة المكان الذي يريد استئجاره، فقال التاجر لمالك المطعم: «لا أريد أن أمارس التجارة، وإنما أرغب في ممارسة المهنة الوحيدة التي أجيدها، وهي إصلاح القبعات والمظلات المكسورة. ونظراً إلى أنني لا أستطيع دفع أجرة مكان كبير، يكفيني استئجار دكّان صغير يقع على الطريق الرئيس».

فضحك صاحب المطعم وقال: «بالطبع، ينبغي أن يقع الدكّان المخصص لإصلاح القبعات والمظلات على الطريق الرئيس».

وسرعان ما عثر للتاجر على مكان مناسب، حيث أنشأ متجراً لإصلاح المظلات بكل الأموال المتبقية معه.

كان التاجر مهذباً مع زبائنه وبارعاً في عمله، وكان يفتح الدكان الصغير عند الفجر ويغلقه ليلاً، كما كان يتصرف كحرفي شريف. وقبل مرور فترة طويلة، بدأ دكّانه الصغير يكسب شهرة بين السكان المحليين، وبدأ الكثيرون بإحضار مظلاتهم المكسورة ليصلحها لهم. لكنّ أحداً لم يكن يتخيل أن مالك الدكان المتواضع مليونير، وأنه يخفي وراء ابتسامته الودود قلباً محروقاً. يوماً بعد يوم، كان التاجر يتوقع ظهور مظلته، غير أنه ظل يصاب بخيبة أمل يومياً. فقد أصلحت يداه مئات المظلات، لكن أياً منها لم تكن مظلته التي يبحث عنها.

وهكذا، مر الوقت والتاجر ينتظر بصبر في دكانه الصغير، ولكن من دون أن يظهر أي أثر لمظلته.

وفي أحد الأيام، أحضر له زبون مظلة مهترئة وقال له: «أيمكنك إصلاح هذه المظلة القديمة؟ إن لم تستطع إصلاحها فارمها في القمامة، فهي لا تسحق أن أنفق الكثير من المال على إصلاحها».

تفاجأ التاجر من تعليق الزبون وخطرت له فكرة؛ فلا بد أن مظلته ستكون قد اهترأت في الغالب لأنها لم تكن جديدة حين فقدها. وأي كان من أخذها فلن يجد أنه من المجدي إنفاق المال على إصلاحها.

وفي اليوم التالي، رأى أهالي المنطقة لافتة غير مألوفة معلّقة على باب دكان التاجر: «نستبدل المظلات المطرية القديمة بمظلات جديدة». وعندها، سرعان ما بدأ الناس يتدفقون ليتأكدوا

إن كان الأمر صحيحاً. وحين أكّد لهم التاجر صحة الأمر، شاع الخبر بسرعة؛ وبدأ الجميع يقولون إن صاحب الدكان يريد «مشاركة أرباحه» بهدف توسيع عمله وكسب المزيد من الزبائن، كما أضافوا أن خطوته التالية ستكون السماح للناس بتبديل مظلاتهم القماشية القديمة، في حين كشف آخرون أنهم سمعوا أن صاحب الدكان من عشاق جمع المظلات القديمة وغير ذلك... ولكن اللافتة أدت وظيفتها بشكل إيجابي.

وقبل مرور وقت طويل، دخل فلاح متوسط العمر دكّان التاجر في أحد الأيام المشمسة، فلفتت المظلة المطرية القديمة تحت ذراعه نظر التاجر على الفور؛ فهي مظلته التي كان يبحث عنها منذ أيام وليالٍ!

تناول التاجر المظلة القديمة وهو يبذل قصارى جهده ليبدو هادئاً، وألقى نظرة فاحصة عليها فوجد أن مقبضها لا يزال كما هو بدون أي أثر يشير إلى أنه تم فتحه أو تغييره. عندها، اطمأن إلى أن مجوهراته ما زالت في مكانها ولم يمسّها أحد.

ثم استدار واختار أفضل مظلة من تلك الموجودة على الرف وأعطاها للفلاح. وبعد أن أنهى الفلاح كلمات الشكر، أغلق التاجر باب دكّانه ببطء. وعلى الفور، سارع إلى فتح نهاية مقبض المظلة. وبعد أن أزال الشمع، رأى أن كل كنزه لا يزال موجوداً داخل المقبض؛ فتنهد بارتياح، وانهار على الأرض حيث جلس هناك صامتاً لوقت طويل.

وفي صباح اليوم التالي، استغرب سكان تانغ جياسي ما حصل؛ إذ لم يسبق لهم من قبل رؤية دكّان إصلاح المظلات مغلقاً في وقت باكر، كما أنه لم يفتح في الصباح التالي أيضاً. وحين استفسروا عن حقيقة الأمر، علموا أن مُصلح المظلات الذي بقي بينهم لعدة سنوات قد غادر البلدة فجأة... وكان الأمر غريباً بالنسبة إلى الجميع.

في ما بعد، حين اكتشف أهالي المنطقة حقيقة ما حدث، انتشرت مقولة «استبدال مظلات تانغ جياسي»، وأصبحت شائعة بينهم. حيث كان الناس يذكرون القصة ويتنهدون وهم يفكّرون في رباطة جأش التاجر، وبُعد نظره، وسلوكه غير الاعتيادي.

الثور الجيد

هوانغ جيانغو

كان الثور يرعى على التلة، بينما كان الراعي لايفا مستلقياً على منحدر قريب وقد غطّى عينيه بأوراق الشجر وغطّ في نوم عميق. قبل أن يغفو، كان لايفا يراقب ثوره من خلال عينيه نصف المغمضتين، ولكن سرعان ما غلبه النعاس. فثوره ذو لون مموج، ويبلغ من العمر ثلاث سنوات، وقرناه ناتئان وحادان؛ ما يمنحه مظهراً قوياً. غير أنّ لايفا لم يكن يحب ثوره، لذا نادراً ما كان يطعمه العلف الجيد، وغالباً ما كان يصرخ قائلاً له: «اذهب وكل العشب!».

وبما أن لايفا لا ينام جيداً وغالباً ما يعاني من الكوابيس، فقد كان يشعر بالنعاس، لذا استغرق في نوم عميق على المنحدر من دون أن يراوده أي من تلك الكوابيس السيئة.

وهكذا، لم يكترث لما يحصل وهو نائم، ولم يسمع خوار ثوره. وحين استيقظ بعد مرور فترة من الزمن، وجد أن الوقت قد تخطّى منتصف النهار، وأن شمس الربيع متوهجة في كبد السماء.

عندها، رأى لايفا ثوره يقف متسمراً في مكانه، محدقاً إلى شيء ساكن أمامه. ثم ثنى قائمتيه الأماميتين، وضرب بقائمتيه الخلفيتين على الأرض بقوة، وأدار رقبته إلى أحد الجانبين. وعلى الأرض أمامه، كانت هناك كتلة متعددة الألوان. فرك لايفا عينيه ليتمكن من الرؤية بوضوح، ثم حدق إلى الكومة متعددة الألوان مجدداً.

وحين أدرك لايفا أن الكومة التي يراها عبارة عن فهد، قفز من مكانه مذعوراً وكأن ناراً قد أحرقته، واختبأ وراء قمة منخفضة. لكنه حين رأى أن الثور والفهد لا يتحركان، رمى عليهما بحذر صخرة، غير أن شيئاً لم يحصل. عندها، صرخ لايفا قائلاً: «هيه... أيها الوغد».

فما كان من الثور إلا أن هز رأسه ببطء وقد تشتت تركيزه، وخفّت قبضته على الفهد الذي راح يتدحرج على الأرض تدريجياً جثة هامدة. عندها، تنفس لايفا الصعداء.

لم يكن لايفا قد شاهد المعركة التي دارت بين الثور والفهد. فحين استيقظ، كان ثوره قد قتل الفهد الذي راح الدم يسيل من ثقب في رقبته. كانت عينا الثور محمرتين، وبدأ يتنفس بارتياح حين رأى صاحبه، فقال لايفا: «واحسرتاه أيها الثور!».

عندها، زفر الثور مجدداً، وبدا حزيناً ومرهقاً للغاية وهو يلتفت مبتعداً عن لايفا ليرعى العشب بصمت. وبعد أن وقف لايفا هناك مذهولاً لدقيقة، لوّح لثوره قائلاً: «تناول طعامك... تناول طعامك فحسب».

حمل لايفا الفهد الميت وعاد به إلى القرية، حيث راح يتفاخر بالقول إن ثوره قد قتل فهداً لأجله... يا له من ثور نادر! حين اشتراه من قرية باودانغ بمئتي يوان كان يظن أن الصفقة التي قام بها غير رابحة، ولكنه أدرك الآن أن الثور جيد.

وراح لايفا يقول للجميع: «إنه ثوري... لقد قتل فهداً من أجلي... استخدم قرنيه ليثقب حنجرة الفهد».

عبّر الجميع عن تفاجئهم وإعجابهم بالثور، وراحوا يرددون على مسمعيه: «يا له من ثور رائع! لن تجد مثيلاً له ولو بعد مئة سنة».

«لا بد أنه ثور مقدس!».

عندها، شعر لايفا بالزهو لدى سماعه كلمات الإعجاب التي قالها له القرويون، وقال لزوجته: «دفئي قدراً من النبيذ الأبيض للثور».

وهكذا، بدأ لايفا يحب ثوره، وانتشى بالمجد الذي منحه إياه. وفي ذلك اليوم، جلس لايفا على صخرة في الباحة، وبدأ يدخّن وهو يتفحص الفهد الميت، ويفتخر بثوره أمام جيرانه.

وبعد أن غادر المعجبون، تناول لايفا سكيناً لتشريح الفهد وسلخ جلده، ثم قرر ألا يبيع الجلد وأن يعلّقه في أكثر مكان لافت للنظر في المنزل ليتباهى بثوره أمام الجميع.

وحين أنهى عمله، جلس على الصخرة مجدداً، فرأى زوجته وقد حضرت النبيذ الأبيض ووضعته على السلم ليبرد، وظن أن الوقت قد حان ليدعو ثوره لتناوله.

كان المرج مليئاً بالعشب الأخضر الممتد على مدّ النظر. لكن، بدلاً من أن يرعى الثور العشب الأخضر كان جاثماً على الأرض وقد أغمض عينيه، فبدا كبوذا متأمل.

قال لايفا لثوره: «هيّا، لنذهب».

وصفر لايفا، فنهض الثور على الفور وتبعه إلى المنزل. وبينما كانا يمشيان عبر القرية، أحس لايفا بعدد كبير من العيون الحاسدة تراقبه، فابتسم بفخر، وراح يربت على مؤخرة ثوره بين الفينة والأخرى.

دخل الثور الفناء، ورفع رأسه ليخور فرأى جلد الفهد معلقاً في مكان مرئي على الجدار. عندها، سارع لمهاجمته فجأة من دون أن ينتبه إلى الصخرة الموجودة في الفناء، فصطدم رأسه بالصخرة، وسقط على الأرض.

حصل كل شيء في غمضة عين، فتجمّد لايفا في مكانه من هول الصدمة كما لو أنه يرى كابوساً. وبعد برهة، تمكن من الصراخ بمرارة: «يا ثوري الجيد! كيف سأشرح هذا للآخرين؟!».

الصديقان

شين زوليان

السيد أ والسيد ب صديقان مقربان. وكان السيد أ يحب لعب الشطرنج الصيني، وكذلك الأمر بالنسبة إلى السيد ب. لكن السيد أ كان أكثر براعة من السيد ب، لذا كان يهزم السيد ب في معظم الأحيان.

ولكن، كانت لدى السيد أ عادة سيئة حين يلعب الشطرنج الصيني، حيث يبدأ بالسخرية من صديقه حين يتبين له أنه سيربح. ومع مرور الوقت، أصبح الأمر مزعجاً بالنسبة إلى السيد ب، فكلما حرك السيد أ قطعة على رقعة الشطرنج راح يلقي تعليقاته اللاذعة ويواصل الاستهزاء بخصمه خلال اللعب. وما إن يقوم بحركة بارعة حتى تصبح تعليقاته لاذعة أكثر. وفي إحدى المرات، حين قتل حصانه عربة السيد ب غطى أنفه وقال: «يا لها من رائحة نتنة! من الذي أحضر سلة السماد؟ هيّا، بسرعة ارمها خارجاً!».

ما جعل وجه السيد ب يحمر بالكامل.

وفي إحدى المرات، بعد أن هزم السيد أ السيد ب في ثلاثة أدوار متتالية، أعلن السيد أ بازدراء:

«هيه... يبدو أنه لا أمل بأن تهزمني في هذه الحياة! حتى إن ابنك لن يكون لديه أي أمل بأن يهزمني طيلة حياته».

عندها، غضب السيد ب من الإساءة وقلب الطاولة، ثم نهض واقفاً وأقسم أنه لن يلعب الشطرنج مجدداً مع السيد أ في ما تبقى من حياته؛ فهو لا يحتمل أي ازدراء لابنه الذي كان يجسد

كل آماله. صحيح أن لعب الشطرنج أمر جيد ومسلٍّ، ولكن لا يحقّ السيد أ أن يسيء إليه وإلى عائلته.

وقبل مضي فترة طويلة، انتقل السيد ب من المدينة إلى شمال البلاد.

في البداية، لم يكن السيد ب يعرف أحداً في المدينة الجديدة، لذا أصبحت حياته مملة، وأدرك أن لا شيء قد يغيّرها ويخلّصه من الملل الذي يشعر به سوى لعب الشطرنج مجدداً. وكان غالباً ما يتمشى في الشوارع، وينحني ما إن يرى أحداً يلعب الشطرنج الصيني، وسرعان ما أصبح لديه أصدقاء جدد يلعبون الشطرنج، فركز كل وقت فراغه على ممارسة هذه الهواية.

وبالإضافة إلى لعبه الشطرنج مع أصدقائه الجدد، قام السيد ب أيضاً بشراء كتب عن الشطرنج الصيني، وتمرن على الاستراتيجيات المذكورة في الكتب. وبعد العمل، كان يمضي الكثير من الوقت يومياً منغمساً في عالم الشطرنج الصيني، حيث كان يدرس المسابقات الشهيرة بين رونغ وا ولو تشين، أو بين لي لاي شون ولي داهوا، وتدرّب على الخطوات الشهيرة لاستخدام الحصان للقضاء على مدفع مركزي، أو وضع مدفع مركزي بين عربتين متقابلتين. وبعد أكثر من عقد من العمل الجاد، أصبح بمقدور السيد ب لعب حركات سادة هذه اللعبة كافة.

وفي أحد الأيام، صادف أن جاء أحد سادة الشطرنج الصيني إلى المدينة للمشاركة في بطولة للشطرنج. وبعد انتهاء المباراة، قام ذلك اللاعب الماهر بأداء مباشر، حيث لعب ضد ستة وثلاثين خصماً في المدينة في الوقت نفسه. وبضربة حظ، تم اختيار السيد ب كواحد من اللاعبين الستة والثلاثين للعرض. وعلى الرغم من حماسته الزائدة، كان السيد ب يشعر بفخر كبير وهو يلعب بأسلوب مثير للإعجاب. وبعد أن خسر خمسة وثلاثون لاعباً، بقي السيد ب اللاعب الوحيد الذي تمكن من هزيمة اللاعب الماهر، فحصل على شرف التقاط صورة معه بعد انتهاء العرض.

تذكر السيد ب السيد أ، وكان غضب الأيام الخوالي قد زال، حتى إنه شعر بالتوق للقائه مجدداً.

عندها، طلب السيد ب إجازة لزيارة بلدته الأم في الجنوب. وكان أول ما فعله بعد وصوله إلى هناك هو زيارة السيد أ في مكان عمله السابق. كان عقد كامل قد مر على لقائهما الأخير، وكان مستعداً للقول له: «لقد اشتقت إليك يا صديقي القديم. لا بد أن المقولة القديمة صحيحة: السيد النبيل قد ينتظر عشر سنوات ليسوّي خلافاته السابقة».

لكنه صُدم كثيراً عندما علم أن السيد أ قد توفي منذ زمن، وشعر كما لو أنه أصيب بصاعقة.

وقف السيد ب متسمراً مكانه لوقت طويل، ثم صرخ: «صديقي القديم السيد أ! أكنت تتوق إلى المغادرة لهذه الدرجة؟ لم تترك لي الآن سوى بقايا الندم. فقد أمضيت عشر سنوات كرستها كلّها في صقل مهاراتي في الشطرنج، حتّى إنني هزمت أحد سادة الشطرنج! لكن الآن أصبح من المستحيل بالنسبة لي أن أهزمك في حياتي...».

النظافة

دينغ شي لينغ

التقيت وانغ يين شينغ في اجتماع لدى صديقي. وبعد أن شربت ثلاث كؤوس من النبيذ، خطفت كوبَي شخصين قريبين مني، وكان أحد هذين الشخصين هو وانغ يين شينغ. بعد ذلك، أتذكر بصورة ضبابية أن وانغ يين شينغ نهض من مكانه، وترك طاولة الطعام، ثم عاد حاملاً كاساً فارغة ملأها بالنبيذ لنفسه وهو مبتسم بتهذيب مثير للإعجاب.

بعد قليل، قال لي صديقي إن وانغ يين شينغ ناجح منذ شبابه، وهو يشغل حالياً منصباً مرموقاً في إحدى الوزارات. بدا صديقي معجباً به للغاية وهو يخبرني عنه، لذا لم أستطع منع نفسي من تأمل هذا الرجل الذي ظل مبتسماً بأدب وهو يرتشف النبيذ بلباقة من الكأس في يده البيضاء.

همس لي صديقي أن وانغ يين شينغ مهووس بالنظافة، وقد ذكر لي مثالاً عن ذلك. فحين كان وانغ يواعد زوجته لم تكن لديه حتى الجرأة على تقبيلها. وحينما غلبته عواطفه، لم يقم سوى بطبع قبلات خفيفة على فمها، فأثبت لها أنه آخر ذكر بتول في هذا القرن يقف أمام عينيها؛ ما جعلها تقوم مباشرة بمناقشته حول مخططاتهما للزواج. وبعد زواجهما، اكتشفت أن وانغ يين شينغ كان يتصرف بخجل لأنه كان مهووساً بالنظافة الشخصية.

حين فكرت في الأمر، وجدت أن وانغ شخص مثير للاهتمام؛ فهو رجل نادر في هذه الأيام.

وتدريجياً، بدأنا نتآلف معاً. وفي إحدى العطلات، اتصل بي وانغ يين شينغ ليدعوني مع بعض الأصدقاء الآخرين للعب الماجونغ في منزله. وحين وصلنا، كان وانغ يين شينغ ينظف قطع

الماجونغ بالكحول الإيتيلي. وعندما رآنا ابتسم مظهراً أسنانه البيضاء الناصعة وقال: «نادراً ما نحظى بمثل هذه العطلة، فلنستمتع قليلاً اليوم».

وبعد أن قام بتنظيف يديه بالكحول، أحضر علبة سجائر وفتحها بإصبعه، ثم أخرج منها عدداً من السجائر. وبدون أن يلمس السجائر بيده، أشار لنا أن نأخذ منها. وبعد أن أخذ كل منا سيجارة، أخرج وانغ يين شينغ سيجارة أخرى ووضعها بين أسنانه وأشعلها بحذر، ثم أمسك بالسيجارة بين طرفَي إصبعيه، وسحب منها نفساً ببطء، وبعد ذلك ابتسم لنا بلطف من وراء سحابة الدخان.

بدأت لعبة الماجونغ تحتدم بين أيدي اللاعبين البارعة في معركة ضارية، حتى تعادلنا في النهاية. وبعد أن حسبنا عدد مرات الربح والخسارة، تبيّن لنا أن وانغ يين شينغ مدين لي بمئة يوان، فأخرج محفظة جيبه وسحب منها مئة يوان بأطراف أصابعه الطويلة والنحيلة فقلت له: «هل القطعة النقدية سامة يا يين شينغ؟ لماذا أنت حذر إلى هذه الدرجة؟».

فأجاب وانغ يين شينغ: «تبدو شخصاً مستهتراً. هناك عشرات آلاف الأيادي التي تتناقل النقود، ولهذا فهي تحمل عدداً غير محدود من البكتيريا».

وقبل أن يُنهي كلامه، نهض ليغسل يديه.

بعد تلك الزيارة إلى منزل وانغ يين شينغ، اتفقنا جميعاً على أن ما قاله درس جيد لنا. وهكذا، بدأنا نولي اهتماماً أكبر لنظافتنا الشخصية، ونقص أظافرنا، ونغير جواربنا. كما تشاركنا جميعنا معتقداً واحداً: كم سيكون الأمر رائعاً لو كان بإمكاننا العيش كوانغ يين شينغ.

لكنّ العادات الجيدة التي تعلمناها وحاولنا تطويرها لم تدُم. وقد تناقشنا مرة حول زيارة وانغ يين شينغ لمشاركته ما تعلمناه حول تنظيف أيدينا بالكحول والماء، غير أننا بينما كنا على وشك الخروج سمعنا خبراً محزناً؛ فقد تم اعتقال وانغ يين شينغ بتهمة اختلاس مئات الآلاف من اليوان من المال العام.

وعلمت في ما بعد أنه تم الحكم عليه بالسجن مدى الحياة، فبدأت بالتفكير في كيفية اعتياده على الحياة في تلك البيئة. في الحقيقة، أشتاق أحياناً إلى وانغ يين شينغ، وأفكر كثيراً في الدروس الجيدة التي علمني إياها.

خسوف القمر

وانغ وانغ

كان نينغ سين يخطط للعودة إلى القرية مسقط رأسه لرؤية والده العجوز خلال مهرجان الخريف. وكان يتخيل عودته إلى قريته فيما البدر الفضي ينير الحقول الواسعة، والسهول تمتدّ بعد الحصاد كقطعة بروكار ناعمة؛ فتنغمس القرية في روائح الفواكه والحمضيات والمحاصيل. كما تخيّل جلوسه مع أبيه وسط طنين الحشرات، وهما يتكلمان عن أفراح الحياة وأتراحها، فيما نسيم الخريف يداعبهما ويشعرهما ببرودة خفيفة تقضي على جميع الهموم. كان نينغ سين يتخيل تلك المشاهد الرائعة منذ زمن، ويشعر بالفرح لأنه سيلتقي والده في يوم الاحتفال، وبالشوق إلى منزله.

فبالنسبة إلى نينغ سين، كان أبوه القمر المضيء في السماء الذي يضيء الطرقات المظلمة أمامه. وحين كان صغيراً، بكى يوماً ورفض الذهاب إلى المدرسة. عندها، لم يوبّخه والده أو يضربه، وإنما أخذه إلى المدينة، وطلب منه الوقوف عند ناصية الطريق وقال له: «انتظرني هنا... سأزور متجر كتب تشين هوا وأعود».

وقبل أن يتمكن من القيام بأية ردة فعل، اختفى والده بعد أن سار بضع خطوات. وبعد أن انتظر لوقت طويل من دون أن يرى أي أثر لوالده، بدأ نينغ سين يبكي، فظهر والده فجأة، وأشار إلى مبنى قريب وقال: «انظر! هذا هو متجر كتب تشين هوا... الكلمات على اللافتة واضحة، ولكن لأنك لا تعرف القراءة لم تستطع العثور على بابا... الجهل يا بني لن يساعدك في شيء، ولا حتى في العثور على أبيك!».

أبوه رجل ذكي، وقد عمل موظفاً لعدة سنوات؛ حيث كانت لديه أفكار مستقلة، ويعرف كيف يعالج مشاكل الحياة ومهنته. ويذكر نينغ سين أنه في إحدى المرات حين كان لا يزال طالباً جامعياً

واضطر للعودة إلى البيت لتمضية إجازة الصيف هناك، سأله والده عما تعلمه خلال الفصل الدراسي، غير أن نينغ سين تنهد وأجاب: «لا تزال قريتنا فقيرة».

بدا الأب كما لو أنه تفاجأ لدى سماعه جواب ابنه، ثم نظر إليه بتمعن؛ إلى الشارب الخفيف الذي بدأ يظهر فوق شفتيه... وإلى وجهه الذي بدت فيه العزيمة والثقة، ثم قال له: «لقد جرّبت الكثير من الأمور للقضاء على الفقر في مجتمعنا، لكنني لست حاكماً ريفياً أو حاكم مقاطعة، لذا ليس لكلماتي وزن في قريتنا. لذا، المنصب يعني الكثير يا بني إن كنت تأمل أن تنجز أموراً مهمة».

تذكّر نينغ سين نصيحة والده حين أرشده إلى كيفية تحقيق طموحاته، كما تذكّر حادثة أخرى حين تمت ترقيته لأول مرة كنائب مدير في مديريته، حيث سأله أبوه عن شعوره إزاء الأمر فابتسم وقال: «سأبذل قصارى جهدي».

«عليك أن تبذل قصارى جهدك بالطبع، لكن عليك أيضاً أن تعرف كيفية التعامل مع العوامل غير المحببة. فأنت لن تتمكن من تثبيت قدميك إلا بعد أن تهتم بعلاقاتك مع جميع الأطراف».

وقبل أن يغادر، قال له والده: «قم بعمل جيد؛ فأبوك يعلق عليك آماله طوال حياته ليراك ناجحاً كما أنت اليوم».

وهكذا، لم يخيّب نينغ سين أمل والده، وأصبح موظفاً شريفاً ومستقيماً يحبه الجميع. وخلال بضع سنوات، تمت ترقيته مجدداً وصار رئيساً للمديرية. وبالطبع، لم تكن الأمور سهلة بالنسبة إليه حينها، غير أنه تمكن من التغلب على كل تلك المصاعب لأنه لم يستطع قط نسيان تدريب أبيه المضني، والآمال التي يبنيها عليه.

وبعد أن أصبح رئيس المديرية، لم يعد لدى نينغ سين الوقت الكافي لرؤية والده. أما والده، فحين تقاعد لم يرغب في البقاء في المنزل وحده، لذا أنشأ شركة لمعالجة الأغذية، وعمل كمدير عام للإنتاج والمعالجة والتسويق؛ حيث شغل وقته بالكامل.

والآن، مع اقتراب مهرجان منتصف الخريف، قرر نينغ سين زيارة والده في قريتهما. فهناك الكثير من الأمور التي يرغب بالإفصاح عنها لوالده بعد أن تعرض للكثير من التجارب الشاقة والمريرة أثناء العمل الرسمي خلال السنوات الماضية. فهو لا يزال يذكر كيف أنه ما إن أصبح

رئيساً للمديرية حتى تم تكليف مديريته بمشروع إنشاء طريق سريع. وفي اليوم السابق لإعلان المديرية عن مناقصة عامة، أرسل إليه أحد ما مغلفاً سميكاً. وحين رفض نينغ سين الرشوة بلباقة، افترض الراشي أن المبلغ لم يعجبه، فقدّم إليه مغلفاً أكبر بعد بضعة أيام؛ الأمر الذي أغضب نينغ سين وجعله يطرد الراشي من مكتبه. لكنّ شخصاً ما يعمل في مكتبه استمر بإثارة المشاكل؛ على الرغم من الضبط النفسي الصارم الذي كان نينغ سين يقوم به. فذات يوم، طلب شاب بدأ بالعمل في المديرية قبل فترة قصيرة من نينغ سين أن يساعده في الحصول على شقة من المديرية، إلا أن نينغ شين أشار للشاب بأنه وفقاً للسياسة المعتمدة فهو غير مؤهل للتصرف بإسكان المديرية، وعليه الانتظار لبضع سنوات أخرى؛ الأمر الذي أزعج الشاب وجعله يصرخ بصوت مرتفع في ممر المديرية: «إياك أن تظن أنني لا أدري بما تفعله من تحت الطاولة... أنت تعرف تماماً الأمور الخبيثة التي ارتكبتها من وراء ظهورنا».

فما كان من نينغ سين إلا أن ضرب على الطاولة وقال للشاب باتزان: «أنت شخص ذو تفكير قذر! أتفترض أن جميع المسؤولين فاسدون؟ وأن المسؤولين الجشعين الذين يخشون الفضيحة سيسايرونك؟ هذه مجرد افتراضات زائفة!».

وبعد ذلك، بدأ العاملون في المديرية يشعرون بالقلق على نينغ سين، وراحوا يلمحون إلى أن الشاب لديه الكثير من المعارف، فأجابهم نينغ سين: «أعلم أن خاله يعمل في الوكالة... لا تقلقوا... ما من دخان بدون نار... ليس لدي ما أخشاه!».

ونتيجة لذلك، صار نينغ سين أكثر حذراً في حياته. حتّى إنّ حذره ذاك جعله يتعرّض لحادثة طريفة لا يزال يضحك كلما تذكرها. فذات يوم، حين جاءت إحدى زميلاته في المدرسة إلى المدينة التي يقيم فيها قامت بزيارته، فرحب بها نينغ سين بلطف، واحتسيا الكثير من النبيذ وهما جالسان إلى طاولة العشاء. وبعد ذلك، رافقها إلى جناح الضيوف، حيث ثرثرا براحتهما، وسرعان ما انتقل حديثهما إلى حياتيهما العاطفيتين... كان نينغ سين خلال أيام الدراسة معجباً بالمرأة. وبدون أن يتوقّع، أخبرته المرأة عن زواجها الفاشل، وكشفت له عن إعجابها به حين كانا لا يزالان في المدرسة. وبينما كانا يتذكران ماضيهما في ضوء الحاضر، بدأا يتبادلان النظرات بطريقة عاطفية وبجرأة بسبب الثمالة. وعلى الرغم منه، احتضن نينغ سين المرأة بين ذراعيه، فارتعشت وعيناها شبه مغمضتين وشفتاها مفتوحتان... وفجأة، رنّ هاتفها المحمول، فاندفع نينغ سين إلى الحمام المجاور. ومن هناك، سمع زميلته تهمس متحدثة عبر الهاتف بصوت غير واضح: «هل تم تركيبها؟».

انزعج نينغ سين لدى سماعه ذلك، وبدأ يتساءل عمّا إذا كان أحد ما يستخدم المرأة كطعم له... وبدأ يفكر في أنهما يتكلمان عن وضع كاميرا سرية في الغرفة من دون شك؛ وذلك ليستخدما شريط التسجيل في ابتزازه. لذا، حين خرج من الحمام، كانت كل مشاعره قد خبت. وبعد أن تلفظ ببعض الكلمات المجاملة للمرأة انسحب بسرعة، وعلم في ما بعد أن زميلته كانت تفتح مطعماً، وأنها كانت حينها في مرحلة الديكور الداخلي... عندها، أدرك أن الشركة هي التي اتصلت بها حين كانا معاً لتبلغها بتقدم العمل. ولا يزال نينغ سين يشعر بتضارب في أفكاره حول تلك الحادثة؛ فهو يشعر بأنه محظوظ لأنه لم يقع في أي مشاكل، وفي الوقت نفسه يلوم نفسه على حذره المفرط؛ كما لو أنه ينقصه شيء ما كرجل.

الغريب في الأمر أن الناس منذ ذلك الحين بدأوا يدعون نينغ سين إلى النوادي الترفيهية، حيث تحاول بعض النساء إغواءه؛ مع أنّ أحداً لم يكن يجرؤ على فعل ذلك من قبل. وكان نينغ سين حريصاً دائماً على إبقاء مسافة بينه وبينه النساء خارج نطاق العمل... وبدأ يتساءل: أيعقل أنهم عندما رأوا زميلتي في الدراسة ظنوا أنني تخليت عن مبادئي؟ كم هو أمر مضحك! وكم هو محزن أيضاً!

ونظراً إلى التزامه بمبادئه، لم يكن نينغ سين يخشى شيئاً. لكنّ المكائد والمخاطر ظلت تلاحقه في كل مكان... فكيف ينبغي أن يتصرف كمسؤول حكومي؟! كان التفكير في الموضوع يؤرقه كثيراً ويمنعه من النوم، لذا شعر نينغ سين بتصميم أكبر على الذهاب إلى قريته في مهرجان منتصف الخريف.

لكن، بشكل غير متوقع، وقبل يوم من مهرجان منتصف الخريف، جاء والد نينغ سين لزيارته. وكان يبدو أكبر سناً مما بدا عليه في المرة الماضية التي رآه فيها، فأدرك نينغ سين أن ذلك يرجع إلى الضغوطات التي يواجهها في إدارة الشركة.

غير أن والده قال له: «ضغوطات العمل لا تعني شيئاً بالمقارنة مع ما أواجهه الآن... فالمشكلة التي أواجهها حالياً قد تقضي على حياتي السابقة».

وتبيّن لنينغ سين أن شركة والده – بسبب سوء الإدارة – قامت بإنتاج منتجات فيها عيوب، لذا قام العملاء بإعادة تلك المنتجات، ثم قامت شركة مزيفة بالاحتيال على شركة أبيه والحصول على مبلغ كبير من المال. ولهذا، صارت شركة والده على وشك الإفلاس، وقد جاء العجوز

لاقتراض مئتي ألف يوان من نينغ سين لينهي الأزمة. عندها، أخبره نينغ سين أنه لا يملك سوى خمسين ألفاً، وإنه سيعطيه إياها كلها.

فصرخ والده: «موا الفائدة من خمسين ألف يوان؟ أنا بحاجة إلى مئة وخمسين ألف يوان أخرى».

– سأرى إن كان بإمكاني اقتراض ذلك المبلغ من أصدقائي؛ فهم سيمدّون لي يد العون عند الحاجة.

– هل ستقترض؟! أتقصد أنك لا تملك مئتي ألف يوان؟!

– لا أملك سوى خمسين ألف يوان.

عندها، سأله والده وهو يحدّق إليه مندهشاً: «بعد أن عملت رئيساً للمديرية لمدة اثني عشر عاماً، ألا تملك مثل هذا المبلغ الصغير؟».

وفي تلك اللحظة، شعر نينغ سين بالصدمة، وحدق إلى والده لوقت طويل من دون أن يتمكن من قول أي كلمة؛ فقد أصبح كل شيء مشوشاً أمام عينيه...

بعد أن نكبر كلنا سنتزوجك

ليو زي شو

كنت أنا ودونغ لاي زميلين في المدرسة الثانوية؛ فقد كان أكبر مني بسنة واحدة، وهو الآن في السادسة والثلاثين من عمره.

ورغم ساقه المعوّقة نتيجة إصابته بشلل الأطفال إلا أنه أبلى بلاء حسناً، بل كان أفضل مني؛ حيث كان طالباً بارزاً في الصف. وبعد كل امتحان، كان مدير المدرسة غو يرفع نظارته قليلاً قبل أن يقول لنا: «قارنوا إجاباتكم بإجابات دونغ لاي... فكل الإجابات في ورقته صحيحة...».

لكن، انتهى المطاف بدونغ لاي بالعمل كمدرس في مدرسة ابتدائية في قريته التي تدعى خليج رقبة الإوزة. وقد بقي أعزب كل تلك السنوات، وظل يتنقل على منصة التدريس بثلاث أقدام يوماً تلو الآخر.

وذات يوم، أصبحت لدى دونغ لاي حبيبة... وهي زميلة لنا في الدراسة، وكانت تعشقه منذ أن كنا معاً في الصف، وتدعى شيان غي. وهي فتاة جميلة ومجدة. وحين كنا في المدرسة معاً، كنا نحن الصبية نتوجه جميعاً بعد إطفاء الأنوار إلى غرفة المهجع الكبيرة، حيث تدور الكثير من نقاشاتنا حولها... كان أبوها رئيس قسم في مصنع في بلدية شين شيان، ولهذا بعد بضع سنوات من تخرجنا من المدرسة الثانوية، عادت إلى المدينة مع والديها.

تمكن كل من دونغ لاي وشيان غي من إبقاء حبهما سراً، فلم أعلم به إلا بعد خمس أو ست سنوات. لكنني أذكر أن مدرّسنا كثيراً ما كان يناديهما كليهما إلى مكتبه لمساعدته في تصحيح أوراق الطلاب، أو لحضور اجتماعات رابطة الشباب... من كان يتخيل أنهما سيقعان في الحب من دون علمنا!

غير أن حبهما واجه المصير نفسه الذي يواجهه الأبطال في القصص الرومانسية؛ حيث عارض والدا شيان غي تلك العلاقة قائلين: «على الرغم من ساقه المعوّقة، إلا أننا لا نريد التدخل طالما أن هذا ما قرّرته ابنتنا. غير أننا تحملنا الكثير لنأتي ونقيم في هذه المدينة، ولا نريد لابنتنا أن تعود إلى المياه الضحلة للنهر الأصفر مجدداً!».

وبعد مقاومتها والديها لمدة ثلاث سنوات، تمكّنت شيان غي أخيراً من إقناعهما. ولكنهما اشترطا عليها أن يأتي دونغ لاي للإقامة في مدينة شين شيانغ حيث يقيمان معها. لذا، توجّهت شيان غي إلى خليج رقبة الإوزة بكل حماسة وهي تشعر بالارتياح.

كان خليج رقبة الإوزة قد استمد اسمه من النهر الأصفر؛ إذ كانت في النهر انحناءة كبيرة نحو الطرف الجنوبي من القرية، ما جعله يبدو كرقبة الإوزة. وتقع القرية عند المياه الضحلة للنهر، ويحميها سد من فيضان مياهه. وهي لا تضم سوى ثمانين منزلاً، ولا يتعدى تعداد سكانها أربعمئة نسمة. وخلال موسم الفيضانات، حين يفيض النهر تتحول القرية إلى جزيرة مهجورة ومحاطة بالمياه. لكن بفضل موقعها المرتفع، لا تغرق القرية أبداً. وغالباً ما يتفاخر القرويون قائلين: «في حال غرقت قريتنا، ففي تلك الحالة حتى بكين لن تنجو من الفيضان!».

ولهذا السبب ربما، تعلّق القرويون بأراضيهم جيلاً بعد جيل. لكنّ سكان خليج رقبة الإوزة الحاليين متشوّقون لمغادرة قريتهم المنعزلة، وللاختلاط مع العالم الخارجي. فلأسباب كثيرة، فرض عليهم محيطهم مشكلةً تتمثّل في صعوبة حصول أولادهم على تعليم جيد؛ إذ لم تكن هناك مدرسة في القرية في ما مضى بسبب صغر حجمها. لذا، حين كانت المياه تحيط بالقرية، كان الآباء يأخذون أولادهم إلى المدرسة التي تقع وراء السد على متن القوارب ثم يعيدونهم كل يوم. وبسبب انعدام المسؤولية أو العجز المادي، كان الكثير من الآباء يتركون أبناءهم من دون تعليم، وكانت الفتيات أكثر من يعاني من ذلك، حيث إن تسعين بالمئة منهن لا يعرفن أين تقع المدرسة.

وبسبب ساقه المعوّقة، وعلى الرغم من تفوقه، لم يتمكن دونغ لاي من دخول الجامعة. فبعد أن قُضِي على آماله بالحصول على تعليم جامعي عاد إلى القرية. وبعد زيارته لأمين سر فرع الحزب في القرية، تم افتتاح مدرسة هناك، وانضم إليها أكثر من سبعين طالباً من الصف الأول إلى الخامس، كما وجد أمين سر فرع الحزب خريج مدرسة ثانوية آخر في القرية ليعمل كمساعد لدونغ لاي؛ حيث تمّ تحويل منزل مهجور إلى مدرسة، وقام القرويون بإطلاق الألعاب النارية احتفالاً. وهكذا، تم تأسيس مدرسة خليج رقبة الإوزة الابتدائية.

وعلى الرغم من أن القرويين كانوا ينادون دونغ لاي «بالمدير»، إلا أنه لم يتمكن من تسجيل نفسه كمدرس رسمي في مديرية التربية في المقاطعة ليصبح مدرس قرية من خارج الملاك. وطالب دونغ لاي طلابه بألا ينادوه «المدير». لذا، حين كان يقف على المنصة في الصف، كان عشرات الأطفال الصغار يصرخون معاً: «صباح الخير يا أستاذ!».

وهكذا، انطلقت شيان غي بحماسة إلى خليج رقبة الإوزة، لكنها بعد أن بقيت في القرية لأكثر من أسبوع، غادرت باكية ومكسورة الخاطر؛ لدرجة أنها فقدت الوعي في ذلك اليوم...

في البداية، قام أمين سر فرع الحزب بمساعدة شيان غي في محاولة إقناع دونغ لاي للذهاب مع خطيبته، في حين تنافس القرويون على دعوة دونغ لاي وشيان غي إلى منازلهم لتناول الطعام، واستجمع الأهالي شجاعتهم لتوديعهما. لكن عدة مجموعات من الأطفال رفضت القبول بهذا الأمر. وحيثما مشت شيان غي في القرية، كانت تشعر بنظرات الأطفال مسلّطة عليها كسكاكين حادة.

ومع كل وجبة كانا يتناولانها في منازل القرويين، كان دونغ لاي يشرب حتى الثمالة، ثم يبدأ بالتعبير عن مشاعره الدفينة: «لا أريد ترك تلاميذي، لكن ليس أمامي خيار آخر. فمن سيحبني سوى شيان غي؟!».

وبعد أن يتمتم بتلك الكلمات، كان يقوم بضرب ساقه المشلولة، فيبكي القرويون وشيان غي والأطفال المحتشدون في الباحة...

وحين حان موعد رحيل دونغ لاي وشيان غي، خرجت القرية بأكملها لتوديعهما. لكن بعد أن ركبا القارب، لم يجد الناس أي مجذاف، فبدأ أمين سر فرع الحزب بالشتم، وأرسل الناس للبحث عن مجذاف. غير أنه لم يتم العثور على أي مجذاف في القرية بأكملها. واكتشف الناس في ما بعد أن الأطفال قد سرقوا جميع المجاذيف ليلاً وأضرموا بها النار.

وحين لم يجد أي حل آخر، طلب أمين سر فرع الحزب من عدة شبان القفز في الماء والسباحة لدفع القارب. فبدأ دونغ لاي وشيان غي بالبكاء وهما يلوّحان بأيديهما مودعين القرويين.

حينها، كان هناك عشرات الأطفال الواقفين على الضفة والذين راحوا يبكون بصوت مرتفع. وفجأة، صرخت فتاة باكية: «أرجوك يا أستاذ، لا تذهب مع تلك المرأة... انتظرني حتى أكبر وسأتزوجك!».

وصرخت فتاة أخرى: «وأنا أيضاً سأتزوجك!».

– وأنا أيضاً!

– كلنا سنتزوجك!

وبدأت عشرات الفتيات يصرخن، بينما وقف دونغ لاي مذهولاً.

وهكذا، استعاد التلاميذ أستاذهم دونغ لاي الذي ما زال حتى اليوم يقف على منصة التدريس في مدرسة خليج رقبة الإوزة الابتدائية، ويعيش أعزب يوماً بعد يوم.

عدت مؤخراً إلى قريتي في خليج رقبة الإوزة للقيام ببعض الأعمال، فالتقيت دونغ لاي بعد فراق عدة سنوات. وبينما كنا نحتسي النبيذ، ظل دونغ لاي يهز ذراعي ويسألني المرة تلو الأخرى: «أخبرني، هل أنا أحمق؟ هل أنا غبيّ؟ قل شيئاً...».

لكنني لم أجد أي كلمات لأجيب بها.

رسالة من ابن

شيانغ يو تينغ

على بعد أربعين كلم من المدينة، توجد منطقة جبلية خضراء وارفة الظلال، تنتشر فيها عشرات البيوت على طول جدول لمسافة تزيد عن الكيلومتر. كانت الأشجار الخضراء المنتشرة هناك تظلل الجدول الذي يُسمَع خرير مياهه لدى مرورها بالمنازل والأشجار... يا لها من قرية جبلية هادئة وجميلة!

كلّ يوم، يأتي ساعي البريد الشاب من مكتب البريد في المدينة إلى القرية بعد الغداء، راكباً دراجة شبه جديدة، وحاملاً أخبار العالم وراء الجبال!

ولم يكن القرويون يحتملون مشاهدة ساعي البريد الشاب وهو يبذل جهداً كبيراً في الانتقال من منزل إلى آخر لتسليم البريد، ولا سيما بعد أن قاد دراجته كل الطريق المؤدي إلى قريتهم. لذا، اتخذوا الترتيبات المناسبة لتسهيل مهمة ساعي البريد، حيث يقوم بتسليم البريد كله إلى مكتب في القرية، وبعد ذلك عند المساء تُستخدَم مكبرات الصوت للإعلان عن أسماء بعض القرويين ليذهبوا إلى مكتب القرية ومعهم خاتمهم الشخصي أو بطاقتهم الشخصية لاستلام بريدهم.

– تشاو ليانغ!

كان الصوت بالنسبة للعم تشاو ليانغ كمطر الصيف بعد جفاف طويل. لذا على الفور، رمى العجوز ما يحمله في يده، وتناول سترته المعلقة على شجرة صغيرة وارتداها، ثم توجّه مسرعاً إلى مكتب القرية. وما إن وصل إلى بوابة منزله حتى التفت نحو المنزل وصرخ بأعلى صوته: «شون ما! شونزي قد أرسل رسالة...».

وقبل أن يُنهي عبارته، وتندفع زوجته خارجة من البيت، كان العم تشاو ليانغ قد اندفع بفرح نحو مكتب القرية.

فبعد أن فشل ابنهما شونزي في امتحان القبول في الجامعة، تخلى عن حلمه بدخول الجامعة، ومسح دموعه ورضخ للأمر الواقع. وفي بداية ذلك الربيع، توجه جنوباً مع فريق بناء لبناء برج مرتفع في المدينة الجنوبية. وقد استطاع شونزي الانضمام إلى فريق البناء لأن العم تشاو تمكن من التواصل مع أحد معارفه في الفريق، وأقنعه بقبول شونزي. كان العجوزان قلقين لأن شونزي سيذهب إلى مكان بعيد لأول مرة في حياته. لذا، أكد العم تشاو على ابنه بأن يكتب لهما الرسائل. ولكنهما انتظرا من الخريف إلى الصيف، ومن الصيف إلى الخريف من دون أن يسمعا أي خبر من ابنهما؛ وها قد مرّت على رحيله نصف سنة تقريباً.

«أيها الوغد الصغير! لماذا استغرقت كل هذا الوقت لترسل لنا رسالة!».

كان يمسك الرسالة بيديه وهو يوبخ ابنه، من دون أن يتمكن من إخفاء فرحته التي بدت واضحة على وجهه.

كما بدت زوجته متحمسة أيضاً، وقامت بدعوة سي يون ليقرأ لهما الرسالة.

كان سي يون زميل شونزي في الدراسة في المدرسة الثانوية، وهو يعمل حالياً كمدرس بديل في مدرسة القرية الابتدائية.

«لقد أرسل لنا أخوك شونزي رسالة!».

ظلّت العمة تشاو تكرر هذه العبارة المرة تلو الأخرى. والآن، رغم أن الرسالة وصلت إلى يد سي يون، إلا أنها ظلت تكررها فرحة.

جلس سي يون على مقعد بلا مسند مسحته له العمة تشاو بكمها، وفتح الرسالة ببطء، وبدأ يقرأ:

«والدَيَّ المحترمين،

أرسلت لكما مبلغ ألفَي يوان... لذا، تأكّدا رجاء من المال واستلامه...».

كان العم تشاو ليانغ ينتظر الجملة التالية بلهفة، لكن سي يون طوى الرسالة وقال: «هذا كل شيء».

عندها، حملق العم تشاو ليانغ بسي يون وقال مندهشاً: «أهذا كل شيء؟!».

«ذكر في الرسالة أن النقود ستصل قريباً. لذا، أنصتا إلى مكبر الصوت خلال الأيام القليلة المقبلة. هذا ما كتبه فقط».

ثم أعاد سي يون الرسالة إلى العم تشاو ليانغ ونهض ليغادر.

فأوقفه العم تشاو ليانغ، وناوله الرسالة مجدداً وقال له: «ألقِ نظرة أخرى!».

فأجاب سي يون: «إنه يتكلم عن النقود التي سيرسلها... وما من شيء آخر فيها».

غير أن العم تشاو أصر قائلاً: «رجاء، ألقِ نظرة أخرى».

ثم قال لزوجته: «اغسلي بعض التمر لسي يون... اختاري التمور الكبيرة».

عندها، تناول سي يون الرسالة، وبدأ يقرأها باهتمام بالغ هذه المرة...

وفجأة، قاطع بكاء العمة تشاو الشاب سي يون، فحدق إلى المرأة العجوز التي كانت قبل دقيقة تبتسم ابتسامة عريضة مستغرباً.

وما كان من العم تشاو إلا أن وبّخ زوجته قائلاً: «هيه... ما خطبك؟».

لكن للنساء أسبابهن بالتأكيد؛ فقد صرخت العمة تشاو قائلة: «لقد غادر شونزي المنزل منذ فترة قصيرة، ولكنه جنى الكثير من المال... لا بد أنه يعمل بشكل مضنٍ».

أثرت كلماتها في زوجها، فأشار إلى سي يون كي لا يقرأ المزيد.

وفي المساء التالي، كان العم تشاو وزوجته يقطعان التبن في معلف البقر حين نادى مكبر الصوت في القرية باسم العم تشاو ليقبض حوالة نقدية. لكنّ الزوجين أكملا عملهما وكأنهما لم يسمعا شيئاً؛ فقد ظل أحدهما يشغّل قطاعة التبن، فيما الآخر يضع التبن فيها. وهكذا، استمر صوت قطاعة التبن بلا توقف.

ظلال

سونغ زي بينغ

«التلفزيون الملون لي، والثلاجة للين فينغ، ونظام الاستريو لي، لكن مشغل الأقراص المضغوطة له، والمفروشات لي، لكن جهاز الحاسب له...».

منذ اليوم الذي ذهبا فيه إلى كاتب العدل ليوثّقا ممتلكاتهما قبل الزواج، بدأت ميجوان بتفريق ممتلكاتهما؛ حيث كانت تنظر في أرجاء الشقة، وتشعر كما لو أن كل شيء يحمل طابعاً، واتضحت قائمة مفصلة في ذهنها. وسرعان ما أصبحت تتجهم وهي تتكلم مع زوجها: «لا تلمس تلفازي! انتبه. أنت لم تشترِ تلك المفروشات! أطفئ نظام الاستريو الخاص بي...».

وعلى الرغم من أن ميجوان لم تتعمّد ذلك، إلا أن الأمر كان يزعج لين فينغ كثيراً؛ غير أن الكلمات ظلت تخرج من فمها رغماً عنها.

قبل قليل كانا يتشاجران على حقيبة. فقد كان شقيق لين فينغ الصغير سيلتحق بجامعة بكين، وحين ذهب لين فينغ ليودّعه اكتشف أن الشاب لا يزال يستخدم كيساً قديماً لحمل ملابسه، فأخذ حقيبة جديدة من المنزل ليضع فيها ملابس أخيه. لم تكن ميجوان في المنزل حينها، ونسي لين فينغ أن يخبرها في ما بعد. لكن، حين لم تجدها ميجوان بعد عودتها من العمل يوماً، سألت لين فينغ الذي دخل المنزل بعدها عنها، فقام لين فينغ بتغيير حذائه، وغسل وجهه، ثمّ قال لها إنه أعطاها لأخيه الصغير. وعلى الفور، تجهم وجه ميجوان وصرخت: «ومن سمح لك بإعطائه إياها؟».

– لم تكوني في المنزل.

– إذاً، أعطيته إياها وأنا لست في المنزل!

– كنا على عجلة من أمرنا... ونحن لا نستعملها.

– أتتخلى عن الأشياء غير المستعملة؟! إنها لي، وأنا أريدها غير مستعملة!

– أنت... ها نحن مجدداً!

والتفت لي فينغ لينظر إلى ميجوان بذهول من دون أن يفهم سبب انزعاجها إلى هذه الدرجة، ثم قال: «أليست مجرد حقيبة؟ كما أنها ليست مستعملة».

«ولكنها لي».

ثم صرخ لين فينغ: «لك... إنها لك! نحن متزوجان منذ بضعة أشهر، ولكنك حتى الآن ما زلت تقولين لي... لي... كما لو أننا لسنا عائلة واحدة».

– الحقيبة لي.

– خذي كل ما هو لك... سأعيد لك الحقيبة غداً.

ثم خرج لين فينغ من البيت وصفق الباب خلفه غاضباً.

«أنا...».

عندها، وقفت ميجوان في غرفة الجلوس مذهولة مما حدث... وبدأت تتساءل: كيف تصرفت هكذا؟ ألأجل حقيبة غير مستعملة؟! هل كانت تستحق الشجار؟ هل السبب في سلوكي هذا هو توثيق الممتلكات لدى كاتب العدل؟ لماذا نقوم بالتفريق بين الزوج وزوجته؟ لماذا نحن بحاجة إلى توثيق الممتلكات ونحن زوجان؟ يا له من قرار لا حاجة له! لقد تباعدنا عن بعضنا كثيراً بعد الزواج.

وبدأ الشعور بالندم يطغى عليها وهي توبّخ نفسها بشدة.

في البداية، لم تكن تنوي توثيق الممتلكات لدى كاتب العدل، إلا أنه صدف أن بعض الناس كانوا يثرثرون حول مزايا القيام بتوثيق الممتلكات قبل الزواج في مكتب تسجيل الزواج، ما لفت انتباه ميجوان، وظنت أنها إن قامت بتسجيل ممتلكاتها فلن ينظر الناس إليها نظرة دونية. وحين سألت لين فينغ عن رأيه أجابها بعدم اكتراث: «إن كنت تريدين القيام بذلك فلا مانع لدي».

وهكذا، قاما بتوثيق ممتلكاتهما قبل الزواج لدى كاتب عدل.

لكنّ توثيق الممتلكات أنشأ حاجزاً جليدياً بارداً في قلب ميجوان، ومنعها من الاندماج في الحياة الزوجية الجديدة مهما حاولت، ولم تستطع التخلّص من ذلك.

وهكذا، بدأت ميجوان تدرك أن المشكلة تكمن في تأكيدها المفرط على حقوقها الملكية. وحين تعب لين فينغ من الطواف بلا هدف في الخارج عاد إلى المنزل، فنهضت ميجوان واعتذرت منه ممازحة، ولكنه دفعها بعيداً عنه باشمئزاز، فاقتربت منه مجدداً، ونظرت إليه ببراءة وحزن، فما كان منه إلا أن ضمّها بين ذراعيه قائلاً لها: «لا تفعلي ذلك مجدداً... هل اتفقنا؟». فاستكانت ميجوان على صدره كفتاة صغيرة، وأومأت موافقة.

لكن، لم يمر أسبوع قبل أن يتشاجرا مجدداً بسبب مشاهدة التلفاز. فقد كان لينغ فينغ يريد مشاهدة فيلم أجنبي، لكن ميجوان أصرت على مشاهدة مسلسل تلفزيوني يدعى الإمبراطور كان غشي يسافر متنكراً. عندها، تشبّث لين فينغ بجهاز التحكم بالتلفاز رافضاً مشاهدة المسلسل، بينما حاولت ميجوان سحبه منه. وحين عجزت عن ذلك، نهضت وأطفأت التلفاز وهي تقول: «هذا التلفاز ملك لي أيها المتنمر!».

وما إن خرجت تلك الكلمات من فمها حتى ذهل الاثنان. وما كان من لين فينغ إلا أن ترك جهاز التحكم عن بعد، وحدق إلى ميجوان صارخاً في وجهها: «هذه الشقة ملكي! لذا، اخرجي منها لو سمحت».

صدمت ميجوان حين سمعت توبيخ لين فينغ، ونظرت إليه بنظرات مثيرة للشفقة وتوسلت إليه قائلة: «سأغادر، لكن اسمح لي بالبقاء هنا هذه الليلة».

شعر لين فينغ بتأنيب الضمير حين رأى تعابير ميجوان اليائسة فقال لها: «ميجوان... أتوسل إليك... أيمكنك ألا تتصرفي بهذه الطريقة مجدداً؟».

- لا أريد التصرف هكذا، ولكنني لا أستطيع السيطرة على نفسي.

- وما هو الحلّ برأيك؟

- ليست لدي أدنى فكرة؟

- إذاً، هل أنت مريضة؟

– أنا...

لم تعرف ميجوان ما يجب عليها قوله، وفكرت في أنها ربما تكون مريضة بما أن هناك مشاعر متضاربة تمزق أعصابها.

وحين دام صمتها طويلاً، قال لين فينغ: «فلنتوقّف عن قول لك ولي؛ فنحن زوجان... أليس كذلك؟».

ثم تناول كتاباً وتوجّه إلى غرفة نومهما.

إلا أن ظلال وثيقة تسجيل الممتلكات ظلت تلاحقها ككابوس يظهر في أسوأ الأوقات. ففي إحدى عطلات نهاية الأسبوع، جاء زميل لين فينغ ليستعير الكاميرا منه، فنظرت إليه ميجوان باستنكار. وبعد أن غادر زميل لين فينغ، قالت له بوجه بارد: «لا تُعِر أغراضي...».

«ها نحن ذا! ألن ننتهي من هذا الموضوع؟!».

وهنا، انفجرت عاصفة رعدية في رأس ميجوان... وبدأت تفكّر في سرّها: لا بد أنه لا يمكن علاجي.

وفي النهاية انفصلا. وبمساعدة وثيقة تسجيل الممتلكات قبل الزواج لم يواجها أي مشاكل في تقسيم ممتلكاتهما، ووافقت المحكمة على طلاقهما فوراً، فأخذ كل منهما ممتلكاته.

وبينما كانا خارجين من المحكمة في ذلك اليوم، بدا لين فينغ كئيباً ومشاعره معقدة، وقد أذهلته شمس الخريف المشرقة والأوراق الخضراء على الأشجار الوارفة. ومن ناحية أخرى، شعرت ميجوان بالراحة نوعاً ما، باستثناء بعض الخزي الذي ظل مسيطراً على ذهنها. وحين رأت لين فينغ ينظر ببلادة إلى الشارع ذكرته بانفعال: «في زواجك التالي، لا تقم بتوثيق ممتلكاتكما».

ثم غادرت مبتسمة ابتسامة مصطنعة.

وبينما كان لين فينغ يشاهد ميجوان وهي تمشي مبتعدة، لم يستطع تمييز الشعور المسيطر على قلبه.

الشجار

هي بايوان

كان آه شي يتناول طعام الفطور في المنزل في صباح شتوي حين سمع ابن عمه آه ليانغ يناديه من باحة المنزل، فأدخله على الفور.

كان كل من آه لينغ وآه شي مزارعين، وقد جنيا بعض المال من الزراعة وتربية الماشية والنقل في السنوات الماضية، وبنيا منزلين جديدين على طراز المنازل ذات الطوابق الثلاثة، بالإضافة إلى علية.

دخل آه لينغ منزل ابن عمه، وجلس على أحد المقاعد، ثم راح ينظر حوله إلى مفروشات ابن عمه، وبعد ذلك قال بصراحة: «أعاني من ضائقة مالية شديدة في الآونة الأخيرة. وقد حوّلت لك عشرين ألف يوان عند بنائك هذا المنزل الجديد قبل سنتين، وها قد حان الوقت لتعيد لي المال الآن».

لم يكن الناس في منطقتهما يحبون استخدام كلمة «اقترضت»، ولهذا كانوا يستخدمون بدلاً عنها كلمة «حولت».

ما إن سمع آه شي كلمات ابن عمه حتى احمرت عيناه، ووضع طبقه على الطاولة قائلاً: «هل أنت متأكد؟! لقد أعدت لك المال في الشهر الماضي... أليس كذلك؟ أتذكر تماماً أنني أعطيتك المال الذي أدين لك به. وقد كانت زوجتك هناك... إنها شاهدة على ذلك!».

وحين سمعت زوجة آه شي الجدال خرجت من المطبخ، وخاطبت آه لينغ كما تخاطب طفلها: «أيها العم الكبير، غادر آه شي المنزل في ذلك اليوم حاملاً النقود، وقال إنه سيُعيد إليك

المال الذي استدانه منك... ألا تذكر ما حصل في ذلك اليوم؟».

ومن دون أن يبدو عليه الغضب أو القلق أجاب آه لينغ: «لا أدري إن كان قد أخبرك في ذلك اليوم بأنه سيعيد لي المال. ولكن، حتى إن فعل ذلك، فلا شيء يثبت أنه جاء إلى منزلي. وحتى إن جاء إلى منزلي فلا أحد يمكنه أنه يثبت أنه أعاد لي المال».

ثمّ أخرج صك الدين من جيبه ولوح به قائلاً: «ولماذا لا يزال هذا الصك في يدي ما دمت تقول إنك قد أعدت لي المال؟».

عندها، استشاط آه شي غضباً، وانحنى واختطف الصك من يد آه لينغ ومزقه على الفور ثم قال غاضباً: «لم أكن أتوقع أن الثراء القذر سيعميك عن أخوّتنا... صحيح أنّني نسيت أخذ هذا الصك منك في ذلك اليوم، ولكنني لم أتوقّع قطّ أنك ستصبح قاسي القلب إلى هذه الدرجة، وأنك ستحاول ابتزازي بسبب إهمالي. وما دمت طماعاً إلى هذه الدرجة، فلماذا لا تخرج وتسرق الناس مباشرة؟!».

غير أن آه لينغ ظل هادئاً وابتسم قائلاً: «كنت أتوقع ردة فعلك تلك، لذا أنا لا أكترث لما فعلتَه منذ لحظات؛ فالورقة التي مزقتها مجرد نسخة، أما الصك الأصلي ففي مكان آمن في منزلي».

ثم مشى خارجاً من بيت آه شي وهو يقول: «يجب على الجميع الالتزام بالقانون، والدليل الذي أملكه قاطع. لذا، إن كنت ترغب بالاعتراف بالحقيقة والحفاظ على أخوتنا فأعد لي نقودي. أما إن كنت مصراً على سلوكك غير منطقي فسآخذك إلى المحكمة، حيث ستجبر على إعادة مالي إليّ، وعلى دفع التكاليف القانونية. إن كنت لا تزال مصراً على موقفك فانتظر قدوم رجال الشرطة!».

عندها، وقف آه شي أيضاً وصرخ في وجه ابن عمه: «اذهب إلى بيتك وانتظر إلى ما لا نهاية... فأنا لن أعطيك شيئاً لأنني أعدت إليك المبلغ كله».

وخلافاً لتوقعات آه شي، كان آه لينغ يقصد فعلاً ما قاله؛ فقد رفع دعوى ضد ابن عمه في المحكمة. وبعد عدة جلسات، خسر آه شي الدعوى، وألزم قرار المحكمة آه شي بإعادة المال كله إلى آه لينغ خلال خمسة عشر يوماً، بالإضافة إلى دفع التكاليف القانونية.

وفي اليوم الخامس عشر، أي في الموعد النهائي الذي منحته إياه المحكمة، حمل آه شي كيساً يحتوي على كدسة سميكة من النقود، وتوجّه إلى منزل آه ليانغ ورمى الكيس على الطاولة صارخاً: «ها هو المال! افتح عينيك القذرتين وتأكد! اذهب واشترِ أفضل كفن بهذه النقود!».

خلال السنوات الأربعين التي عاشها آه شي لم يسبق له أن شتم أحداً أو جرح مشاعر أحد يوماً، ولكنه كسر تلك القاعدة في ذلك اليوم، وضغط بيده على الكدسة السميكة من النقود وقال لآه لينغ: «إن تجرأت على لمس المال من دون أن تعطيني الصك الأصلي فستكون لصاً حقيقياً».

عندها، أعطى آه لينغ ابن عمه الصك مبتسماً ابتسامة ساخرة قبل أن يأخذ النقود.

مزق آه شي الصك غاضباً ورمى القطع الصغيرة في وجه ابن عمه، ثم غادر.

وعند المساء، دخل آه لينغ منزل آه شي حاملاً كدسة النقود نفسها التي رماها ابن عمه على الطاولة في صباح اليوم نفسه، وقال لآه شي الذي كان لا يزال يستشيط غضباً: «آه شي، لم يكن هدفي أن أبتزك لأحصل على المال، وإنما أردت أن أعلمك درساً. فالسوق اليوم قد غير الكثير من الأمور بالنسبة لنا، وإن لم نغيّر طرائقنا القديمة في القيام بالعمل من خلال الأخوة والصداقة فسنورط نفسينا في متاعب لا نهاية لها. فأنتَ حين أعدت لي المال في المرة الأولى لم تطلب الصك؛ الأمر الذي ورّطك في المحاكم، وجعلك تتكبد خسائر أخرى. وقد جادلت في المحكمة كثيراً، ولكن بلا جدوى... لأنك في النهاية خسرت القضية».

ثمّ اقترب آه لينغ من ابن عمه، ووضع النقود في يده قائلاً: «اعتبر أنّ التكاليف القانونية التي دفعتها ثمنٌ لتعلمك هذا الدرس».

تسديد الدين

وانغ شيونغ هوا

قال لزوجته: «لم أعطِ أبي سوى نصف النقود التي أعطيه إياها كل سنة».

فسألته زوجته محتارة: «لماذا فعلت ذلك؟! سيكون من الصعب بالنسبة إليك أن تعود إلى مدينتك مجدداً، فلماذا أعدت معك نصف المبلغ المخصص لعائلتك؟».

عندها، تردد قليلاً ثم أخبرها أن هناك صبياً فقيراً جدّاً يقيم في الزقاق وراء منزل عائلته القديم، وأنه لا يستطيع دفع تكاليف دراسته في المدرسة الثانوية. وقد جمعت أم الصبي كل النقود التي ادخرتها عائلتها لشراء مستلزمات السنة القمرية الجديدة من أرز ولحم وزيت... ولكنها لم تستطع دفع تكاليف دراسة الصبي. ولهذا السبب، أعطى ذلك الصبي نصف النقود التي كان قد أخذها معه لوالديه».

«إذاً، لا بأس في ذلك».

وقبل مرور وقت طويل، تلقى رسالة شكر من ذاك الطالب في المرحلة الثانوية. وقد أثرت فيه إحدى الفقرات كثيراً، فقد جاء فيها:

«لقد قدمت لي يد العون في أصعب لحظات حياتي. ولولاك لشعرت بالوهن، ولما حلمت بالحصول على مستقبل أفضل. سأذكرك طوال حياتي، وسأسدد لك الدين».

فقالت له زوجته حين قرأ لها الرسالة: «هناك شخص ما يريد أن يسدد لك الدين، وهو يقدّر ما فعلته من أجله... أليس هذا رائعاً؟».

وبعد بضعة أشهر، علم الرجل يوماً أن هناك فصلاً دراسياً جديداً سيبدأ، وفكر في أن الشاب سيناضل لتأمين المال اللازم لدفع تكاليف دراسته. ولهذا طلب من أقاربه في المدينة أن يحاولوا معرفة وضع الشاب، فتبين له أنه كان محقاً. عندها، ناقش القضية مع زوجته قائلاً: «إن لم نساعد الصبي مجدداً فسيذهب دعمنا السابق له سدى... أليس كذلك؟».

فأومأت زوجته مؤيدة صحة ما قاله، ولكنها عبرت عن قلقها: «لكننا نمر حالياً في ضائقة مادية أيضاً...».

ولكن، يبدو أنه سبق له التفكير في الوضع مسبقاً، إذ قال: «نستطيع دفع كلفة ذهاب ابنتنا إلى الحضانة بواسطة الحافلة وإلغاء عودتها بالحافلة. فالحضانة لا تبعد سوى أربعة مواقف عن المنزل، وسأحضرها إلى المنزل على دراجتي كل يوم منذ الآن فصاعداً».

في اليوم نفسه، أرسل المال إلى عائلة الشاب.

وبعد فترة قصيرة، تلقى رسالة من طالب الثانوية الذي كان ممتناً له بالكامل، ووعده بتسديد الدين مجدداً.

وبعد فترة، كتب له الطالب رسالة أخرى يخبره فيها أنه قد قُبِل في الجامعة. ولكن بغض النظر عن مدى محاولاته هو وأفراد عائلته جمع المبلغ اللازم للدراسة فيها إلا أنهم لم يتمكنوا من جمع سوى عدة آلاف يوان؛ أي المبلغ المطلوب كرسوم تسجيل. وحين قرأ الرجل الرسالة قطّب حاجبيه، فتناولت منه زوجته الرسالة وقرأتها، ثم اقترحت عليه: «فلنساعده مجدداً. فحين حاولنا دخول الجامعة تنافسنا مع ملايين المرشحين لنتمكن من عبور ذلك الجسر وفشلنا. أما هو فحظه أفضل. ولو أننا نجحنا في عبور ذلك الجسر الضيق حينها لما كنا الآن عالقين في هذا المصنع شبه الميت».

– لكننا لا نملك هذا المبلغ الكبير.

– إذاً، لنقترضه من زانغ العجوز الذي يقيم في الطابق الأسفل.

– ولِمَ قد يقوم زانغ العجوز بإقراضنا هذا المبلغ الكبير؟!

– مممم... أليس زانغ العجوز راغباً في شراء غرفتنا الصغيرة المطلة على الشارع؟ لنبعه إياها.

–   ولكنني كنت أفكر في أنه في حال أغلق مصنعنا، فقد نتمكن على الأقل من تحويل تلك الغرفة الصغيرة إلى متجر صغير.

–   لكنّ هذا الطلب مستعجل.

وبعد أن ظلاّ يفكران في الأمر طوال الليل، نهض في الصباح الباكر وتوجه إلى منزل زانغ العجوز، ثم عاد بعد وقت قصير حاملاً مبلغ خمسة آلاف يوان.

وسرعان ما قام الطالب بإرسال رسالة أخرى يخبرهما فيها أنه وأفراد عائلته جميعاً ممتنون له، وأنهم جميعاً يرغبون في تسديد الدين في المستقبل. كما وعد الطالب في رسالته بدفع كامل المبلغ بعد تخرجه من الجامعة.

عندها، سألته زوجته: «وكيف سيسدِّد لك الدين؟».

–   إما نقداً أو بشكل آخر. ولكنه على الأغلب سيسدِّده نقداً.

–   يا له من فتى!

وشعرت زوجته بالرضا التام لدى قراءتها رسالة الطالب، كما شعرت بأنه لا ينبغي لهم القبول بتسديد الدين نقداً من الشاب.

وأخيراً، لم يتبقَّ أمام الشاب سوى فصل واحد ليتخرج من الجامعة.

فتلقى الرجل رسالة من الطالب يخبره فيها أن منزله قد أصيب بكارثة طبيعية، حيث تجمدت الماشية وماتت. وأنه لن يتمكن من دفع تكاليف الفصل الأخير. عندها، ذهل الرجل كثيراً... ولم يعرف ما يجدر به فعله. إذ كانت زوجته مصابة بالتهاب حاد في الكلية وتتناول الأدوية، والنقود التي بحوزته بالكاد تكفي لشراء الدواء لها.

تنهد وخرج من البيت، ثم عاد حاملاً كيس الدواء.

وبعد بضعة أيام من تناول زوجته للدواء الذي اشتراه لها، وقبل أن يخلدا للنوم سألها: «هل تواجهين ردة فعل مختلفة من الدواء الذي اشتريته لك هذه المرة؟».

«لا شيء واضح... يبدو نفسه».

فأطبق أسنانه وسألها: «هل تناولت حبتين في كل مرة كما كنت تفعلين من قبل؟».

– مممم.

– مقارنة بالجرعة التي أحضرتها لك في المرة الماضية، ووفقاً للوصفة عليك أن تتناولي أربع حبات في كل مرة.

– أعرف... الدواء الذي اشتريته هذه المرة لا يحتوي إلا على نصف الجرعة.

– ولماذا لم تشتكي؟

– رأيت رسالة الطالب، وخمنت أنك تحاول ادخار نصف ثمن الدواء لمساعدة الشاب... أنت لم تفعل أي خطأ... ينبغي أن نبذل قصارى جهدنا لمساعدته!

وفي تلك الليلة، بكى الرجل.

وبعد مرور فترة من الزمن، كتب لهما الطالب رسالة أخرى يقول فيها إنه سيأتي برفقة أمه إلى المدينة لزيارتهما. فقال الرجل لزوجته: «تلك العائلة صادقة للغاية. فهما يريدان زيارتنا ليسددا لنا الدين، ما يعني أن الشاب قد تخرج للتو».

«إذاً، ينبغي لنا ألا نقبل النقود التي سيعيدانها الآن مهما حاولا إقناعنا. فهو لم يتخرج إلا قبل بضعة أيام. لذا، كم من المال سيكون قد ادخر!؟».

وبعد بضعة أيام، وصل الطالب وأمه إلى منزلهما.

فقالت أم الشاب: «ابني يشعر بالإحراج من قول ذلك لكما. ولهذا أتيت بصفتي أمه لأسألكما».

فسألها الرجل: «وما هو هذا الأمر المحرج؟».

«سنسدّد لكما دينكما في أقرب فرصة. لكن ابني لم يتمكن من العثور على عمل مناسب بعد، وها قد مضت ستة أشهر على تخرجه. لذا، أتينا لنطلب منك أيها المحسن العظيم أن تساعد ابننا في العثور على عمل ثابت هنا».

وحين سمع الرجل ذلك الطلب الأخير، شعر كما لو أنه تلقى ضربة على رأسه، ولم يعد قادراً على التفكير.

اقتراض المال

هان تشانغ يوان

زانغ العجوز عامل متقاعد. ومنذ تقاعده بدأ يشعر بأن الأيام أكثر رتابة، وأصبح أكثر حزناً مع مرور كل يوم. إذ لم يكن ممن يستمتعون بلعب الورق أو مشاهدة التلفاز، وإنما كانت هوايته الوحيدة قراءة الكتب. لكن على الرغم من قراءته الكتب طوال اليوم، فقد ظل يعاني من التقلبات المزاجية غير المتوقعة.

كان زانغ العجوز وزوجته يعانيان من ملل قاتل، لذا بدأا يتناقشان في أمر البدء بعمل جديد لقتل الوقت.

وبعد تحضير دام لأسبوعين، افتتح زانغ العجوز وزوجته كشكاً صغيراً في حيهما لبيع المعجنات المقلية والحساء الحار في الصباح الباكر. وبدلاً من محاولتهما ادخار المال كما يفعل الآخرون، كانا يسعيان فقط لملء الفراغ في يومهما بعد التقاعد، ولإثراء ذهنيهما الفارغين.

وقد أسعد أسلوب حياتهما الجديد زانغ العجوز الذي كان يحب مساعدة الآخرين. ولهذا، حين طلب منه شاب اقتراض عشرة يوان، أعطاه زانغ العجوز المال من دون أدنى تردد.

كان الشاب يقود دراجته بسرعة، وحين مرّ قرب زانغ العجوز سأله: «أيمكنك أيها العم أن تقرضني عشرة يوان؟ فدراجتي بحاجة إلى إصلاح».

فكر زانغ العجوز في الأمر بسرعة، ثم أعطاه المال؛ إذ بدا له الشاب لطيفاً.

وقبل أن يغادر الشاب، صرخ قائلاً له بصوت عالٍ: «شكراً لك أيها العم... سأعيد لك المال بالتأكيد!».

شعر زانغ العجوز بالسعادة لأنه تصرّف بكرم، وتحسّن مزاجه أكثر من ذي قبل، فصرخ قائلاً للشاب الذي يقود الدراجة: «لا بأس... خذ وقتك».

وفي الصباح التالي، شعر زانغ العجوز بالارتباك؛ وكأن هناك خطباً ما، وبدأ يسأل زوجته المرة تلو الأخرى: «أيمكن أن يكون ذلك الشاب محتالاً؟»".

وكانت زوجته مشغولة ببيع الفطائر والمعجنات المقلية لذا تجاهلته؛ مما زاد من العبء على ذهن زانغ العجوز.

وفي صباح اليوم الثالث بعد تلك الحادثة، كان زانغ العجوز متقلب المزاج كما في اليوم السابق؛ فالشاب لم يظهر، ولا حتى عند انتهاء زانغ العجوز وزوجته من العمل في ذلك اليوم... كيف يستطيع ذلك الشاب أن ينكث بوعده؟!

وهكذا، مرّ اليوم الرابع فالخامس... حتى مضى شهر كامل من دون مجيء الشاب. عندها، أصبح زانغ العجوز بحالة مأساوية، وشعر كما لو أنه مرميٌّ في السجن.

«لن أسامحه إن تجرأ على الظهور هنا... كيف يستطيع شباب هذه الأيام أن يفعلوا هذا.

ظل زانغ العجوز ينتظر كل يوم عودة ذلك الشاب... لم يكن يكترث للمال، وإنما كان يرغب بتلقين ذلك الشاب درساً لأنه لم يفِ بوعده. وهكذا، مع مرور الوقت، بدأ البؤس يسيطر عليه... مرّ يوم آخر، وفجأة رأى زانغ العجوز الشاب يقود دراجته أمام متجره فاندفع خارجاً كالوحش وصرخ: «لقد عدت أخيراً أيها الشاب! أتذكر أنك اقترضت مني عشرة يوان منذ شهرين؟ هل نسيت؟».

فضرب الشاب جبهته بيده وقال محرجاً: «أجل يا عم... أنا آسف للغاية... لقد نسيتها».

وبينما كان يعتذر لزانغ العجوز، أخرج الشاب محفظته من جيبه، فوجد أنه لا يحمل سوى ورقة من فئة عشرين يوان، فناولها لزانغ العجوز الذي بحث في جيوبه ولكنه لم يجد ورقة من فئة عشرة يوان. وبينما كان على وشك التوجه إلى متجر قريب ليسأل صاحبه إن كانت لديه فكة، قال الشاب وهو يقود دراجته مبتعداً: «لا بأس يا عم... أعطني المبلغ الباقي غداً صباحاً».

وفي الصباح التالي، لم يظهر الشاب، وكذلك في الصباح الثالث.

وبعد مرور شهر ثم شهرين... لم يعد زانغ العجوز يحتمل العبء، وشعر بالاختناق من عدم حضور الشاب لأخذ ماله. وفي النهاية، قام بإغلاق الكشك.

وهكذا، اختفى الشاب إلى الأبد.

الببغاء الميت

هاي تشينغ تشينغ

انتهى البرنامج التلفزيوني، فبدأ لاو وانغ يستعد للذهاب للنوم. وفي تلك اللحظة، قفز قطه من الشرفة، وبين أسنانه طائر أدرك لاو وانغ على الفور أنه ببغاء لاو لي من الشقة المجاورة. عندها، ضرب لاو وانغ قطه بقوة، فأسقط الببغاء أرضاً، وراح يموء وهو يتراجع إلى ركن بعيد، بينما التقط لاو وانغ الببغاء ليفحصه... تباً! إنه ميت. عندها، اندفع لاو وانغ إلى الشرفة ليسترق النظر إلى شرفة جاره المظلمة، فلم يرَ سوى قفص طائر فارغ يتأرجح بلطف مع نسيم المساء. فكّر لاو وانغ في أن الزوجين العجوزين لاو لي وزوجته يلعبان الماجونغ في مكان ما، ثم نظر إلى قطّه شزراً قائلاً له:

«يا لك من مثير للمشاكل! أيها القط اللعين!».

غير أنّ القط كان يلعق شفتيه وهو ينظر إلى الببغاء الميت في يد لاو وانغ بطمع.

عندها، بدأ لاو وانغ يتساءل عمّا يجدر به فعله؛ فجاره لاو لي متيم ببغائه، ويتباهى أمام الجميع بذكاء طائره الذي يستطيع تقليد الكلمات البشرية وحتى صياح الديك... لقد كان طائراً رائعاً، فكلما خرج لاو وانغ ليسقي الأزهار على الشرفة في الصباح، كان الببغاء على الشرفة المجاورة يبدأ بالوثب والتغريد والثرثرة بلا كلل. إلا أن الطائر الصغير بدا في الآونة الأخيرة حزيناً؛ إذ صار يحني رأسه كثيراً، ويرفض النطق بأي كلمة، في حين أن قطه كان يرفع رأسه وينظر إلى جاره بتوعد... كان يجب على لاو وانغ أن يدرك أن هناك خطباً ما، ولكنه لم ينتبه.

من كان يتوقّع أن يمدّ قطه مخالبه الآثمة نحو ذلك الطائر الرائع؟!

وعلى الرغم من أن ما حصل كان مجرد عداوة قاتلة بين قط وببغاء، إلا أن لاو وانغ أحس بعدم الارتياح... أينبغي له الاعتراف للاو لي بالجريمة التي ارتكبها قطه؟ هل سيسامحه لاو لي ولا يطالب بتعويض مادي؟ صحيح أن الببغاء ليس باهظ الثمن، لكن العلاقة بين الجارين المقربين قد تتراجع بسبب قتل قطه الطائر الجميل... ترى، أيجب عليه إخفاء ما فعله قطه عن لاو لي؟ كيف يمكنه نسيان الحادث؟! فقطه هو الذي قتل ذلك الطائر الرائع!

وهكذا، بعد شعوره بالكثير من القلق، خطرت للاو وانغ فكرة رائعة. وعلى الفور، أخذ الببغاء الميت وغسله جيداً، ثم جففه بمجفف الشعر ومشط ريشه المنكوش، وأخيراً تسلق إلى شرفة جاره بينما كان المنزل خالياً، وأنزل القفص ووضع الببغاء الميت فيه قبل أن يعلقه مجدداً. وبعد أن أنهى كل شيء، كانت أنفاسه تتقطع والعرق يتصبب منه وهو يتنهد بارتياح... لقد مات الببغاء في قفصه ميتة طبيعية ومسالمة... لن يتوقع لاو لي قطّ أن حيوانه المحبوب قد لقي حتفه على يد قط جاره.

وفي تلك الليلة، نام لاو وانغ نوماً عميقاً.

وفي الصباح التالي، استيقظ لاو وانغ على صوت صرخة لاو لي الصادرة من الشرفة المجاورة، فتذكر ما فعله في الليلة الماضية، وطار النوم من عينيه على الفور، وسرعان ما قفز من السرير، واندفع إلى الشرفة، وسأل جاره متصنعاً الدهشة: «ماذا حصل يا لاو لي؟».

«حصل أمر غريب... غريب للغاية! لقد مات هذا الببغاء البارحة مساء، فرميته في سلة القمامة في الأسفل. لكن، انظر... لقد عاد إلى القفص!».

عند سماعه كلمات لاو لي، شعر لاو وانغ بمشاعر معقدة، وراحت الأفكار تدور في عقله.

القفل المكسور

زو شوي وان

اتصلت بي حبيبتي في وضح النهار قائلة: «أريدك الآن!».

«أنا مشغول للغاية حالياً... ولا أظن أنه بإمكاني المجيء الآن».

وبعد صمت قصير قالت: «تعال إلى منزلي لوقت قصير فقط».

كان منزلها قريباً من المكتب، ولا يبعد سوى ثلاث دقائق مشياً على الأقدام، لذا قلت بذعر: «وماذا لو جاء زوجك إلى المنزل؟».

«ألا تفهم؟ أكثر الأماكن خطورة هو أكثرها أمناً، كما أنه أكثر راحة وإثارة».

بعد أن دخلت منزلها، اندفعت نحوها كنمر جائع، فدفعتني بلطف قائلة:

«انتظر لحظة... لنبدأ بالأولويات».

فأبعدت ذراعي عنها، وحدقت إليها مستفسراً.

وعلى الفور، مزّقت ورقة من دفتر، وكتبت عليها: «حبيبي... قفل بابنا مكسور، وقد ذهبت لإحضار صانع أقفال ليصلحه وسأعود على الفور».

ثم ألصقت الملاحظة على باب المنزل من الخارج، وأقفلت الباب من الداخل، وأغلقت قفل السلامة.

فربّتت على وجهها وقلت لها: «أنت ذكية للغاية... فحتى لو عاد زوجك إلى المنزل ولم يستطع فتح الباب فلن يشعر بالريبة».

ثم بدأنا نمارس الجنس بتعطش وجنون... ومتعة لا مثيل لها!

لا يمكنني أن أذكر كم مرة قمنا بممارسة الجنس في منزلها بهذه الطريقة. لكن في إحدى المرات، وبينما كنا في قمة النشوة سمعنا صوتاً من خارج الباب، فأنصتنا جيداً، وأدركنا أن أحداً ما يحاول فتح الباب ويدير المفتاح في القفل.

وبما أن الباب موصد من الداخل لم يتمكن ذلك الشخص من فتحه من الخارج.

وفجأة، بدأ هاتف حبيبتي المحمول بالاهتزاز، فأجابت على الاتصال بكل هدوء:

«أهلاً عزيزي... لقد غادرت المنزل... سأحضر صانع أقفال ليفتح لنا الباب على الفور، لأن قفل الباب مكسور».

فقال لها زوجها:

«أنا واقف أمام الباب، وقد قرأت الملاحظة التي كتبتها... إلى كم من الوقت ستحتاجين حتى تصلي إلى المنزل؟».

عندها، أسندت رأسها براحة على ذراعي وهي تداعب جسدي، وقالت لزوجها: «قد أستغرق بعض الوقت لأن صانع الأقفال مشغول».

«إذاً، لن أنتظر... بعد إصلاح القفل أحضري لي حقيبتي».

وكانت الشقة تتميز بعزلها للصوت؛ ما يعني أن الناس لا يمكنهم سماع أي صوت من خارج الشقة.

رفعت حبيبتي طرف الستارة لتراقب زوجها وهو يغادر المبنى، ثم قالت لي: «فلنكمل ما كنا نقوم به».

وبدأنا مجدداً، وسرعان ما عاد إلينا التناغم الممتع.

وبعد انتهائنا، أمسكت بخصرها النحيل وتغزلت بها قائلاً: «أنت فاتنة فعلاً... كما أنك ذكية جداً».

وفي صباح أحد الأيام، توجّهت إلى منزلي لإحضار ملف. غير أنني حين أخرجت المفتاح لفتح الباب رأيت ملاحظة تركتها لي زوجتي على الباب، وقد جاء فيها:

«حبيبي... قفل بابنا مكسور، وقد ذهبت لإحضار صانع أقفال ليصلحه وسأعود على الفور».

أدخلت المفتاح في القفل محاولاً فتحه، ولكنه لم يفتح، وإنما بدا كما لو أنه مقفل من الداخل.

عندها، أظلمت الدنيا من حولي، وشعرت بالدوار... يا إلهي! لا بد أن زوجتي تقيم علاقة مع حبيبها في منزلنا!

لذا، أخرجت هاتفي المحمول، واتصلت بزوجتي فأجابتني بهدوء: «أهلاً عزيزي... أنا أحاول العثور على صانع أقفال ليصلح لنا قفل الباب، لأنه عالق».

هراء! لا بد أنها في الداخل مسندة رأسها على ذراع حبيبها وهي تكذب عليّ عبر الهاتف! كيف يمكن أن تنتشر مهارات النساء في علاقاتهن خارج الزواج بهذه السرعة؟ لو لم أكن شاهداً على أسرارهن لما اكتشفت ذلك الكذب... الفاجرة! أتريدني أن أكون ديوثاً؟ هذا مستحيل!

غير أنني بذلت كل ما بوسعي لأهدّئ من غضبي، وقلت لها عبر الهاتف: «إذاً، لن أنتظر... أرجو أن تحضري لي ذلك الملف الموجود على طاولة المكتب بعد أن تتمكني من فتح الباب».

ونزلت على السلم بخطى ثقيلة وأنا أشعر بأنني مراقب من وراء طرف الستارة المرفوعة، ثم اختبأت وراء زاوية ودخنت سيجارة، وبعدها عدت بهدوء وانتظرت خارج منزلي حتى يخرجا... فما إن يفتحا الباب من الداخل حتى أفاجئهما وأمسك بهما متلبسين.

وقفت أمام باب بيتي مستعداً للهجوم، لكنني تفاجأت حين ظهرت زوجتي برفقة رجل آخر؛ فهما لم يخرجا من داخل الشقة، وإنما جاءا من أسفل الدرج! وكان الرجل يحمل حقيبة معدات على كتفه.

تفاجأت زوجتي أيضاً، وسألتني: «ألم تقل لي إنك ستغادر؟!».

فاختلقت قصة، وقلت لها إنني سمعت صوتاً من وراء الباب، وقلقت من أن يكون هناك لص داخل المنزل، لذا وقفت مستعداً لضرب الدخيل. ثم التفت وقلت للرجل: «أرجوك يا سيدي،

افتح الباب بسرعة لنتحقق».

استغرق صانع الأقفال الكثير من الوقت حتى فتح الباب. وبالطبع، لم يكن هناك أحد في الداخل، ثم قال صانع الأقفال: «إن نوع القفل الذي تستخدمونه ينكسر بسهولة... لِمَ لا تقومان بتركيب قفل الأمان الذي لدي؟ جودته مضمونة».

بعد انتهاء الأمر، غادرت الشقة، ثم مسحت جبهتي المغطاة بالعرق البارد، واتصلت بحبيبتي وواعدتها، حيث أخبرتها بما خطر ببالي اليوم.

فرمشت بعينيها وسألتني: «هل جئت لتودعني؟».

فأومأت لها بحزن، وأومأت هي أيضاً، ثم التفتت ومشت مبتعدة بينما تنهدتُ بارتياح.

التفاخر الجامح

تشو غو جيانغ

في المساء، كان لاو دينغ يشاهد أخبار المقاطعة. وفجأة، ظهر وجه مألوف على شاشة التلفاز... أليس ذلك وانغ يو تشينغ؟ تحقق لاو دينغ من الصورة الظاهرة على الشاشة، فتأكد من أنه وانغ يو تشينغ. وكان الخبر يذكر أنه قد تم تعيين وانغ في منصب أمين السر الجديد للجنة الحزب في مقاطعة لاو دينغ. عندها، صرخ لاو دينغ بحماسة ونادى زوجته لتأتي وتشاهد الأخبار. لكن حين انضمت إليه زوجته تغير الخبر المعروض على التلفاز، فقال لاو دينغ: «لقد فاتك الخبر... يا للأسف!».

«ما الذي يسعدك؟».

«زميلي السابق في الدراسة أصبح أمين سر لجنة الحزب في مقاطعتنا. أتذكرين وانغ يو تشينغ الذي أتحدث عنه كثيراً والذي كان أكثرنا تفوقاً؟».

«وانغ يو تشينغ! كيف يمكنني أن أتذكر؟».

«يا لذاكرتك الضعيفة!».

وعلى الفور، فتح الخزانة، وأخرج منها ألبوم صور، ثم بحث عبر الصفحات وأشار إلى إحدى الصور:

«انظري... تم التقاط هذه الصورة في حفل التخرج من المدرسة الثانوية عام 1973. الشاب الواقف أمامي هو وانغ يو تشينغ، وها قد أصبح الآن أمين سر لجنة الحزب في مقاطعتنا. لقد مر أكثر من عشرين سنة، ولكنه لم يتغير قط!».

فدفعت زوجته ألبوم الصور بعيداً، وقالت له بنفاد صبر: «وما الذي يجعلك متحمساً إلى هذه الدرجة؟ إذاً، هو وانغ يو تشينغ... لم لا تصبح أنت نفسك مسؤولاً رفيع المستوى؟».

كان لاو دينغ متحمساً للغاية، لدرجة أنه ظل طوال الليل يتقلب في فراشه؛ الأمر الذي منع زوجته من النوم. وبعد أن وصفته زوجته بالجنون ووبخته، حاول السيطرة على حماسته، وكبح خياله الجامح.

بعد غداء اليوم التالي، جاء زانغ سان ولي سي – وهما صديقا لاو دينغ القديمان – لدعوته للعب الورق، فقال لهما لاو دينغ: «لندردش قليلاً قبل أن نذهب».

ثم أخرج من جيبه علبة سجائر من نوع زونغ وا الفاخر، فسأله زانغ سان ولي سي: «ما الأمر؟ هل أصبحت ثرياً بين عشية وضحاها؟».

– شخص ما أهداني إياها.

– من؟

– أمين سر لجنة الحزب الجديد في مقاطعتنا. فهو زميلي في الدراسة سابقاً وانغ يو تشينغ!

عندها، انفجر صديقاه ضاحكين، وقالا له: «لماذا لم تخبرنا من قبل؟ أنت مجرد كاذب متبجح».

فضحك لاو دينغ من أعماق قلبه وقال: «إذاً، أنا مجرد كاذب، أليس كذلك؟».

ثم أخرج ألبوم الصور، وقلّب صفحاته حتى وصل إلى الصفحة التي يظهر فيها مع وانغ يو تشينغ، ثم أشار إلى الصورة وقال لهما: «انظرا، هذه صورة تخرجنا من المدرسة الثانوية... الشاب الواقف أمامي أصبح الآن أمين سر لجنة الحزب وانغ يو تشينغ... إنه زميلي في الدراسة! هل ما زلت مجرد متفاخر؟ وقد دعاني في الليلة الماضية لاحتساء الشراب معه في منزله!».

ثم أشعل سيجارة لكل من صديقيه وتابع كلامه: «على الرغم من أنه أصبح أمين سر لجنة الحزب في مقاطعتنا، إلا أنه قدّم لي بعض النبيذ الفاخر من أفضل الأنواع!».

«لا بد أنه من نوع وو ليانغي».

فقال لاو دينغ بازدراء: «وو ليانغي!! بالتأكيد لا».

«إذاً، ماو تاي».

غير أن لاو دينغ هز رأسه نافياً وقال: «وليس من هذا النوع أيضاً! لقد قدم لي أمين سر الحزب وانغ هدية أحضرها له شخص ما من أمريكا... لويس الثالث عشر... مصنوعة في فرنسا، ويتجاوز ثمنها خمسمئة دولار أمريكي! إنها زجاجة من البراندي الممتاز! القطرة منه تكلّف العشرات من اليوان... فما قولكما باحتساء كأس كاملة! كما أن رائحتها تنفذ إلى الدماغ على الفور».

وحين لاحظ لاو دينغ الترقب الذي بدا على وجهَي صديقيه، توقّف عن سرد قصّته، ثم قال: «أوه... إنني أحكي وأحكي ونسيت أن أحضر لكما بعض الشاي».

ثم نهض واتجه إلى المطبخ، حيث حضّر كوبين من الشاي وعاد. تناول الصديقان كوبيهما، ونظرا إلى الشاي وفكّرا في أنه غير مألوف أيضاً فسألاه: «ما هذا الشاي؟».

عندها، ضحك لاو دينغ مجدداً وقال: «الشاي أيضاً هدية من زميلي في الدراسة... إنه شاي ميست الذي ينمو على جبال هوانغ شان. يمكن لذوّاقي الشاي تمييزه بنظرة واحدة. يتراوح ثمن نصف الكيلو بين ثلاثمئة وأربعمئة يوان».

ثم أشار إلى كوب الشاي وتابع: «كوب صغير من الشاي يكلف أكثر من قدر كبيرة من حساء الدجاج!».

احتسى زانغ سان ولي سي رشفة من الشاي ثم قالا:

– بالطبع... إنه مختلف عن الشاي العادي...

وبينما كان الثلاثة يثرثرون، دخلت زوجة لاو دينغ غرفة الجلوس، فقال زانغ سان: «لا بد أننا أيقظنا أختنا من دون أن ننتبه».

عندها، أجابت زوجة لاو دينغ: «أنا مستيقظة منذ مدة».

«أختاه، يبدو أن أخانا دينغ قد حالفه الحظ؛ فزميله القديم في الدراسة أصبح أمين سر لجنة الحزب في مقاطعتنا! يا له من خبر عظيم! ولكن، ينبغي لكما ألا تنسيا أخويكما المسكينين مستقبلاً».

فابتسمت زوجة لاو دينغ وقالت: «لا تهتما بتفاخر لاو دينغ الجامح... هل أمين سر لجنة الحزب الجديد أبوه أو عمه؟ إنه مجرد زميل دراسة قديم، لذا لا نفع منه».

عندها، خشي لاو دينغ أن تفضح زوجته كذبه، فرمقها بنظرة غاضبة ووبخها قائلاً: «وما أدراك أيتها المرأة؟».

وبعد أن أنهى زانغ سان ولي سي كوبَي الشاي قالا: «لنذهب، وإلا فسينفد صبر وانغ وو وهو ينتظرنا».

فقالت زوجة لاو دينغ لزوجها: «لا تلعب لوقت طويل... عد إلى المنزل في وقت باكر».

وعند المساء، عاد لاو دينغ إلى المنزل وهو يدندن بأغنية، فيما رائحة النبيذ تفوح منه، فسألته زوجته: «برفقة من كنت تتناول الشراب؟».

فأجاب لاو دينغ مبتسماً: «كنت برفقة زانغ سان ولي سي ووانغ وو... لقد دعوني إلى مأدبة كبيرة».

– ماذا؟

– لقد دفعوا ثمن عشائي لأن أمين سر لجنة الحزب الجديد زميلي السابق في الدراسة. من الطبيعي أن يقوموا بتدليلي، أليس كذلك.

حين سمعت زوجته ما قاله وبخته: «حتى إن كان وانغ صديقك، فما الذي يمكنك فعله سوى التجول والتفاخر بجموح؟ أتظن أنني لم أسمعك البارحة؟ متى دعاك أمين سر لجنة الحزب وانغ لاحتساء الشراب في منزله؟ ومتى أرسل لك السجائر والشاي؟ ماذا عساي أقول لك؟! انتبه، كيلا يعتبرك الآخرون محتالاً».

عندها، استشاط لاو دينغ غضباً وصاح: «أنت لا تعرفين شيئاً! أليس أمين سر لجنة الحزب الجديد وانغ زميلي السابق في الدراسة فعلاً؟ هل أنا كاذب؟ هل أنا الوحيد الذي يتفاخر في هذه الأيام؟ افتحي عينيك وانظري حولك... من الذي لا يتفاخر؟ أيمكن لأحد أن يجني المال بدون تفاخر؟ لولا الكذب والتفاخر لما أصبح أحد مسؤولاً».

ثم ترك زوجته واقفة هناك ودخل غرفة النوم، وأمسك بجهاز التحكم عن بعد بالتلفاز لأن وقت أخبار المقاطعة قد حان، وسيلتقي زميله السابق في الدراسة أمين سر لجنة الحزب الجديد وانغ

يو تشينغ على شاشة التلفاز.

مثال حيّ

زينغ جون فو

حين عاد الأب إلى المنزل، كان ابنه تلميذ المدرسة الابتدائية ينجز واجباته وقد جلس إلى طاولة مكتبه.

وعندما رأى الابن أباه، قال له وهو مسند ذقنه على يده: «أريد أن أطرح عليك سؤالاً يا أبي».

فابتسم الرجل وهو يتذكر المقولة الشهيرة: «حين يبدأ الإنسان بالتفكير تضحك الآلهة»، فابنه الصغير يبدو كفيلسوف وهو جالس هناك.

وبعد أن ارتدى ملابس مريحة أكثر، توجه الأب نحو ابنه، وربت على رأسه قائلاً: «ما هو سؤالك يا بنيّ؟».

«بابا، ما الذي تعنيه عبارة «مزعج على نحو غير منطقي»؟».

ألقى الرجل نظرةً على واجب ابنه، فوجد أنه يحاول الإجابة عن تمرين يُطلَب منه فيه شرح بعض العبارات. وبعد التفكير في الأمر قليلاً، قال لابنه: «مزعج على نحو غير منطقي... لا بد أنها تعني غير منطقي على الإطلاق».

فقطب ابنه حاجبيه، ما أشار إلى أنه غير راضٍ عن الجواب، ثم سأل أباه: «أيمكنك إعطائي مثالاً يا بابا؟».

«مثالاً!».

ونظر الرجل إلى السقف محاولاً التفكير في مثال يوضّح المقصود بالعبارة، ثم قال: «على سبيل المثال، حين تعود أمك إلى المنزل من العمل، فهي غالباً ما تبحث في حقيبتي وجيوبي بلا سبب، وتطرح العديد من الأسئلة الغريبة مثل... كيف يمكنني وصف الأمر؟ وهذا ما ندعوه بالأمر المزعج على نحو غير منطقي...».

وقبل أن يُنهي الرجل كلامه، فُتِح الباب ودخلت زوجته، فتوجّه نحوها ليرحّب بها قائلاً: «لقد عدتِ!».

غير أن زوجته تجاهلته، وبدت غاضبة وهي تقول: «أكمل الآن! تابعا ما كنتما تثرثران حوله».

فسأل الرجل زوجته مستغرباً: «ماذا نكمل؟».

«يا لك من ممثل بارع! أتظن أنني لم أسمعك؟ ما المغزى من قول هذه الأمور لطفل؟!».

عندها، نظر الرجل إلى الصبي وأخفض صوته قائلاً: «لا تغضبي... لقد طلب مني تعريف عبارة موجودة في واجبه المدرسي... وكنت أحاول إعطاءه مثالاً».

«مثال! لماذا لم تتحدث عن نفسك كمثال؟ أتظن أنك تتصرف بنبل طوال الوقت؟».

فانزعج الرجل وارتفع صوته: «ما مشكلتك؟ أنت تبحثين عن سبب للشجار. لقد كنت أحاول شرح عبارة. وحتى لو لم أكن كذلك فأنا لم أكذب بشيء».

غير أن زوجته نظرت إليه بازدراء وقالت: «لا تكن مغروراً! فحتى لو لم تكن تكذب، اسأل نفسك لِمَ قد أرغب بتفتيش حقيبتك... فالبارحة على سبيل المثال، لِمَ وضعت الكثير من المال في حقيبتك؟».

- كانت تلك جائزة تلقيتها للتو.

- جائزة! ولماذا لم تعطِني إياها بعد العشاء... على من كنت تنوي إنفاق المال؟

- ألا يُسمَح لي بالاحتفاظ ببعض المال لنفسي؟ ألست رجلاً؟

- ومن قال إنه لا يمكنك الاحتفاظ ببعض المال لنفسك؟ ألا أعطيك المال ثمناً للسجائر والشراب كل شهر؟ فلماذا قد تحتاج إلى المال أيضاً؟ ونسيت أن أسألك أيضاً... لماذا كانت رائحة

العطر تفوح من معطفك؟

– أي عطر؟!

– لا تتظاهر بالبراءة مجدداً. أتظن أن أنفي مسدود ولا أستطيع أن أشم الروائح؟!

– ذاك... لا بد أن رائحة العطر ذاك قد علقت بمعطفي أثناء العشاء الذي تناولته مع زملائي؟

– العشاء! وهل تناولك الطعام مع أحدهم يجعل رائحة عطره تعلق بثيابك!؟

– لقد رقصنا بعد العشاء.

– رقصت! مع من رقصت؟ هذا عظيم! فأنا أعمل بجد للعناية بطفلي في المنزل، بينما أنت تعبث مع النساء في الخارج... هل أنت رجل؟

– لم أكن أعبث... إنها زميلتي في المكتب. البارحة كان عيد ميلادها، وجميع الموظفين في المكتب حضروا العشاء.

– هل حضر جميع من في المكتب؟ من كان موجوداً؟ من يمكنه إثبات ذلك؟ أعطني رقم هاتف واحداً لأتصل وأتحقق!

– لن أناقشك بهذا الشكل... فأنت غير منطقية...

– أنت لا تريد النقاش لأنك مذنب... ممَ أنت خائف؟ ماذا فعلتُ لأستحق زوجاً عديم المشاعر مثلك؟

وارتمت المرأة على الأريكة وبدأت تبكي.

فقال الرجل وهو يضرب الأرض بقدمه غاضباً: «هذه الحياة لا تحتمل!».

– أتريد الطلاق؟! أنت تنتظر هذه اللحظة منذ زمن.

– أهذا ما تقولينه!؟

عندها، صرخت المرأة بصوت هستيري: «تريد الطلاق! ألتتمكن من العبث مع الغانيات؟ أهذا ما تريده؟ لا تفكّر في ذلك، فهذا لن يحصل ما دمت حية!».

عندها، رمى الرجل المجلة التي كان يحملها على الأرض وقال: «ما الذي تريدينه؟».

«لِمَ ترمي الأشياء؟ أتظنني غير قادرة على رمي الأشياء أيضاً؟».

وتناولت المرأة جهاز التحكم عن بعد بالتلفاز ورفعت ذراعها وهي توشك على رميه...

وفي تلك اللحظة، دوّى صوت ضحك طفل صغير؛ حيث راح ابنهما يضحك وهو يصفّق بيديه واقفاً بجانب طاولة مكتبه.

فسأله الرجل بعصبية: «ما الأمر يا بني!؟».

«المثال الذي أعطيتني إياه أنت وماما رائع! لقد فهمت تماماً معنى عبارة «مزعج على نحو غير منطقي»».

منطق الغني والفقير

وي جين شو

كان زو دافو وهو شياو غانغ زميلين في المدرسة الابتدائية. وبعد مرور عشرين عاماً، التقيا صدفة في الشارع، فشعرا بسعادة غامرة. وبما أنهما كانا يرغبان في تبادل الحديث عن أخبارهما في سنوات ما بعد الدراسة، توجّها إلى مطعم صغير قريب.

وحين وصلا إلى مدخل المطعم، أوقفهما متسول يلبس أسمالاً بالية، ومدّ نحوهما وعاء قذراً...

عندها، قطّب هو شياو غانغ حاجبيه، وسارع في خطاه ليتجاوز المتسول. أما زو دافو فشعر بالأسف على المتسول الذي بدا مظهره مثيراً للشفقة، وما كان منه إلا أن توقّف وبحث عن بعض الفكة في جيبيه، ثم أعطاه إياها، فشكره المتسول شكراً جزيلاً.

وبعد أن جلسا إلى طاولة صغيرة في المطعم، طلبا عدداً من الأطباق البسيطة بالإضافة إلى الجعة التي بدأا باحتسائها. وسرعان ما تبعثرت عبوات الجعة حول أقدامهما، وبدأا يتكلمان عن مدرستهما وعائلتيهما وزملائهما، ثم تحوّل حديثهما إلى المال كما يحصل عادة، فوجدا أن آراءهما مختلفة كلياً.

قال زو دافو: «أعتقد أن المال لا يختلف عن القمامة. فالناس لا يحتاجون إلى كل تلك الأموال طالما أنهم قادرون على إطعام أنفسهم وستر أجسادهم. كما أن كمية المال التي يملكها المرء لا علاقة لها بمدى سعادته أو تعاسته».

– أحترم رأيك... ولكنني لا أؤيّدك. أتذكر مقولة «الفقر يخنق الطموح، والفرس النحيلة لها شعر طويل»؟ إن كان شخص ما فقيراً للغاية فسينظر إليه الآخرون بازدراء. وإن كان مجرداً من كرامته الإنسانية الأساسية، فكيف سيشعر بالسعادة؟ لقد قلت للتو إن قيمة المال لا علاقة لها بالكمية التي تملكها منه طالما أنك تملك ما يكفي لتأمين حاجاتك اليومية. لكن، ما معنى كلمة «يكفي» هنا؟ بالنسبة لي، المال لا يكفي إطلاقاً طالما أنني لا أجرؤ على شراء الكثير من الأشياء التي أرغب بشرائها... هل جرّبت مرة شعور العوز؟

– وكيف لي أن أجرب...

غير أنه قبل أن يستطيع إكمال كلامه قاطعه شياو غانغ:

– لا تقاطعني... فأنت لن تقنعني مهما حاولت لأنني جربته. بصراحة، أنا أرغب بأن أصبح ثرياً؛ حتى في أحلامي!

– كل ما أريده هو أن أنصحك بألا تحرص على جمع المال فقط. فنحن لا نعيش لنجني المال... أليس كذلك؟ فلدينا الكثير من الأمور المهمة الأخرى لنقوم بها بالإضافة إلى جني المال.

– لكنك إن لم تجنِ المال فقد ينتهي بك المطاف من دون أن تنجز شيئاً. وكما يقول المثل: «المال يرفع الشيطان». غير أنك لن تفهم أبداً ما أعنيه إلى أن تشعر بحاجتك إلى المال من دون أن تملكه.

عندها، لم يعد زو دافو يرغب بإكمال الجدال فقال: «ربما... حسناً، نحن زميلان قديمان التقيا للتو بعد كل تلك السنوات... لذا، فلنتوقف عن التشاحن ولننهِ شرابنا».

«حسناً... فلنشرب!».

واستمر الاثنان بتناول الشراب حتى أفرغا المزيد من العبوات، ولم يغادرا المطعم حتى فرغ من الزبائن. عندها، بدأا يتخاصمان حول من منهما سيدفع ثمن الوجبة. لكنّ زو دافو سبق هو شياو غانغ، وسارع إلى دفع الفاتورة قبل أن يغادرا المطعم وهما ثملان.

سأل زو دافو صديقه شياو غانغ: «كيف ستعود إلى منزلك؟».

فأجاب هو شياو غانغ وهو يصافح زو دافو: «ليست هناك مشكلة... من الأفضل أن تعود إلى منزلك بسرعة. شكراً لك لتسديدك الفاتورة... في المرة القادمة أنا من سيدفع... وداعاً».

«بالتأكيد... وداعاً».

عندها، أشار هو شياو غانغ إلى ليموزين فاخرة توقفت ببطء أمامهما، فأسرع السائق ليفتح باب السيارة، وانحنى لهو شياو غانغ باحترام قائلاً: «تفضل من فضلك أيها الرئيس هو. لقد اتصل المدير زانغ من نادي الغولف الذهبي، وقال إنهم بانتظارك».

– مممم... حسناً.

وصعد هو شياو غانغ إلى الليموزين، ثم لوّح بيده لزو دافو قبل أن تنطلق الليموزين مبتعدة.

وقف زو دافو مكانه إلى أن اختفت الليموزين، ثم أخرج دراجته من ركن في الطريق، وركبها متّجهاً إلى المنزل. وبينما كان في الطريق، ظل يحسب أي سوق طعام سيبيع أرخص الخضروات.

فابنه زو شياو فو ما زال ينتظره ليحضر الخضار لطهي العشاء.

قدر شياو يي

غو يو شينغ

كانت شياو يي فتاة جميلة، يداها ممتلئتان.

وفي أحد الأيام، جاء عرّاف إلى القرية، فأسرع الكثير من القرويين للتجمع حوله. وفي تلك الأثناء، كانت شياو يي عائدة من المدرسة، فتسللت من بين الحشود لترى ما يحصل. وحين وقعت عينا العراف على شياو يي ركز عليها لوقت طويل، بينما ظهرت تعابير غريبة على وجهه. وصادف أن كان والدا شياو يي حاضرين أيضاً، ورأيا ردة فعل العراف غير العادية فسألاه عن السبب. ولكنه هز رأسه، وفتح فمه ثم أطبقه. غير أن والدَي شياو يي توسّلا إليه ليخبرهما بما رآه في ابنتهما. عندها، قال لهما إن الفتاة الجميلة ذات اليدين الممتلئتين حالة نادرة، وما يحمله لها القدر أمر غريب. إذ ستكون حياتها حزينة، ولن تحقق أي إنجاز في حياتها الأكاديمية، كما ستعاني من حياة زوجية صعبة؛ حيث ستتزوج مرتين على الأقل. وأشار إلى أنه لم يرَ فتاة شبيهة بابنتهما من قبل، ولهذا فهو غير متأكد مما إذا كان حدسه صحيحاً. وما إن أنهى العرّاف كلامه حتى نهض ليغادر على الفور.

لم تكن لدى شياو يي أي فكرة عن معنى كلمة «القدر». لذا، لحقت بالعراف وسألته: «ما معنى القدر يا عم؟».

فتردد العراف طويلاً، ثم أخبرها أن القدر هو المصير الذي سيلقاه الإنسان في حياته. وليشرح لها فكرته أعطاها مثالاً: «لنقل إنك التقيت بي اليوم... إذاً، هذا قدرك».

عندها، أومأت شياو يي برأسها على الرغم من أنها لم تفهم ما قصده.

كانت شياو يي في الصف الثالث الإعدادي في تلك السنة، وكانت تبلي بلاء حسناً. غير أنها منذ أن سمعت ما قاله العراف أصبحت غائبة الفكر في الصف، وبدأت درجاتها تتدنى، وشيئاً فشيئاً لم تعد تستطيع النجاح، وسرعان ما فقدت اهتمامها بالدراسة.

عندها، قصد مدرّسها والديها، وأخبرهما أن درجات ابنتهما تتدنى، وأنه عليهما التعاون معه لمساعدة شياو يي في استعادة تفوقها، ثم غادر.

كان والدا شياو يي يظنان أنه إن كان رأس الرمح طرياً فحتى لو لم تكسر ذراعه فلن يصيب. لذا، فكّرا في أنهما لا يمكنهما فعل أي شيء سوى ترك الأمور للقدر.

وهكذا، أخفقت شياو يي في امتحان القبول في المدرسة الثانوية، ففقدت اهتمامها بالدراسة، ورفضت الذهاب إلى المدرسة مجدداً وبقيت في المنزل؛ ولم يعارض والداها قرارها.

وبعد عدة سنوات، كبرت شياو يي وظلت جميلة كما كانت من قبل، فوقع شاب وسيم وثري في حبها، وطلب من أحد أصدقائها مساعدته للتقدم بطلب يدها للزواج.

كان الصديق مطلعاً على خلفية شياو يي، فتفاجأ لدى سماعه ذلك، وسأل الشاب: «أتحبها وترغب بالزواج منها؟».

– نعم، أحبها وأرغب بالزواج منها.

– لماذا اخترت أن تحبها؟ فأي فتاة ستكون أفضل منها!

وعند سماعه هذا التعليق، خاف الشاب وغيّر رأيه.

وبشكل مشابه، أحب الكثير من الشباب شياو يي، ولكنهم كانوا يخافون ما إن يسمعوا بقصتها.

لكن، حين كبرت شياو يي تقدّم للزواج منها شخص مطلّق وقال لها: «لا يهمني قدرك».

وافق والداها عليه، كما أن شياو يي لم تعترض.

لم تكن حياة شياو يي الزوجية سعيدة، فقد كان الرجل يلقي اللوم عليها في كل مرة يخسر فيها أو يواجه شيئاً غير سار. وبعد عدة سنوات كانت خلالها حياتهما الزوجية مضطربة تطلق الزوجان.

عندها، شعر والدا شياو يي بالأسف على ابنتهما، غير أنها كانت تواسيهما، وتقول إن ذلك قدرها، ولا يمكن لأحد تغييره.

وبينما كانت تقول هذه الكلمات، كانت تتنهد بحرقة.

الليلة الأخيرة

زينغ يينغ

إن أفضل مهمة يتم توكيلها لمجرم عادي في السجن هي مراقبة سجين محكوم عليه بالإعدام قبل تنفيذ الحكم الصادر بحقّه. فذلك السجين المحظوظ سيتناول وجبات شهية بسبب الرجل المحكوم عليه بالإعدام، كما سيشهد ويسمع الكثير من القصص الغريبة.

وقبل يوم رأس السنة، حالف هذا الحظ يو هي على نحو غير متوقع. حيث تم اختياره لمراقبة مجرم محكوم عليه بالإعدام قبل تنفيذ الحكم فيه. وقيل له إن الرجل الذي سيتم إعدامه من عائلة ثرية. حين سمع باقي المساجين بضربة الحظ التي أصابت يو هي تمنوا لو كانوا مكانه.

كانت مراقبة سجين محكوم بالإعدام مهمة بسيطة للغاية، إذ لا يجب عليه إلا مراقبة الرجل الجالس أو المستلقي في طرف الزنزانة، حيث تفصلهما القضبان الحديدية، وأن يعطيه الماء حين يطلبه، أو يخبر السجان بالوجبة التي يريدها لتطلبها له إدارة السجن قبل وفاته. وغالباً ما يتم إنجاز المهمة على نحو مُرضٍ طالما أن السجين المحكوم بالإعدام لم يحاول الانتحار قبل تنفيذ حكم الإعدام فيه.

حين دخل يو هي الزنزانة، رأى وجهاً نحيلاً وشاحباً، وكان السّجين حليق الرأس. أحس الرجل بالحماسة عند رؤيته يو هي؛ كما لو أنه كان سجيناً في الظلام لقرون ثم تعرّض للضوء.

وكحال الكثير من السجناء المحكوم عليهم بالإعدام، كان الرجل يعلم أن أيامه معدودة. لذا، طلب أنواعاً عديدة من أطباق الدجاج والبط والسمك والأرانب، وراح يستمتع بتناول وجبته، ودعا يو هي لمشاركته إياها، حيث قام كلاهما بالتهام الطعام الذي كان كافياً لمجموعة من الرجال. وبعد أن شبعا، مسحا فميهما بكمّيهما، وبدأا يتحدثان عبر القضبان.

كان السجين المحكوم بالإعدام يكرر قائلاً ليو هي: «هذه آخر ليلة لي في سنتي العشرين في الحياة... لن أنام... الليلة سأرى العالم وأنصت إليه بقدر ما أستطيع... أرجوك، ساعدني في ذلك... أرجوك، ابقَ مستيقظاً معي الليلة».

وبدأ الاثنان يتكلمان عن طفولتيهما، وعن أصغر التفاصيل في حياتيهما. وعلم يو هي أن السجين المحكوم عليه بالإعدام يدعى تشين يانغ، وقد كان طالباً جامعياً قبل أن يتم اعتقاله، وأن هذا الشاب ذا المظهر اللطيف قد ارتكب جريمة فظيعة؛ حيث خنق إحدى زميلاته قبل أن يغتصب جثتها.

وحين كان تشين يانغ يروي ما فعله، لم يبدُ سعيداً ولا متباهياً في ما يتعلق بجريمته كما يفعل الكثير من المجرمين بعد أن يتم الحكم عليهم، وذلك لأنهم جميعاً يعرفون أن إظهار الندم أو عدمه لن يعني شيئاً. لذا، غالباً ما كان المجرمون عادة يختارون التبجّح والتظاهر بالشجاعة بدلاً من الجبن في آخر ساعات حياتهم. أما تشين يانغ فقد اعترف بصراحة أنه نادم، وراح يردد ذلك الكلام طوال الليلة، مدعياً أنه لم يقصد قتل أحد، ولا حتى في الدقيقة التي سبقت خنقه الفتاة. وقال إنها كانت ليلة رائعة بالنسبة إليه حينها، إذ دعته أجمل فتاة في صفه لمشاهدة فيلم معها؛ ما يعني أن تلك الليلة قد تتحول إلى أروع قصة حب، لكن...

ثم أخبر يو هي أنه كان في تلك الفترة يقرأ رواية جنسية تدعى «سنوات الزهور»، وأنه بينما كان يمشي مع الفتاة في طرقات الجامعة، شكّل ضوء القمر والظلال المتحركة للأشجار مشهداً شاعرياً، فراحت الأجساد الأنثوية المذكورة في الرواية تتراقص في مخيلته. وهكذا، بدأ وجهه يحمر خجلاً، ولم يعد يسمع سوى صوت ضربات قلبه وهو ينظر خلسة إلى ثوب الفتاة الحريري وهي تمشي بجانبه. بعد ذلك، حصل كل شيء من دون أن يقصد. بعد إنهائه سرد قصّته، تنهّد تشين يانغ بحرقة، وقال إنه يشعر بالندم والكراهية الشديدين. فهو يكره نفسه ويكره القمر ويكره كاتب تلك الرواية الذي جنى المال من القرّاء... إنه يكرهه... يكرهه للغاية! وكان بإمكان نزلاء السجن جميعاً سماع صرير أسنانه.

وفي الصباح التالي، ما إن أشرقت الشمس حتى وصل رجال الشرطة إلى الزنزانة التي يُحتجَز فيها تشين يانغ لاصطحابه إلى حيث سيتم تنفيذ حكم الإعدام. في ذلك الوقت، كان تشين يانغ قد هدأ، فابتسم ليو هي، وشكره على صحبته خلال الليلة الأخيرة من حياته. فما كان من يو هي إلا أن بكى بحرقة؛ فتفاجأ رجال الشرطة من عاطفيّته الشديدة.

وهكذا، أُخرِج تشين يانغ من الزنزانة، ثم أغلقتِ الأبواب الحديدية الثقيلة خلفه. وحين اختفى صوت المعدن الثقيل، سقط يو هي على ركبتيه على الأرض وهو يشعر بالوهن.

وفي تلك الليلة، قام يو هي بثقب حنجرته بعود الطعام، وأخذ معه سر جريمته إلى القبر. فهو مؤلّف تلك الرواية الجنسية التي كانت بعنوان «سنوات الزهور». وقد كتبها ليجني ما يكفي من المال لينشر مجموعته الشعرية.

كريستال

شين جيان

بقيت أتقلب على الفراش غاضبة وأنا غير قادرة على النوم مهما حاولت. ففي ذلك الصباح، تشاجرت مع مدير مكتبي بشأن تقييم عملي. وعند المساء، أخبرني زوجي أنه لم يستطع الحصول على شقة من بين الشقق الجديدة المخصصة للموظفين في مكان عمله. عندها، فقدت شهيتي، ونهضت مبتعدة عن طاولة العشاء وأنا أشعر بالإحباط. ورحت أتساءل عن السبب الذي يجعل كل جهودي وعملي الجاد في المكتب غير مجارية لعمل سكرتيرة عند خضوعي لتقييم الوظيفة؛ رغم أن كل ما كانت تلك السكرتيرة تفعله هو هز ردفيها، ورمق مديرنا بنظرات كلها إغواء. وحين نظرت في أرجاء منزلي الصغير والمزدحم لم أعد أحتمل، فانفجرت في وجه زوجي غاضبة. إلا أنه لم يكترث لشيء، وتابع تناوله طعامه بشهية. وحين لم أعد أستطيع تحمل صوت شخيره المرتفع بالقرب من أذني ضربته بقوة، فظهرت ابتسامة لا مبالية على شفتيه... ربما كان يحلم بمغازلة تلك العارضة المثيرة التي رأيناها على شاشة التلفاز قبل الخلود إلى النوم. عندها، بدأت الدموع تسيل على وجنتيّ بصمت. وفي تلك اللحظة، بدأت الكرة الكريستالية بالدوران فجأة بسرعة مُصدِرةٍ ضوءاً ذهبياً، ثم ظهرت فتاة صغيرة ترتدي ثوباً رائعاً وتجلس في وسط الكرة، وراحت تبتسم لي بشقاوة، ثم سألتني: «ألديك أمنية؟».

«أريد... أريد أن أصبح مسؤولة رفيعة المستوى لئلا يجرؤ أحد على إزعاجي... كما أريد الكثير من المال، ومنزلاً كبيراً... ويجب أن يصبح زوجي أنجح رجل، ويحبني كثيراً ويهتم بي كما لو أنني أميرة...».

«كفى... كفى! أنت طماعة للغاية. لقد طلبت أكثر مما طلبت أنا. يمكنني تلبية رغباتك، لكن عليك العيش بسعادة وعدم الندم على الإطلاق وإلا...».

فجأة، استيقظت من نومي، وجلست... يا إلهي... ما هذا المكان؟! من أين أتت غرفة النوم هذه؟! كل شيء هنا مصنوع من الكريستال... فالسرير من الكريستال، والطاولة من الكريستال، والجدران من الكريستال، حتى إن الأرضيات من الكريستال. فتحت الباب الكريستالي، ومشيت إلى المسبح الكريستالي المليء بمياه باردة وصافية كالكريستال. كان هناك صبي وفتاة في السابعة من العمر أو الثامنة يلعبان في المسبح، وبدوَا لي مألوفيْن. وقبل أن أسألهما عن المكان الذي نتواجد فيه، رآني الطفلان، وناداني قائلين: ماما؛ الأمر الذي صدمني لدرجة أنني سقطت على الأرض، وبدأت أرتجف. وسألت الطفلين: «ما اسماكما؟».

فأجابني الصبي: «اسمي المال، واسمها السلطة».

- في أي يوم نحن؟
- في الخامس من مايو 2012.

يبدو أنني انتقلت في المستقبل عشر سنوات.

فسألتهما بقلق: «ما اسم أبيكما؟».

عندها، قاطعتني الفتاة قائلة: «أنا جائعة يا ماما».

وفجأة، ظهر عدد من الرجال والنساء الذين يرتدون بذلات بيضاء ناصعة وهم يحملون أفخر الأطعمة، لكن وجوههم كانت خالية من التعابير. عندها، جلس الولدان إلى مائدة الطعام الكريستالية، وبدأا يستمتعان بطعامهما، بينما عدت إلى غرفة النوم للبحث عن أي شيء قد يرشدني إلى هوية والدهما. لكنني لم أجد شيئاً، فبدأت أشعر بالقلق والتوتر، وبدأت أمشي حافية القدمين على الأرضية الكريستالية. وحين سألني خادمان عما أحتاج إليه، سألتهما: «من هو سيد هذا المنزل؟».

«إنه زوجك، وأب ولديْك، وأغنى رجل في المدينة، وأشهر جامع للكريستال حول العالم».

كان صوت الخادم مليئاً بالاحترام، ولكنه بارد كالكريستال.

فصرخت: «أقصد، ما اسمه؟».

«نحن ندعوه السيد».

عندها، أشرت إليهما طالبة منهما الانصراف، فتراجعا بصمت، ولم يعد أمامي سوى الانتظار... رحت أنتظر ظهوره، ولكنه لم يظهر قط؛ لأنه مشغول بعمله الدائم ليلاً ونهاراً.

وهكذا، مع مرور الوقت، بدأت أعتاد على المشي في الحديقة بمفردي، وأنا أتأمل الأزهار الكريستالية المتألقة وإنما الخالية من الحياة. كما اعتدت على ارتداء أجمل الملابس، وتناول أفخم الأطعمة، كما اعتدت على تواضع الناس وانقيادهم لي، وبدأت أنفق المال كالماء. وتدريجياً، بدأت أنسى كيف أبتسم، وأصبحت متجهمة الوجه طوال الوقت. وفي إحدى الليالي، بعد عدة أشهر، رأيت والد ابني وابنتي على شاشة تلفاز من الكريستال بينما كان يلقي خطاباً حول مدى ترابط الطبيعة البشرية مع الكريستال. كان رجلاً وسيماً ومهذباً، لكنني لم أستطع النظر إليه كزوج! جربت وجربت، لكنني لم أستطع أن أحب تاجر الكريستال الغريب ذاك. وعند منتصف الليل، فيما كنت مستلقية على سرير من الكريستال البارد، بدأت دموع الندم تسيل على وجنتيّ. وحين تساقطت قطرات الدموع على راحتَي يديّ، تحوّلت فوراً إلى حبات من الكريستال!

عندها، ظهرت الفتاة الصغيرة ذات الثوب الرائع أمامي مجدداً، ونظرت إليّ موبخة وقالت: «الندم غير مسموح به، ودموعك ستحولك إلى شكل من الكريستال لا حياة فيه... ستبقين هنا كبديلة عني».

فصرخت فوراً: «لا!». ورميت نفسي عليها. لكنها اختفت على الفور، فرحت أبكي بمرارة، وسالت دموعي على صدري وأنا أشعر بالبرد، وشيئاً فشيئاً بدأ جسدي يتحول ببطء إلى تمثال من الكريستال.

وبعد عدة سنوات، استيقظت بين ذراعَي زوجي، فانتبهت فوراً إلى أن شعره صار أبيض، وأخبرني باكياً: «وأخيراً! لقد استيقظتِ! لقد أعلن الأطباء وفاتك سريرياً قبل عشر سنوات، لكنني رفضت تصديق تكهناتهم، وواظبت على رواية القصص لك وتدليكك كل يوم... كان جسدك بارداً كالجليد، لكنني لم أفقد الأمل بأنك ستستيقظين يوماً ما».

عندها، نظرت إلى التقويم على الجدار، وقرأت التاريخ... الخامس من مايو 2012.

فدفنت وجهي في صدر زوجي وسألته: «أين الكرة الكريستالية التي كانت على الطاولة المجاورة لسريرنا؟».

أجابني زوجي: «لقد كسرتها قبل دقيقة من دون أن أنتبه».

أين أنت يا صديقي؟

ليو جيان شاو

ما إن سمع جيا تشينغ باسمي حتى اندفع نحوي كدبابة تتحرك بتثاقل، وقال لي: «كيف حالك يا ليو العجوز؟ لطالما كنت من المعجبين بك منذ زمن طويل... وأنا الآن أشعر كما لو أنني أرى صديقاً قديماً؛ رغم أننا التقينا للتو يا صديقي القديم!».

ثم ضمني بذراعيه الضخمتين. كنت قد عشت في هذا العالم لأكثر من أربعين عاماً، لكنني لم أتصرف يوماً بحميمية كهذه مع أي ذكر بالغ؛ لذا اقشعر جسدي من رقبتي إلى فخذي.

بعد لحظات، أعلن جيا تشينغ للأشخاص المسؤولين عن تسجيل اللقاء: «ضعونا رجاء في غرفة الضيوف نفسها؛ فنحن نرغب في تبادل الأحاديث».

كان جيا تشينغ ضخماً ونشيطاً ويشبه كرة ضخمة، حيث كان يؤرجح ذراعيه قبل أن يتمكن من تحريك جسده إلى الأمام، وإلا فما كان بإمكانه ربما جرّ ساقيه. كان من الصعب بالطبع ربط ذلك المظهر الغريب بالإبداع الأدبي الذي يقوم به؛ غير أنه كان قد كتب روايات وقصصاً، كما نشر أيضاً روايته القصيرة في عدد المجلة نفسه الذي كنت قد نشرت فيه. وقد تمت دعوتنا كلينا إلى لقاء الكتاب المحلي؛ لأننا كلينا قد نشرنا رواياتنا القصيرة في مجلة «بريليانت».

كان أولئك الذين يحضرون اللقاء الذي سيمتد لثلاثة أيام شهوداً على ذلك الوضع الغريب؛ حيث كنت أخضع لرقابة جيا تشينغ الدائمة. فقد كان يتبعني إلى أي مكان، كما كان يرفض الابتعاد عني حتى حين التقيت امرأة قد تصادقت معها سابقاً في ظروف غامضة. وقد حال حضوره دون أن أكون رومانسياً مع تلك المرأة، كما راح يعلن لكل من تواجد في ذلك اللقاء: «هذا صديقي

ليو القديم... حتى إن زوجتي وابني يعرفانه؛ فنحن لدينا الكثير من الأعمال المنشورة في الأعداد نفسها. أليس هذا قدراً؟».

وحين انتهى ذلك اللقاء أخيراً، يبدو أن جيا تشينغ لم يكن قد أشبع رغبته بعد، إذ قرر أن يتبعني إلى مدينة لو يانغ حيث كنت أقيم، فأخذته في رحلة إلى كهوف لونغمن الشهيرة، ومعبد الحصان الأبيض. كما جعلته يتذوق حساء لو يانغ الشهي. وفي النهاية، بينما كنا نودع بعضنا، قال لي وعيناه مغرورقتان بالدموع إنني كنت صديقه الحقيقي، ثم أحرجني مجدداً بعناقه... أمر لا يحتمل! وأخيراً، قال جيا تشينغ: «تعال لزيارتي عندما تستطيع يا صديقي، وسأقدم لك الكركند والمأكولات البحرية. أعلم أن وجودي قد أفسد موعدك مع حبيبتك أثناء اللقاء... ها ها ها!».

وبينما كان القطار يتحرك، ظل يمد رأسه من نافذة القطار ويصرخ بأعلى صوته: «تعال لزيارة مدينتي حين تسنح لك الفرصة! إن لم تفعل فأنت تسيء إلي!».

في الواقع، على الرغم من أن الناس يضحكون ويدردشون ويمضون وقتاً طيباً حين يلتقون أثناء انعقاد لقاء بين الكتّاب، إلا أن تلك المشاعر الدافئة سرعان ما تنحسر عندما ينتهي اللقاء، ولا أحد يكترث بالوعود التي تم قطعها حينها. لكنّ جيا تشينغ كان حالة استثنائية، فقد ظلّ يتصل بي شهرياً، ويمازحني عبر الهاتف، ويقول لي في كل مرة قبل أن ينهي الاتصال: «تعال لزيارتي يا صديقي حين تسنح لك الفرصة».

فأرد ممازحاً: «بالطبع... بالطبع».

وبالصدفة، بعد مرور ستة أشهر، أرسلني مكتبي في مهمة عمل إلى مدينة جيا تشينغ. وحين وصلت، أنهيت المهمة الموكلة إليّ بسرعة ليظلّ لدي الكثير من الوقت للتجوّل في المدينة ورؤية مناظرها الطبيعية وآثارها. في البداية، لم أكن أخطط لرؤية جيا تشينغ؛ إذ إن تجوّلي في المدينة بمفردي أكثر راحة وأقل عبئاً. لكن، بما أنني أزور مدينته فسيحزن إن علم بجودي في المدينة من دون أن أتواصل معه. لذا، قررت الاتصال به على رقم هاتفه المحمول. وبعد قليل، ردّ علي قائلاً: «أهلاً يا صديقي... وأخيراً تذكرت أن تتصل بي؟ هل مللت من حبيبتك تلك؟ لماذا لا أرى أياً من أعمالك المنشورة مؤخراً؟ أين أنت يا صديقي؟».

– لست بعيداً عنك... أنا في مدينتك.

– ماذا؟! هل أنت في بين هاي الآن؟

– نعم... لقد أتيت لتذوق الكركند والتمتع بالمأكولات البحرية.

فتردد جيا تشينغ للحظة عبر الهاتف قبل أن يقول: «هذا مؤسف يا صديقي، فأنا خارج المدينة في رحلة عمل. كم يوماً ستبقى هناك؟».

«سأبقى لمدة يومين. إذ يجب عليّ العودة يوم الثلاثاء؛ فقد اشتريت تذكرة العودة».

عندها، بدا صوت جيا تشينغ مليئاً بالحماسة مجدداً وهو يقول: «هذا مستحيل يا صديقي! انتظر على الأقل حتى يوم الأربعاء، إذ يمكنني العودة يوم الأربعاء... يجب أن نحتسي كأساً من الشراب معاً».

غير أنني قلت له: «لا تهتم وأكمل عملك، فسآتي لزيارتك مرة أخرى».

ثم اتصلت بصديق آخر يعمل في مكتب صحيفة في بينهاي. وحين ذكرت له أن جيا تشينغ خارج المدينة في رحلة عمل فاجأني بقوله: «هذا مستحيل! فقد رأيته هذا الصباح حين أتى إلى مكتبنا لتسليم مخطوطته».

وخلال اليومين التاليين، كان جيا تشينغ يتصل بي مرتين في اليوم؛ صباحاً ومساء، ويتحدث عن الأماكن التي زرتها، والأطعمة التي تذوّقتها في مدينته، وينصحني بزيارة بعض المعالم السياحية، ويقول لي إن كل ما علي فعله هو أن أسأل عن شخص محدد في مكان محدد: «اذكر اسمي لذلك الشخص، وأخبره أنك صديق جيا تشينغ ولن يجرؤ أحد على تجاهلك بعد ذلك».

وفي صباح الثلاثاء، كنت مستلقياً على السرير في غرفتي في الفندق أشاهد الأخبار حين اتصل بي جيا تشينغ:

«مرحباً يا صديقي... أين أنت الآن؟».

أردت أن أكون مزعجاً فقلت: «أنا في القطار في طريق عودتي إلى لو يانغ».

عندها، بدا جيا تشينغ غاضباً في الطرف الآخر من الخط وقال: «هيه يا ليو العجوز... لماذا فعلت هذا بي!؟ لقد اتفقنا على أن تبقى حتى يوم الأربعاء، وقد سارعت بالعودة قبل أن أتمكن من إنهاء عملي لأنني كنت قلقاً من عدم انتظارك لي في بين هاي. لقد نزلت من الطائرة للتو، وأنا في طريقي إلى مركز المدينة، كما أنني حجزت لنتناول طعام الغداء معاً في مطعم سي آند هيفن! مالكه واحد من أصدقائي المقربين، وقد اشترى لنا الكركند الطازج... أتحاول خداعي؟».

فما كان مني إلا أن أجبته: «هاهاها! لقد كنت أمازحك فحسب. كيف يمكنني المغادرة بدون أن أراك؟ أنا هنا بانتظارك في الغرفة رقم 328 في فندق بين هاي».

عندها، هدأ صوت جيا تشينغ مجدداً وقال: «آه... آه! حسناً... سأكون عندك خلال ساعة... لنرى بعضنا».

وفجأة، شعرت بالفراغ بعد ما فعلته... لماذا؟ لأننا إن رأينا بعضنا فسنفسد صداقتنا، ولهذا اتصلت بسيارة أجرة لتأخذني على الفور إلى محطة القطار. وبينما كان القطار المتجه شمالاً يبدأ بالتحرك ببطء رن هاتفي المحمول مجدداً.

وبدا جيا تشينغ منزعجاً للغاية هذه المرة: «هيه... أنا أمام الفندق مباشرة... أين أنت يا صديقي؟».

شروط

وين تشينغ لي

كان رئيس الدائرة زانغ متزوجاً منذ ثلاثة عشر عاماً. وفي ربيع السنة الرابعة عشرة التقى صحفية، وبعد أكثر من شهر من عملهما معاً بدأ يتذوق لأول مرة حلاوة الحب. وحين نظر يوماً إلى المرآة، اكتشف أنه لا يزال شاباً وقادراً على كسب حب امرأة شابة، وبدأ يدرك السبب الذي يجعل الآخرين يطلقون على المرأة الجيدة اسم الجامعة. وليترفع في صف الحب قبل أن يفوت الأوان، طلب من زوجته السماح له بالخروج من مدرستها الابتدائية، قبل أن ينتقل إلى صف أعلى في الحب. كان رئيس الدائرة زانغ يهتم كثيراً بصورته كقائد، لذا كان يأمل أن يقوم هو وزوجته بحل مسألة زواجهما بدون الكثير من المشاكل؛ ولهذا السبب قال لزوجته: «سأبذل قصارى جهدي لتلبية شروطك كلها؛ مهما كانت رغباتك».

في الحقيقة، لم تكن زوجته تبدو كبيرة على الإطلاق، بل كانت تبدو أصغر من عمرها الفعلي بعشر سنوات على الأقل، كما يمكن اعتبارها امرأة جميلة. وحين كان زانغ لا يزال مساعداً لرئيس الدائرة، اعتاد أثناء مأدبات العمل أن يقول عن زوجته إنها جميلة للغاية أمام الكثير من الناس. وبالطبع، كان جميع الحاضرين – من النساء والرجال – عند سماعهم مديحه ينظرون إلى زوجته ويوافقونه الرأي، فيما تبتسم زوجته بكياسة مقدرة اهتمامهم، وسرعان ما تنسحب لتتاول الطعام؛ حيث تأكل ببطء كما لو أنها تتناول دواء تخشاه.

وحين طلب رئيس الدائرة زانغ من زوجته حلّ زواجهما، كانت في تلك الأثناء تصحّح واجبات طلابها. غير أنها حين سمعت ما قاله، قطرت نقطة من الحبر الأحمر من ريشتها على صفحة واجب أحد الطلاب. وعلى الفور، أخرجت من جيبها منديلاً مطوياً بعناية، وضغطت به

على بقعة الحبر، قبل أن تبعده وتجد أنه قد بقيت لطخة حمراء بدت كحبة فاصولياء حمراء على الخط السفلي من الإطار المربع. عندها، تنهدت بارتياح، ثم تخلصت من الحبر الزائد على فرشاة الكتابة بأن مسحتها بطرف عبوة الحبر وتابعت التصحيح. وحين لم يحصل رئيس الدائرة زانغ على رد من زوجته، استمر بالضغط عليها قائلاً:

«أنت زوجة جيدة... وأنا أعني ذلك فعلاً... فقد ضحّيت بالكثير من أجلي، ولن أنسى لك ذلك. كما أؤكد لك أنك ستحصلين على وظيفة أفضل بعد طلاقنا، ولن تعودي مضطرة إلى ممارسة هذا العمل المرهق مع طلاب المدرسة بعد الآن، هذا من دون أن ننسى الطريق الطويل الذي تضطرين إلى اجتيازه حتى تصلي إلى المدرسة. يمكنك العمل في مكتب مجلس الحزب المحلي، وأنا متأكد من أنك ستنجحين هناك بفضل مهاراتك العظيمة التي أظهرتها منذ أيام الدراسة. فأنت بعد تخرجك من الجامعة كنت تريدين العمل في المكتب المحلي، ولكنني كنت مخطئاً وأنانياً، وخشيت أن يؤثر انتقالك على ترقيتي هناك. ولكن الآن يمكنني الترتيب من أجل...».

ظلت زوجته هادئة ولم تجبه إلى أن أنهت تصحيح واجب أحد التلاميذ، وعندها قالت: «لست بحاجة إلى ذلك».

فشعر رئيس الدائرة زانغ بالتوجس مجدداً، وبدأ يتساءل في سرّه: أتريد المزيد من المال؟! فعلى الرغم من كونه مسؤولاً رفيع المستوى في المدينة حيث يرأس الدائرة الثقافية، إلا أن هذه المنظمة الحكومية لا تنتج الكثير من العائدات وإنما الكثير من الأوراق، ولكنه مستعد لمنحها ما تريده ليستمتع بحبه الجديد بأسرع ما يمكن. لذا، أطبق أسنانه وسألها: «أتريدين المال؟ حسناً... حدّدي مبلغاً».

غير أنها ظلت ملتزمة الصمت، واستمرت بتصحيح الواجبات. وتحت ضوء المصباح الأبيض، رأى رئيس الدائرة زانغ بعض الشعرات البيضاء في رأسها، فأحس بالألم يعتصر قلبه للحظة، غير أنه قال لها بإصرار: «سأترك لك كل مدخراتنا، وسأغطي جميع نفقات ابنتنا، كما سأبذل قصارى جهدي لأدفع لك المبلغ الذي تطلبينه؛ شرط أن ننهي طلاقنا بأسرع ما يمكن لأنها تضغط علي بشدة. وفي حال تم طردي من العمل، فلن أتمكن حتى من تقديم المساعدة إن فشلت ابنتنا في امتحان القبول في الجامعة».

لم تقل زوجته شيئاً لفترة طويلة من الزمن، فنظر رئيس الدائرة زانغ إلى وجهها بحذر، ووجد أنه لا يبدو عليها الغضب؛ الأمر الذي منحه بعض الأمل، فقرر أن يضرب الحديد وهو حامٍ وقال:

«بعد طلاقنا سأعطيك منزلنا».

إذ كانت الصحفية قد قالت له إنها مستعدة للزواج به حتى لو كانت ستقيم في كوخ صغير، كما قالت له إن الحب الحقيقي يفوق الاحتياجات المادية، فجعلته وعودها العذبة يشعر بالنشوة، وبدأ يشعر بأنه – روميو هذا العصر – قد التقى جولييت. وما إن أنهى كلامه حتى أخرج النقود واتفاقية الطلاق التي كان قد جهّزها بعناية، وتوجّه نحو زوجته قائلاً: «إن لم تكن لديك أي طلبات أخرى، فاقبلي هذه النقود التي تساوي خمسين ألف يوان، ووقعي على هذه الاتفاقية».

وكان واثقاً من أنها لن تتمكن من رفض عرضه السخي.

وفي النهاية، وضعت فرشاة الكتابة وواجبات طلابها جانباً، وقالت له ببطء وصرامة: «شروطي هي...».

ثم رمقت رئيس الدائرة زانغ الذي شعر بالعجز، وراح يفكر في كلمات مثل «التعيين في وظيفة»، و«منزل»، و«المزيد من المال»، و«المحاكم»... أما هي فأكملت: «لا أريد منك شيئاً سوى أن تتركني لأنهي تصحيح هذا الواجب قبل أن أوّقع على الاتفاقية».

ظن رئيس الدائرة زانغ أنه أخطأ السمع. ولكنه بعد أن سمعها تكرر كلماتها، ثم رأى توقيعها الجميل على الاتفاقية، شعر بالاطمئنان بشأن بداية حياته الجديدة، وانطلق إلى منزل حبيبته لينقل لها الخبر السار. وبعد أن أخبرها بما حصل، تعلقت الصحفية بعنقه أمام أفراد عائلتها، فاحمر وجهه خجلاً، واضطر إلى جرها إلى مخدعها على الفور. وبعد أن أن قاما بعلاقة حميمة، قبّلته الصحفية وقالت: «أنا موافقة على الزواج منك يا عزيزي إن لبّيت لي ثلاثة شروط... أن تؤمن لأختي الصغيرة وظيفة في مكتب في لجنة الحزب المحلي، وأن تشتري لأبي منزلاً جديداً، وأن تتوقف منذ الآن فصاعداً على إعطاء ابنتك أي نقود».

عندها، نظر رئيس الدائرة زانغ إلى ذلك الوجه الغريب، وشعر بالألم يعتصر قلبه، ثم أجاب في النهاية: «وأنا أيضاً لدي شرط... لا تأتي إلى عندي مجدداً».

ثم خرج من بيتها. وفي الشارع، لاحظ ضجيج الناس، ثم خطرت بباله فكرة مفاجئة... هل ستكون زوجته قد نامت؟

لا يبدو كحاكم مقاطعة

لي تشي شيانغ

حاكم المقاطعة ليو مسؤول جيد، ولكنّ المسؤولين الجيدين يصادفون أحياناً حالات محرجة أيضاً. ففي إحدى المرات، ناداني حاكم المقاطعة ليو إلى مكتبه وقال: «لنذهب يا شياو لي لزيارة قرية هيلسايد غداً؛ فأنا أريد معرفة كيفية توزيعهم مساعدات على الفقراء».

وفي اليوم التالي، جاء إليّ راكباً دراجة، فسألته مستغرباً: «لماذا لم تطلب سيارة للقيام بهذه المهمة؟ فالقرية تبعد أكثر من ثلاثين كيلومتراً عن هذا المكان».

فأجاب حاكم المقاطعة ليو: «من المفيد بالنسبة لي ركوب الدراجة كلما سنحت لي الفرصة، كما أن هذا الأمر سيسهِّل عليّ التواصل مع الريفيين».

وهكذا، ركبنا دراجتينا، وبدأنا نثرثر ونحن نقود الدراجتين لمسافة تزيد عن عشرة كيلومترات. وحين رأيت العرق يتصبب من جبهة حاكم المقاطعة ليو، كدت أقترح عليه أخذ استراحة، لكنني سمعت فجأة صوتاً صادراً من دراجته. عندها، ترجّل حاكم المقاطعة عن الدراجة ليرى ما المشكلة، فاكتشف أن إحدى العجلتين قد ثُقبت بقطعة زجاج كانت على الطريق. وبما أنه لم يعد بإمكاننا القيادة أكثر، تابعنا رحلتنا ونحن نجر دراجتينا. وبعد أن اجتزنا مسافة أقل من كيلومتر، رأينا سوقاً ريفية فيها متجر لإصلاح الدراجات عند تقاطع الطرق يديره رجل متوسط العمر. دفع حاكم المقاطعة ليو دراجته باتجاه ذلك المتجر ليصلح الثقب، فبدأ الرجل بالعمل ببطء. عندها، نفد صبري لأنني كنت متشوّقاً لإكمال رحلتنا، فتوجهت إلى الرجل وقلت له: «أرجوك أن تصلحها بسرعة؛ فحاكم المقاطعة ليو أمامه طريق طويل ليجتازه حتى يصل إلى وجهته اليوم».

فما كان من الرجل إلا أن نظر إليّ ببطء وقال: «أيها الشاب، لا تحاول خداعي بهذا الهراء حول حاكم المقاطعة... لم لا يشتري دراجة جديدة إن كان لا يستطيع الانتظار؟ كما أن هذا الرجل لا يبدو حاكم مقاطعة... وهل يُعقَل أن يقوم حاكم المقاطعة بالتجول على متن دراجة؟».

وقبل أن أتمكن من الشرح، نظر إليّ حاكم المقاطعة نظرة رادعة، ثم قال للرجل: «أخي الصغير يمازحك فحسب يا عم».

وبعد إصلاح العجلة، أكملنا رحلتنا، واجتزنا بضعة كيلومترات أخرى حتى حلت الظهيرة. وبما أننا لم نكن قد تناولنا الكثير من الطعام في الصباح، وركبنا دراجتينا على طرقات الجبلية الشاقة، بدأنا نشعر بالجوع. عندها، قلت لحاكم المقاطعة ليو إن البلدة المقبلة مركز إداري، وإنه يمكننا التوقف هناك قليلاً وتناول شيء ما قبل أن نتابع طريقنا؛ إذ لا تزال أمامنا عشرة كيلومترات أخرى حتى نصل إلى قرية هيلسايد، فوافقني الرأي. وحين سألته عمّا إذا كان يجدر بنا إلقاء التحية على مدير البلدة، أجاب بالنفي، وقال إننا إن فعلنا ذلك فسيرسلون أحداً ما ليرافقنا إلى القرية؛ الأمر الذي قد يحول دون تمكّننا من سماع الحقيقة من القرويين. وبالنسبة إلى الطعام، يمكننا العثور على مطعم صغير على طرف الطريق في البلدة لنتناول فيه وجبة سريعة.

وصلنا إلى محل لبيع الطعام يقع على جانب الطريق، فهمست لمالكته قائلاً إن حاكم المقاطعة ليو سيتناول الطعام عندها، لذا يجدر بها أن تحرص على أن يكون الطعام نظيفاً كيلا يؤذي معدته. وما إن سمعتني مالكة المحل حتى ضحكت قائلة: «أنت لا تعرف حتى أن تكذب كذبة بسيطة... أيعقل أن يأتي حاكم المقاطعة ويتناول الطعام في مطعم صغير يقع على جانب الطريق!؟ لو كان حقاً حاكم المقاطعة لأخذه مدير البلدة إلى مطعم أزهار اليشم هناك!».

تابعت بنظري الاتجاه الذي تشير إليه إصبعها، فرأيت مطعماً كبيراً ولا يبعد عنا كثيراً. وعلى الرغم من أنه لا يبدو كقصر مهيب، إلا أن بناءه بدا فخماً بالنسبة إلى هذه البلدة الريفية النائية. ومن حيث كنت واقفاً، استطعت قراءة بعض الكلمات المكتوبة على لافتة كبيرة، مثل «ساونا، ورقص، وصالون شعر» وغيرها...

وهكذا، بعد أن أنهينا وجبتنا باحتساء كوبين من الشاي وتدخين السجائر، تابعنا رحلتنا مجدداً من دون الحصول على أية استراحة. وعند الساعة الثانية من بعد الظهر، وصلنا إلى قرية هيلسايد. وما إن دخلنا القرية حتى بحثنا عن مسكن رئيس القرية، ثم تبعناه إلى مكتب القرية، حيث عرفته على حاكم المقاطعة ليو، وشرحت له الغرض من زيارتنا. غير أنه حين سمع كلامي نظر

إلينا نظرة غريبة، ثم طلب منا الانتظار قليلاً ريثما ينجز عملاً في الغرفة المجاورة. وأدركت بعد مضيّ لحظات أنه كان يجري مكالمة هاتفية مع مركز الشرطة في البلدة ليبلغ عن شخصين مريبين دخلا القرية، وليطلب إرسال أحد ما للتحقق من الأمر، فاندفعت نحوه لإيقافه، وقلت له شارحاً: «لسنا مُدعيين... فنحن بالفعل من مجلس المقاطعة، وهذا حاكم المقاطعة بالفعل!».

غير أنّ رئيس القرية رفض تصديقي، وقال بجرأة: «إنه لا يبدو كحاكم مقاطعة!».

بلدة صغيرة غير قادرة
على الاحتفاظ بأطبائها الجيدين

ما باوشان

كان يان شينغ وو يمارس الطب الصيني الذي انتقل إليه من أجداده جيلاً بعد جيل. وهو يبلغ من العمر خمسين عاماً، ووجهه أحمر قانٍ محاطٌ بشعر ولحية فضيين. وغالباً ما كان السكان المحليون في البلدة القديمة يرونه مرتدياً رداء رمادياً طويلاً وماشياً في الطرقات. كان السيد يان يعالج جميع مرضاه كما لو أنهم أبناؤه؛ بغض النظر عن مكانتهم الاجتماعية، وسواء أكانوا أثرياء أو فقراء، شباباً أو عجائز، جميلين أو قبيحين، أذكياء أو أغبياء... ومهما كانت مضاعفات أي مرض، لم يكن يحتاج سوى إلى وضع يده على معصم المريض لقياس نبضه، قبل أن يقوم بإعطائه عدداً من الوصفات العشبية. وكان المرضى يتعافون بعد شرب ثلاث جرعات على الأكثر. لذا، كان السكان المحليون في البلدة الصغيرة يلقبونه باسم «يان ذو الجرعات الثلاث» كدليل على الاحترام؛ حتى إنهم كادوا ينسون اسمه الحقيقي.

كان «يان ذو الجرعات الثلاث» يقطن في الشارع الثالث من البلدة.

وبمحض الصدفة، كان موانغ فو زونغ رين يقيم في البلدة الصغيرة نفسها؛ وهو طبيب مختص بالطب الغربي، ولديه عيادة في الشارع الجنوبي. وكان زونغ رين في الخمسين من عمره أيضاً، ويضع نظارة ذات إطار ذهبي اللون، وربطة عنق على الطراز الغربي، ويبدو رجلاً أجنبياً مئة بالمئة. كما كان ماهراً في العديد من اختصاصات الطب الغربي، ويمتلك أخلاقيات طبية صحيحة. كان الدكتور هوانغ فو لا يعالج مرضاه إلا في عيادته؛ حتى لو كانوا من كبار المسؤولين أو الأثرياء. وقد ساهمت شخصيته العنيدة أيضاً في جعله شخصاً محترماً في البلدة الصغيرة.

وبالطبع، كان المرضى حين يقلقون كثيراً من مرض ما – بعد زيارتهم طبيباً مختصاً بالطب الغربي، أو بعد زيارتهم طبيباً مختصاً بالطب الصيني – يطلبون المساعدة من طبيب مختص بالطب الغربي، أو من طبيب مختص بالطب الصيني أيضاً؛ الأمر الذي شكّل الكثير من الإزعاج بالنسبة إلى كل من «يان ذو الجرعات الثلاث» والدكتور هوانغ فو. وذلك لأن أطباء الطب الصيني والطب الغربي يرفضون عموماً التدخل بحالة مريض يتناول علاجاً وصفه له الطرف الآخر.

وسرعان ما قام بعض الأشخاص ذوي النوايا السيئة بإضرام نيران التحيز والحقد بين الجانبين. فحين كانوا يرون «يان ذو الجرعات الثلاث» كانوا يدعونه «الطبيب المعجزة»، غير أنهم يتجهون فوراً إلى الدكتور هوانغ فو ويمدحونه قائلين إن لديه مبضعاً سحرياً. وقد ساهم أولئك الأشخاص في إشعال نار الغيرة في البلدة الصغيرة، ما زاد من الشقاق الموجود أصلاً بين «يان ذو الجرعات الثلاث» والدكتور هوانغ فو؛ حيث إن كلاً منهما كان يعتبر نفسه الطبيب الأفضل في البلدة الصغيرة. وهكذا، لم يعد أي منهما يحتمل الآخر، وتفاقم الصراع بين الطب الصيني والغربي.

وبعد عام، أصيب الدكتور هوانغ فو فجأة بمرض معدٍ، ولم يعد بإمكانه التنفس بشكل عادي، فبدأ وجهه الأبيض يتحول إلى اللون البنفسجي بسبب نوبات الاختناق. وبفضل خلفية عائلة السيدة هوانغ فو، فهمت على الفور أن زوجها بحاجة ماسة إلى المساعدة من طبيب مختص بالطب الصيني. لذا، توجهت من وراء ظهر زوجها إلى «يان ذو الجرعات الثلاث» في الشارع الشمالي لتطلب منه المساعدة.

فكر «يان ذو الجرعات الثلاث» بالطلب الغريب لوقت طويل. فعلى الرغم من خلافه مع الدكتور هوانغ فو إلا أنه ليس من النوع الذي يترك الآخرين يعانون من أي مرض قاتل بدون أن يقدم يد العون. لذا، أعطى السيدة هوانغ فو وصفة من أدوية الأعشاب.

أخذت السيدة هوانغ فو الدواء الصيني الذي وصفه «يان ذو الجرعات الثلاث» معها إلى المنزل، وحضّرت الوصفة ثم قدّمتها لزوجها على الفور، من دون أن تجرؤ على إخباره عن مصدرها. وبعد أن تناول هوانغ فو زونغ رين ثلاث جرعات شعر بالغاز المتراكم في صدره وبطنه يبدأ بالخروج، وسرعان ما بدأ يتنفّس بشكل طبيعي مجدداً، وأحس بأنّه يتعافى. فجأة، أوقف زوجته وقال لها: «أخبريني... هل أحضرت الدواء من عند «يان ذو الجرعات الثلاث»؟».

لم تستطع السيدة هوانغ فو إخفاء الحقيقة، واعترفت بها لزوجها الذي تفاجأ وارتبك، ثم قام على الفور بجمع هدايا نفيسة، وطلب من زوجته إرسالها إلى «يان ذو الجرعات الثلاث»، وإبلاغه

بخالص امتنانه.

وبما أن «يان ذو الجرعات الثلاث» كان رجلاً لطيفاً ومستقيماً، فقد قرّر أن يرد جميل الدكتور هوانغ فو. لذا، استعد لزيارته بهدف التحدّث إليه والقضاء على نظرتهما التنافسية الضيقة، وليصبحا صديقين ويتعاونا معاً في مساعدة السكان المحليين، ولدمج مهاراتهما. ولكن، قبل أن ينطلق لتنفيذ خطته، علم أن هوانغ فو زونغ رين قد غادر البلدة مع عائلته؛ الأمر الذي فاجأه كثيراً. وعندها، بدأ يفكر في أن من يعرف ما حصل بالفعل سيعرف أن السيدة هوانغ فو هي التي طلبت منه العلاج لزوجها. أما أولئك الذين لا يعرفون الحقيقة، فقد يظنون أنه استغل مأزق هوانغ فو وابتزّه كي يعطيه الدواء الصيني، ثم طرده...

وحين أدرك الورطة التي وقع فيها، بدأ يردد محتاراً في أمره: يا إلهي... ماذا عساي أفعل؟!

وبعد بضعة أيام، جمع «يان ذو الجرعات الثلاث» ممتلكاته، وغادر البلدة الصغيرة مع عائلته من دون أن يعرف أحد المكان الذي ذهب إليه.

ومنذ ذلك الحين، لم يعد هناك أي أطباء جيدين في القرية.

القميص المعطر

وي يونغ وي

كان الوقت منتصف الليل حين وصل لاو آن إلى منزله، فعانقته زوجته وعيناها شبه مغمضتين بسبب النعاس، ثم دفعته بعيداً على الفور، وقطّبت حاجبيها صارخة: «أين كنت تعبث؟».

فأجاب لاو آن مستنكراً: «أتمازحينني؟! لقد عدت للتو من رحلة عمل... وأنا مرهق للغاية... فلننم فوراً».

ولكن، سرعان ما أدرك لاو آن مدى جدية زوجته، وعرف أنها مستعدة لخوض حرب طاحنة حين قالت له: «لا تظن إطلاقاً أنني لن أستطيع تمييز رائحة زوجي لأنني كنت نائمة».

عندها، غضب لاو آن كثيراً، إذ لم يكن قد أنزل حقيبة سفره السوداء عن كتفه اليمنى بعد، ورفع صوته قائلاً: «ألست متعبة؟! قولي ما تريدين قوله بسرعة. انظري إلى نفسك! إنك تتصرفين كامرأة سليطة!».

فصرخت زوجته: «هيه... أتحاول التظاهر بالصلابة؟ أتشعر بالذنب؟ اعترف... من أين أحضرت ذلك العطر؟».

وسحبت المرأة لاو آن إلى تحت نور المصباح، ثمّ صرخت فجأة: «فهمت الآن... أتظنني حمقاء؟ لقد كنت ترتدي قميصاً رمادياً حين غادرت المنزل قبل بضعة أيام... انظر إلى نفسك الآن! انظر جيداً!».

تبع لاو آن نظرات زوجته وذهل: «نعم... هذا ليس قميصي... إنه... إنه...».

«لماذا أنت متفاجئ؟ فقد اشترت لك حبيبتك قميصاً جديداً، وكانت تأمل أن تستبدل زوجتك العجوز ذات الوجه النحيل كما استبدلت قميصك القديم. ولم يكفِ هذا، بل استحممت أيضاً بصابونها المعطّر ظناً منك أنني عمياء وصماء. لكن، لا تنسَ أن لدي أنفاً لا يخطئ في تمييز الروائح!».

عندها قال لاو آن متلعثماً: «أتذكر الآن... هذا قميص لاو تيان من شينغ داو. نعم... ذلك الشاب يحبّ رش العطور على نفسه... لا بد أننا استبدلنا قميصينا بطريقة ما بينما كنا نخرج من الفندق بسرعة... نعم... هذا ما حصل! سأتصل بلاو تيان على الفور».

ثم وضع لاو آن حقيبة السفر أرضاً، ومدّ يده ليأخذ هاتفه المحمول، فشبكت زوجته ذراعيها على صدرها، ووقفت تشاهده ببرودة، ثم قالت له مستهزئة: «ابذل قصارى جهدك لتأليف قصة أفضل».

حاول لاو آن الاتصال بصديقه عدة مرات من دون أن ينجح في ذلك. وفي النهاية، استسلم وقال لزوجته: «لا بد أن الوغد قد أطفأ هاتفه... سأتصل به في الصباح الباكر... فلننم الآن».

وهكذا، عادت زوجته إلى السرير، فيما بقي لاو آن طوال الليل ينظر إلى ظهر زوجته المنحني كالقريدس.

وكان أول شيء قام به لاو آن بعد أن فتح عينيه في الصباح التالي هو الاتصال بلاو تيان في شينغ داو، لكنه لم يستطع الوصول إليه مجدداً، فتمتم: «هذا غريب! لماذا لا يفتح هاتفه المحمول؟».

غير أن زوجته ظلت تنظر إليه ببرودة، ثم علّقت قائلة: «لا فائدة من محاولة التملص؛ فالله وحده يعلم ما الرقم الذي اتصلت به... يمكنك العمل كممثل بارع في السينما. وإن كان هناك حقاً شخص يدعى لاو تيان فيمكنكما الحديث عبر الهاتف والتغطية على بعضكما، حيث سيتبع إرشاداتك ويقول ما تريد منه قوله... أليس هذا ما يفعله الرجال؟ ما الذي يمكنك إثباته؟ ألم تتعب بعد من محاولتك القيام بذلك؟ اعترف فقط. على الأقل، الاعتراف بذلك سيثبت أن زوجي ما زال جذاباً».

لم يتكلم لاو آن لوقت طويل، ثم وقف ونهض فجأة، وارتدى سترته قائلاً: «هيّا، ارتدي معطفك... فسنذهب معاً».

- إلى أين؟

- لا تسألي... اتبعيني فحسب.

حين كانا يتشاجران في الماضي، غالباً ما كان لاو آن يأخذ زوجته ليمشيا معاً ويخففا من حدة غضبهما، لذا قالت له زوجته: «اذهب بمفردك... أما أنا فعليّ أن أغسل قميصك الذي تفوح منه رائحة العطر».

«ماذا ستغسلين؟ أنا أرتدي القميص الآن. تعالي معي وحسب».

وبدا لاو آن غاضباً جداً، لذا تبعته زوجته من دون أي اعتراض.

بعد عشرين دقيقة، وصلا إلى المطار، واتجه لاو آن إلى مكتب قطع التذاكر، فشدته زوجته من سترته قائلة: «هل أنت مجنون؟ ماذا تريد أن تفعل؟».

«لا تحاولي إيقافي... سنذهب إلى شينغ داو لنتحدث مع لاو تيان، وسأريك إن كنت قد ارتديت قميصه خطأً أو أن امرأة ما قد اشترته لي».

عندها، تفاجأت زوجته من قراره هذا، وأخفضت صوتها وهي تتوسل إليه قائلة: «حسناً... أصدّق قولك إن القميص للاو تيان في شينغ داو، وإنك بريء».

- لا... فالله وحده يعلم إن كنتِ فعلاً تصدقين أن زوجك بريء. لنذهب في إجازة صغيرة إلى شينغ داو.

- أسنذهب إلى شينغ داو ونعود من أجل قميص؟ ألا تعتقد أنك مجنون؟

- أعتقد أن البراءة لا تقدر بثمن... لنذهب!

بعد ساعة من الانتظار وبعد إنفاق مبلغ ألفي يوان على تذكرتين ذهاباً وإياباً، ركبا الطائرة المتجهة إلى شينغ داو. وبعد ساعة ونصف الساعة نزلا من الطائرة، وأنفقا ستين يوان على سيارة أجرة نقلتهما إلى مسكن لاو تيان. عندها، تنهد لاو آن، وأخرج هاتفه المحمول واتصل برقم لاو تيان باستخدام مكبر الصوت.

هذه المرة رن الهاتف، وحين أجاب لاو تيان على الاتصال قال لاو آن: «لاو تيان... أيها الوغد! كدت تقتلني! أسرع وانزل!».

فسأله لاو تيان من الطرف الآخر من الخط: «أين أنت الآن؟».

«أنا واقف قرب منزلك مباشرة».

فجأة، انفجر لاو تيان ضاحكاً وسأله: «وهل زوجتك معك هناك؟».

«نعم».

«هل أتيت لاستبدال القميص؟».

«أنت محق. إنه خطؤك أيها الوغد! فحين ارتديتَ قميصي بالخطأ، ارتديت قميصك ظناً مني أنه قميصي. لماذا تستمتع بإغراق نفسك بالعطور كالفتيات؟».

عندها، استمر لاو تيان بالضحك، فقال له لاو آن: «لا تضحك... تعال إلى هنا على الفور!».

فقال لاو تيان من الطرف الآخر من الخط: «وكيف يمكنني ألا أضحك؟! لا يمكنني المجيء، لأنني قد سافرت مع زوجتي إلى مدينتك، وها قد وصلنا للتو».

لقاء زميلة في الدراسة على الطريق

لو ويبينغ

كان يو في في طريقه إلى العمل حين التقى زميلة له في الدراسة لم يرَها منذ سنوات عدة؛ منذ أيام المدرسة الثانوية. وبينما كانا يتبادلان الحديث في الشارع، استرجعا أيام الدراسة، وتذكرا العديد من زملائهما القدامى، كما تكلّما عما حصل معهما منذ أن غادرا المدرسة. وبعد أن تبادلا أرقام هاتفيهما ودعا بعضهما.

كان يو في يعلم أنه قد تأخر عن عمله... إذ كان متأخراً أصلاً، ولكنه يستطيع دائماً اختلاق أعذار مناسبة، كالقول مثلاً إن دراجته قد تعطلت. وهكذا، استخدم يو في خدعته القديمة، وقال إن درّاجته قد سبّبت له المشاكل مجدداً، فلم يعلق أحد من زملائه على الموضوع، ولكنه رأى هذه المرة ابتسامات ذات مغزى على وجوه بعض زملائه.

وبعد بضعة أيام، أخبره أحد أصدقائه سراً أن الناس يتداولون في ما بينهم إشاعة مفادها أن لديه حبيبة؛ وذلك لأن أحداً ما رآه وهو يتكلم بمرح مع امرأة في ذلك اليوم. عندها، حاول يو في أن يشرح لزميله حقيقة الأمر، وقال: «أوه... إنها زميلة دراسة قديمة».

«إذاً، لماذا كذبت وقلت إن دراجتك قد تعطلت؟».

عرف يو في أنه يتم الافتراء عليه، ولكنه لم يستطع إثبات براءته. وأكثر ما كان يقلقه هو أن تسمع زوجته تلك الشائعات؛ فهي بطبيعتها مرتابة، وتراقبه دائماً حتى بغياب الشائعات... والآن، مع هذا الهراء، لم يعد يجرؤ على تخيل العواقب.

في ما بعد، علمت زوجة يو في بالحادثة، ولم تهدأ إلا بعد أن تدخل مديره وقطع لها الكثير من الوعود والعهود.

وبعد ستة أشهر، بينما كان يو في ذاهباً إلى العمل يوماً، التقى إحدى معارفه من النساء في الشارع. وكان قد سبق له أن التقاها من قبل أثناء العمل، وأدرك أن منصبها يمنحها القدرة على تحقيق طموحه الرسمي. لذا، بدأ يثرثر معها أكثر من المعتاد. ولكنه بعد قليل لاحظ أن جميع زملائه الذين مرّوا بهما في طريقهم إلى العمل لم يتوقفوا لإلقاء التحية عليه، وإنما كانوا يبتسمون له ابتسامة ذات مغزى، فبدأ قلبه يعتصر خوفاً من دون أن يتمكن من قطع حديثه مع المرأة بشكل مفاجئ. وفي النهاية، وبعد جهد كبير، استطاع يو في اختلاق عذر مناسب ليفترق عن المرأة.

وفيما تابع طريقه إلى العمل، ظل يسأل نفسه عمّا يجدر به فعله... فإن وصلت الشائعات إلى أذنَي زوجته مجدداً فسيكون الطلاق محتوماً. وحين وجد نفسه عالقاً في طريق مسدود، قرّر رمي الحذر أدراج الرياح!

وما إن دخل يو في المكتب حتى رأى بعض زملائه مجتمعين بهدف الثرثرة. وحين رأوه، سأله أحدهم بخبث: «هل تعطلت دراجتك مجدداً؟».

فابتسم يو في مبتهجاً وأجاب: «لا... لقد التقيت اليوم سيدة أعرفها».

«حقاً؟!».

وتجمع زملاؤه حوله، فضحك يو في وقال: «احزروا ماذا حصل؟ كنا ندردش بحرارة، ثم دعتني إلى منزلها، وقالت لي إن زوجها مسافر في رحلة إلى خارج المدينة».

«هههههه!».

وتفرّق زملاؤه وهم يضحكون.

وبعد بضعة أيام، سأل يو في صديقه إن كان قد سمع أي شائعات مجدداً، فأجابه صديقه: «لا... لا شيء».

- لقد التقيت سيدة من معارفي قبل بضعة أيام.

- أوه... أتقصد ذلك... لقد قال الجميع إنك كنت تمزح.

وفي تلك الأمسية، فيما كان جالساً مع زوجته إلى المائدة يتناولان العشاء، قال يو في لزوجته: «التقيت واحدة من معارفي قبل يومين، وقد دعتني إلى منزلها قائلة إن زوجها...».

فما كان من زوجته إلا أن نكزته بمرفقها وقالت: «انظر إلى نفسك! من تلك التي قد تفكر فيك؟».

درس في علم الأحياء

وو شينغ مينغ

خلال السنة الأخيرة من المدرسة الإعدادية، حصلت مشكلة في صفنا. وكان مفتعل تلك المشكلة هو زميلي الذي يجلس إلى جانبي على المقعد وزميلي في المهجع هي إن مينغ.

كان هي إن مينغ طالباً مجتهداً في دراسته وشريفاً في سلوكه، كما كان بارعاً في الكتابة بخط مرتب. لكنّ عيبه الوحيد هو أنه قليل الكلام. وكنا جميعاً متفقين على أنه شخص شريف. لكن، ما إن يقرر شخص شريف أن يتصرف بخداع، فإن نتيجة سلوكه ذاك ستصدم الجميع؛ وهذا ما حصل في ذلك العام.

كانت آخر حصة في ذلك اليوم مخصصة لمادة الأحياء. ووفقاً لمخطط المنهج المعتمد، كان من المفترض أن ندرس في تلك الحصة الفصل المتعلق «بالجهاز التناسلي». وقبل بدء الحصة، نكزني هي إن مينغ برفق وهمس: «ماذا تظن أن الآنسة لي ستشرح لنا في هذه الحصة؟».

حينها تفاجأت من سلوكه، فهو نادراً ما يتكلم معي؛ على الرغم من أننا نتشارك المقعد نفسه. لكنني فهمت ما قصده على الفور، فسألته أنا أيضاً: «لا أدري، ماذا تظن أنها ستخبرنا؟».

فاحمر وجهه على الفور وتمتم: «أيها الوغد! لا تتظاهر بأنك لا تعلم... فأنت تعلم مثلنا جميعاً».

عندها، احمر وجهي أيضاً، فقد كان هي إن مينغ محقاً. وأنا أيضاً كنت متوتراً، فضلاً عن أن جو الصف بأكمله لم يكن على ما يرام في تلك الحصة؛ ما يجعل المرء يشعر بالغرابة وعدم

الارتياح. كنت أعلم أننا جميعنا ننتظر دخول الآنسة لي باي هوا. كانت الآنسة لي معلمتنا لمادة علم الأحياء، وهي واسعة الاطلاع وذكية، كما أن تدريسها دقيق وواضح. وفي ما مضى، كان الطلاب يعتبرون بعض المواد مثل علم الأحياء والفنون الجميلة والموسيقى موادّ ثانوية وغير مهمة، لكن منذ أن تم تعيين الآنسة لي في مدرستنا تم تصحيح هذا الأمر بسرعة، وأصبح جميع الطلاب الذين تدرسهم مهتمين بمواضيع كانوا يعتبرونها في البداية مملة؛ مثل عدد العظام أو الخلايا في الجسم البشري. وقد ساهم شرحها في جعل حصة علم الأحياء مماثلة للموادّ الأساسية كاللغة أو الرياضيات. ولهذا السبب، منحتنا مهاراتها التدريسية البارزة توقعات كبيرة، إذ كنّا نتوقع سماع وصف حي وملموس لتلك المساحة الممنوعة والغامضة في أذهاننا.

لكن الآنسة لي تحوّلت إلى آنسة مختلفة في ذلك اليوم، إذ أعلنت لنا بجدية ووضوح: «هذا الفصل بسيط للغاية ولا يحتاج إلى شرح. لذا اقرأوه بأنفسكم».

ويمكنكم تخيل مدى خيبة الأمل التي شعرنا بها في تلك اللحظة.

وعلى الرغم من خيبة أملنا، لم يكن لدينا أي خيار في ما يتعلق بقرار الآنسة.

لكن في تلك الليلة، وقع هي إن مينغ في مشكلة كبيرة؛ إذ استيقظنا جميعنا في المهجع عند منتصف الليل على أصوات مرتفعة. فقد كان هناك شخص ما يصرخ في وجه شخص آخر، وبدأ أحدهم يشتم بصوت مرتفع، بينما حاول آخرون إيقاف الشجار. عندها، ركضنا من المهجع الواحد تلو الآخر لنرى ما يحصل في الخارج. وبما أننا لم نكن قادرين على النوم جيداً في تلك الليلة الصيفية الحارة، فقد خرجنا لنستمتع بما يحصل. كانت الضجة قادمة من المشرحة في المستشفى الشعبي رقم 3 في مدينتنا، والذي لا يبعد سوى ثلاثمئة متر عن الجدار الخلفي لمهجعنا. وعلى الرغم من توترنا من مشرحة المستشفى، إلا أن فضولنا منحنا الجرأة، وجعلنا نتسلق الجدار الخلفي، ونركض إلى المشرحة. لكن، ما إن وصلنا إلى هناك حتى تفاجأنا مما رأيناه أمام أعيننا. إذ كان الشخص المرتجف والراكع وسط الحشود الغاضبة هو زميلنا هي إن مينغ. وسرعان ما اكتشفنا حقيقة ما حصل. فقد توفيت في المستشفى في ذلك الصباح امرأة شابة جميلة بسبب إصابتها بالتهاب في عضلة القلب، وتم حفظ جسدها في المشرحة. وقد علم هي إن مينغ بذلك بطريقة ما، لذا بعد أن خلدنا جميعاً إلى النوم، تسلل خارجاً من المهجع وقصد المشرحة...

كان من الصعب ذكر التأثير الفظيع لتلك الحادثة عليه؛ فرغم أنه كان لا يزال طالباً صغيراً وليس من الممكن أن تقاضيه عائلة المرأة الميتة بتهمة تدنيس كرامتها، إلا أن هي إن مينغ لم

يستطع الهروب من عقاب المدرسة، وظل يخضع للمراقبة التأديبية لمدة سنة، كما تلطخت سمعته على نحو كارثي؛ حيث صارت الطالبات يقلن عنه: «ذلك الفتى ذئب متنكر بزي إنسان».

وحين سألت هي إن مينغ مرة: «كيف يمكنك أن تكون بمثل هذا الغباء، وتقوم بعمل متهوّر كهذا؟».

أجاب هي إن مينغ: «لم أتعمّد فعل أي شيء غير سليم... وكل ما أردته هو إلقاء نظرة. إن أصبحت مدرساً في المستقبل فسأخبر طلابي بكل التفاصيل التي ينبغي لهم أن يعرفوها».

من المثير للاهتمام أنه بعد سبع سنوات أصبح هي إن مينغ مدرساً. وبعد تخرجه من الجامعة، تم تعيينه لتدريس مادة الرياضيات في مدرسة ثانوية في عاصمة مقاطعتنا، وقد عمل بجد حتى حظي بسمعة طيبة في مدرسته. والمثير للاهتمام أكثر هو أنه في أحد الفصول احتاجت مدرسته إلى شخص ما ليقوم بتدريس مادة علم الأحياء، ففكر المدير بهي إن مينغ، وقال له: «أنت مختص بالعلوم، لذا لن تجد أي مشكلة في تدريس مادة علم الأحياء أيضاً».

عندها، قبِل هي إن مينغ المهمة من دون أدنى تردد، وحوَّل المادة المملة إلى مادة مفعمة بالحيوية، وأصبح تدريسه بقدر فعالية تدريس الآنسة لي بايهوا.

وفي أحد الأيام، وصل هي إن مينغ إلى الفصل الذي يدور حول «الجهاز التناسلي»؛ الأمر الذي ملأه بالمشاعر لدى تذكره ما حصل معه. ولتجنب النتائج الخاطئة التي ترتّبت على القرار الخاطئ الذي اتخذته الآنسة لي، قام هي إن مينغ بتحضير درس مفصل عن هذا الموضوع من خلال جمع مصادر شاملة؛ إذ كان يريد كشف الغطاء عن خفايا الجنس لطلابه الذين كانوا في مرحلة البلوغ، بهدف مساعدتهم في تشكيل فهم مستقيم لموضوع الجنس.

وفي ذلك اليوم، صعد هي إن مينغ بثقة على منصة التدريس، بينما جلس الطلاب على مقاعدهم وراحوا ينظرون إليه بتعابير غريبة. وقبل أن يتمكن من فتح فمه، بدأ بعض الصبيان والبنات الجالسين في الخلف بالضحك بصوت مكتوم، فاحمر وجه هي إن مينغ، وشعر بالعجز كما لو أنه على وشك القيام بشيء خاطئ. وعلى الفور، تلاشت كل المواد التي حضرها في ذهنه.

وهكذا، أعلن هي إن مينغ لطلابه بجدية ووضوح: «هذا الفصل بسيط للغاية، لذا اقرأوه بأنفسكم رجاء».

استئجار ابن لليلة رأس السنة

زونغ لي هوا

حين رأى ذلك الإعلان على الجدار تلألأت عيناه. إذ كان مضمون الإعلان لافتاً للنظر: «نحن نبحث عن شاب متعاطف ليمضي معنا ليلة رأس السنة».

وكان التوقيع في أسفل الإعلان «زوجان متقدمان في السن».

عندها، ارتسمت الابتسامة على وجهه، فقد كان ذلك مناسباً لحاجته الحالية. وما كان منه إلا أن اتصل برقم الهاتف المذكور في الإعلان، فبدت المرأة التي أجابت على اتصاله في غاية الحماسة، وسمعها تقول لزوجها: «لقد اتصل بنا أحد ما في النهاية أيها العجوز!».

وهكذا، تبع الإرشادات التي أوصلته إلى العنوان المحدد، ثم رن الجرس. وحين فُتِح الباب، وجد نفسه في مسكن رباعي الأضلاع في تلك البلدة الصغيرة النائية. وكان الزوجان اللذان رحّبا به أكبر مما توقع؛ فشعرهما فضي، وخطاهما بطيئة للغاية.

عندها، تردد الشاب ولم يعرف كيف يخاطبهما. غير أن المرأة العجوز سارعت لاستقباله وقد باعدت بين ذراعيها بهدف احتضانه، وقالت له بشفتين مرتعشتين فيما الدموع تترقرق في عينيها: «لقد عدت إلى المنزل أخيراً يا بني!».

وعلى الفور، شعر الشاب كما لو أن شيئاً ما قد ضربه فجأة، وتلألأت الدموع في عينيه، وحين لم يعد بإمكانه السيطرة عليها، راح يبكي وهو يقول لها: «ماما... لقد عاد ابنك!».

ثم تذكر أمه.

بعد ذلك، سارت الأحداث على نحو طبيعي، حيث أحاط به الزوجان من الجانبين فرحين بعودة ابنهما إلى المنزل، فشعر بالترحيب كما لو أنه فعلاً قد عاد إلى منزله. وكانت الأم تحاول مسح الغبار عن ملابسه، بينما قدّم له الأب كأساً من الماء المحلى، فبدأ يعيش دوره الجديد تدريجياً. بعد قليل، قادته الأم إلى غرفته وقالت له: «لقد رتبنا لك غرفتك... كل شيء في مكانه الصحيح. الحمام في هذا الجانب، والمطبخ في الجانب الآخر. اغتسل بسرعة، ثم سنقوم بتحضير الطعام معاً».

ونزولاً عند طلب العجوز، اغتسل الشاب على الفور. وحين عاد إلى غرفته وهو يجفف وجهه بمنشفة، تفاجأ لدى رؤيته صورة كبيرة لشاب في العقد الثاني من عمره.

«هذا ابننا».

فالتفت إلى الوراء، ووجد الرجل العجوز واقفاً خلفه. لكن العجوز بعد أن قال تلك الجملة أغلق فمه وامتنع عن إضافة أي كلمة.

في تلك اللحظة، نادته الأم من الخارج: «هل أنهيت يا بنيّ؟ ماذا تفعلان هناك؟».

فابتسم الرجل العجوز، وأجاب بمرح: «نعم... نعم... نحن قادمان فوراً!».

كانت الحشوة محضرة من قبل، فبدأت الأم بمد العجين لتحضير الفطائر مُصدِرةً صوتاً بهيجاً بيديها. عندها، رفع الشابّ كمّيه، وجلس لفرك العجين في مشهد مماثل لما كان يحصل في منزله في أمسيات ليلة رأس السنة القمرية الماضية. كانت مهمة الأب غلي الماء، حيث كان عليه أن يملأ الإبريق بالماء ويشعل الموقد. وبعد أن أنهى الأب مهمته، جلس بهدوء ليشاهد ابنه وزوجته المنشغلين بفرح في المطبخ. بدأت الأم بقول شيء تافه، وعلى الرغم من عدم اهتمامه بسماع تلك الأشياء التافهة إلا أنه تركها تتكلم؛ إذ عرف أنها تحب الحديث معه بتلك الطريقة. وفي بعض الأحيان، كان يطرح عليها سؤالاً أو اثنين فتتوقف عما تفعله وتشرح له باهتمام.

ووفقاً للعادات، قبل سكب الفطائر من القدر وتقديمها على المائدة، كان يجب عليهم إطلاق الألعاب النارية.

وكان مزاج المرأة قد وصل إلى القمة حينها. لذا، فيما كانت واقفة تحت الخميلة لمشاهدة سماء الليل المضاءة بالألعاب النارية الملونة، ظهر الرضا على وجهها، ثم قالت لزوجها والشاب: «لنبدأ بإطلاق ألعابنا النارية الآن».

عندها، قام الزوج والشاب بإشعال الألعاب النارية، بينما صفقت الأم بيديها وانضمت إليهما في الباحة. ووسط ضجة الألعاب النارية بدأت تقفز كما لو أنها طفل سعيد!

وفي ما بعد، تناولوا الفطائر معاً، وشاهدوا الاحتفال برأس السنة الجديدة على شاشة التلفاز معاً، وتحدثوا وضحكوا حتى تعبت الأم وقالت: «أنا سعيدة للغاية! ولكنني مرهقة جداً».

عندها، نهض الأب وقال لها: «ينبغي لك أخذ قسط من الراحة الآن».

وفي تلك الليلة، استغرق الشاب في نوم عميق، وتلاشى كل الإرهاق المتراكم من الأيام الماضية. وحين أشرقت شمس الصباح وتسللت أشعتها عبر النافذة، استيقظ الشاب من نومه فجأة، ونهض على الفور. غير أنه احتاج إلى بعض الوقت ليدرك مكانه.

وحين رآه الزوجان العجوزان يغادر الغرفة بدوا حزينين للغاية، وأغلقت له المرأة العجوز أزرار سترته قائلة: «أعلم يا بني أنني لست أمك فعلاً، لكن أرجو أن تعتبرني كأم لك. وتذكر تتصل بنا من وقت إلى آخر وتحاول زيارتنا كلما سنحت لك الفرصة...».

عندها، شعر الشاب بعينيه تغرورقان بالدموع، وسرعان ما سالت الدموع أيضاً على وجه المرأة العجوز، فمد يده ليمسح لها دموعها وهو يعدها: «نعم... أعدك».

ودّعه الرجل العجوز ورافقه حتى البوابة، ثم أخرج بعض النقود من جيبه قائلاً له: «نحن ممتنان لك للغاية... وهذه مكافأتك... ليس لدينا الكثير من المال لندفع لك».

غير أن الشاب أعاد للرجل العجوز النقود بحزم قائلاً له: «لقد ساعدتماني في فهم الكثير من الأمور وهذه هي مكافأتي».

غير أن الرجل العجوز استمر في التعبير عن امتنانه: «لقد حقّقت لنا يا بنيّ أكبر أمنياتنا. فأيّام عمتك، أي زوجتي معدودة؛ لأنها مصابة بالسرطان! وقد كانت أمنيتها الوحيدة هي صنع الفطائر لابننا في ليلة رأس السنة، لكن ابننا لم يعد بإمكانه تناولها».

وفي تلك اللحظة، لم يعد الشاب يسمع ما كان الرجل العجوز يقوله. إذ أحس بتغيير جذري يحصل له.

وبعد أن ودّع الرجل العجوز، سارع إلى أقرب مقصورة هاتف واتصل بمنزله. وحين سمع صوت أمه عبر الهاتف سالت الدموع على وجهه بغزارة. فقد عرفته أمه على الفور، ونادته باسمه!

فقبل أن يفتح فمه ليتكلم، كانت قد عرفت أنه المتصل!

ظلّ صامتاً لوقت طويل من دون أن يتمكن من الكلام، ثم صرخ قائلاً: «ماما... أريد أن أعود إلى البيت!».

عندها، نظرت إليه المرأة الشابة الوقفة قربه في مقصورة الهاتف باستغراب؛ إذ ما كان بإمكانها قط أن تخمّن أن الرجل الذي يجري المكالمة الهاتفية أمامها مجرم هارب.

Notes

[1←]

عبارة: «صنع في الصين»، ولا يخفى على القارئ الإحساس بالفخر الذي تحمله هذه العبارة. (المترجمة)

[2←]

قصية بحكم بعدها الجغرافي، وقريبة بسبب انتشار منتجاتها في بلدان العالم كافة. (المترجمة)

[3←]

قريب بحكم تطوّر أساليب التواصل في عصرنا هذا، ولكنه بعيد بسبب عدم اطلاعه بشكل كافٍ على الثقافات الصينية. وهنا لا تُخفى على القارئ خيبة الأمل التي عبّر عنها الكاتب بهذا الأسلوب. (المترجمة)

[4←]

المقصود هنا انتشارها. (المترجمة)